

قاسي محمد الهادي

المجالات الإجتماعية
للمعرفة

مقدمة الكتاب

تحت عنوان المجالات الاجتماعية للمعرفة " أتت المقاربة السوسولوجية لدراسة هذه الظاهرة والتي نتطرق فيها إلى مختلف الظروف الاجتماعية والذاتية المتعلقة بالبرامج التعليمية المعتمدة التي قد تساعد في غرس ثقافة المقروئية أو في عرقلتها.

ونقدم هذه الدراسة التي تزداد أهميتها ضمن الحقل السوسولوجي من خلال تحليل العلاقة بين الكتاب كإنتاج معرفي وفكري وظاهرة المقروئية في البيئة الاجتماعية أو في البيئة العلمية التي تعيش فيها الطالب الجامعي، في وقت كثر فيه الكلام بالأرقام وبالإحصائيات عن المعرفة والابتكارات في علوم الكون والفضاء لنعرف طبيعة الاهتمام والمهتمين بها في الأوساط التعليمية والثقافية حتى نكشف الغطاء عن ممارسات وانطباعات المختصين فيه ورؤيتهم للثقافة الكلية للمجتمع الجزائري.

ومن المتعارف عليه عند العامة والخاصة أن تطور الأمم والشعوب يقاس بما لديهم من مكتبات بأنواعها المختلفة التي تخدم قطاعات المعرفة الإنسانية، ولذا نجد الدول تتبارى في إنشاء وإقامة المكتبات في كل مدينة وفي كل قرية وتتفاخر فيما بينها بمقدار ما تنفق من مال على هذه المكتبات¹.

إن الحاجة الأساسية لثقافة أي مجتمع لا تبنى على أساس الثقافة المادية، فهذه الأخيرة تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعناصر الأخرى التي تنتشع من منابع المعرفة والفكرية والثقافية في ماضيها وحاضرها. وتتنظر إلى الثقافة على أنها الكل المركب الذي يتمثل في كل ما أنجزه الإنسان من معارفو مخترعات وما تنطوي عليه حياته من معتقدات وأخلاق وتقاليد وما يتميز به

¹ محمد السيد(حلاوة) : تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2002-ص9

عن الكائنات الأخرى من قدرات، وما لديه من عادات اكتسبها من حيث هو عضو في المجتمع، وفي هذا الإطار يصبح الكتاب والمطالعة مفتاح المعرفة يحيط تاريخه ومجتمعه وبكل ما يستجد في عالم اليوم، الذي تتقلص فيه المسافات خاصة في ظل مجتمع المعلومات مع ظهور الانترنت وإفرازات عصر العولمة .

إن تكوين وتنقيف المتعلم يمر بهذه المراحل التي يبني عليها مفهوم المعرفة والثقافة، وهذه العناصر يجدها الإنسان على درجات متفاوتة، من مجتمع إلى آخر وبصور وأشكال متنوعة.

فكل ما ابتكره الإنسان يندرج في أشكال الثقافة والمعارف سواء كان ما اخترعه كوخا أو قصرا أو سيارة، أو صاروخا أو لباسا، أو تفكيرا أن سلوكا، أو قيمة اجتماعية، بل بكل المعارف والفنون المتصلة بالنشاط الإنساني وبتطبيقات العلم والتكنولوجيا، وغير ذلك من مظاهر الحياة اليومية.

يواجه المتعلم هذه المنجزات خلال مراحل نموه بتأثيرات متفاوتة، وتكون لديه شيئا فشيئا خبرات تنمو بنموه و يتفاعل معها من خلال عمليات التكيف مع الوسط والبيئة التي يعيش فيها ويكون ذلك مجالا لظهور الفروق الفردية بين المتعلمين تبعا لتطور المجتمع من جهة وقدرات المتعلم الشخصية من جهة أخرى .

ثقافة المطالعة التي هي جزء من ثقافة المجتمع هي كل مركب يتصل بالبيئة الاجتماعية وتساهم في مجالات المعرفة وبوضعية الأهداف المنتهجة من خلال البرامج التعليمية وترتبط بمجموعة من محددات النسق المجتمعي الكلي. ليس من غرضنا أن نتكلم عن الثقافة، ولكن من الجدير بالذكر أن نتطرق إلى الثقافة التي ينطوي عليها موضوعنا، أي الثقافة التي ينمو فيها الفرد داخل البيئة الاجتماعية وداخل البيئة المعرفية كمتعلم و التي

تغرس الميل للمطالعة في أفراد المجتمع والتي تعتمد عليها الأجيال اللاحقة حتى يتسنى لها فهم عناصر وخصائص ودور هذه الثقافة والتي هي انشغالنا كذلك أننا مادام نتكلم عن الطلبة الجامعيين.

يقال أن الثقافة حصيلة للنشاط الإنساني عبر الأجيال، لذا يطلق عليها أحيانا اسم البيئة المصنوعة وبذلك تعتبر التنشئة الثقافية عملية تشكيل الإنسان عن طريق التعليم والتدريب حتى يصير شخصا قابلا للتكيف مع البيئة الثقافة والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مجتمعه. لكل مجتمع ثقافة خاصة به، وليس بوسعنا تصور مجتمع بلا ثقافة، حيث أن وجود المجتمعات يعني بالضرورة وجود ثقافات تتقارب وتتشابه أو تختلف في بعض المجالات مادامت الثقافة أسلوب حياة.

هدفنا ليس بعيدا عن ثقافة المطالعة في الجزائر عامة، وعن هذه الثقافة في الوسط الجامعي خاصة أننا نريد أن نركز معالم توجهاتنا أو الحديث عن التصورات، والانشغالات التي تشغل بال الطالب والتي تنحصر في الآمال البعيدة أو الضيقة الحدود في بعض الأحيان، وذلك باختلاف رؤى الطلبة، و نريد أيضا حصر أهم العناصر والعوامل المتراكمة والمتفاعلة التي تجعل سلوك الطلبة يتجه من الحسن إلى الأحسن وفق فهم ومنظور صحيح يبني قناعته بأن بناء المعرفة والعلم في التعليم الجامعي ينحصر في مجموعة الأعمال الفردية التي تشارك في بنائه كل العناصر الماضية و الحاضر، و ذلك بالتنسيق الكامل مع جميع الأطراف في البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها ومع البيئة المعرفية و غيرها من البيئات الأخرى.

في عملنا هذا ،حاولنا معرفة آلية ثقافة المطالعة لدى الطالب الجامعي وذلك ضمن التوضع المجالاتي للكتلة المعرفية للتعليم الجامعي وفيه أدرجنا ثلاثة فصول.

حيث سعينا في الفصل الأول لمعرفة تموضع المعرفة في البيئة الاجتماعية وتحديد إسهامات المجالات المعرفية في هذا الوسط بالذات، وفي الفصل الثاني تناولنا جانب المقروئية والمطالعة وحاولنا تبسيط الرؤى فيها وإلى أي حد واتجاه تنمو هذه الرغبة وكيف يجب أن تكون في الوسط المعرفي خاصة في عصر المعلومات والامتداد والتراكم المعرفي وكذا تبسيط وعرض أنواع المقروئيات، وتحديد أهدافها، وكيف توظف من أجل إثراء الزاد المعرفي.

أما في الفصل الثالث فقد عالجتنا الجامعة والجامعيين، حيث تطرقنا إلى ما قد تمده الجامعة من منابع و غذاء للطالب و للأستاذ وللمعرفة وللمجتمع وللتنمية الشاملة، وكيف بإمكانها أن تصبح غذاء وسلوكا وبناء جديدا يزرع حب المعرفة وغرس ثقافة المطالعة للأجيال الصاعدة ويصبح فيه العلم والمعرفة والنمو والتقدم العملة الموحدة لجميع الصفوف، وفي الأخير خرجنا بالاستنتاج والخلاصة العامة البحث وللموضوع.

محمد الهادي قاسي

البويرة يوم : 2009/02/19

الفصل الأول

سلطة المعرفة بين الرّمز والمعنى

1) الانتقال الى عالم المعرفة من خلال المجالات الاجتماعية

1/1) سيرورة المعرفة: من تراث الماضي إلى مقتضيات العصر

1-1/1) سجل المعرفة وتطورها يلازم تطورات المجتمعات :

من المتفق عليه أن الإنسان منذ أقدم العصور، قد استفاد من ملكة التكلم لأنه أخذ بطريقة مقصودة، ينقل من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى أخرى، أخذ ينقل إليهم ما إكتسبه من التجارب العملية، وما أدركه من أسرار الطبيعة، وما وضعه من القواعد والشعائر والمحرمات، وبذلك إستطاع الإنسان الذي وضع ذاكرته في تاريخ المجتمع أن يحافظ على بقاء الجنس البشري، عن طريقة تنمية المواهب والملكات التي إنفرد بها دون غيره من الكائنات.

أن الإنسان في صراع دائم مع الظروف المحيطة به، ومع ذلك قد عرف كيف ينظم شؤون حياته و كيف يضع تدريجيا أسس المجتمع لكي لا تضع جهود الأفراد، وهكذا تأسست الخلية الأولى وهي الأسرة، وتشكلت القبيلة البدائية التي يقتصر عملها على تأمين الضرورات، بذلك أخذ الإنسان يكتسب المعرفة والتجربة ويعبر عن رغباته و أماله، و هذا من شأنه أن يربي العقل و أن يشحذ الفكر.

والحقيقة أنه إذا رجعنا إلى التاريخ في عهده السحيقة، فنجد أن التربية تلازم دائما المجتمعات البشرية، فقد ساهمت في تقرير مصير تلك المجتمعات في سائر مراحل تطورها. ما فتئت هي أيضا تتطور، وإذا بحثنا في محتواها فنجد أنها تنطوي على أسس المثل الإنسانية. ومن جهة أخرى فهي تلازم دائما الصفحات المشرقة من تاريخ البشرية، سواء منها الصفحات التي يسجلها الأفراد، أو التي سجلتها الجماعات، لأنها تسير مجرى التاريخ

ولا تكاد تحيد عنه، وتعكس ما فيه من إزدهار وانحطاط وتقدم، وما يعثوره من مشاكل وأحداث وتناقضات.

فمن غير البديهي أن نتكلم عن سيرورة المعرفة دون التطرق إلى التربية أو بالأحرى إلى التعليم الذي ساير مكتسبات الإنسان أو الجماعة من صفحاتهم المدونة في سجل ذاكرة المجتمع وما نقلوه من إرث إلى الأجيال اللاحقة، لأن تطور المعرفة تابع لتطور المجتمعات عبر العصور، ولأن طرائق تلقين المعرفة هي أيضا لا تخلو من مخلفات الماضي. كانت التربية في المجتمع البدائي متعددة في جوانبها ومتواصلة، وكان الهدف منها هو تهذيب الطباع وتنمية القابليات والكفاءات والسلوك والخصال الحميدة، على أن الفرد كان في أكثر الأحيان يتربى بنفسه في الوسط الذي يعيش فيه، قلما يتكفل أحد بتربيته. و على مر الأزمنة، الحقيقة أن الإنسان، أينما كان، سواء في الوسط العائلي، أو بين أبناء عشيرته، أو في المعمل والملعب والمعبد والمحفل، كان لا يني على مر الأيام يتعلم. بل نجده يتعلم في كل مناسبة، من أمه وأبه اللذان يراهما يتعهدان أخواته بالرعاية، ومن أبيه الصياد، ومن ملاحظة تعاقب فصول السنة، ومن مراقبة الحيوانات الأليفة، ومن حكايات الآباء والأجداد، إن هذه الأساليب العفوية من التعلم المعتمد على النظرة، بقيت إلى حد اليوم. وهكذا من شأنه أن نفهم أن " تربية الأطفال لدى جميع الشعوب، سواء منها البدائية أو المتحضرة، كانت وقت ليس بالبعيد، تجري بطريقة عرضية و لا بطريقة مقصودة كما هو الشأن في المدارس المؤسسة لهذا الغرض"²

والحقيقة أن الأمر لا يختلف كثيرا عما سبق، حتى لدى الشعوب المعاصرة الآخذة بأسباب التربية والتعليم ونشر المعرفة، لأن الطفل والراشد

² Paul Goodman : **Quelques idées insolites sur l'éducation des jeunes**, Paris.1971. P2

ينقلان جزءا كبيرا من معلوماتهم من المحيط الذي يعيش فيه مباشرة، ومن أسرته ومن مجتمعه³. وهذه المعلومات والإرث المكتسب هامة جدا، لأنها تؤثر في قابلية المتعلم لتلقي التعليم المدرسي. هذا النوع الأخير من التعليم يجعل المتعلم قادرا على غربة معلوماته المكتسبة من المحيط، ويساعده في تنظيمها وتكوين مفاهيمها في ذهنه.

إن احتقار التعليم ونشر المعرفة غير المدرسي لم يعد إلا أثرا من آثار الماضي، وهو موقف لا يجدر المربي التقدمي، على أنه لا بد من الإشارة إلى أن المدرسة هي المؤسسة التي أنشئت لتربية الأجيال الصاعدة بمعرفة منهجية، ستظل في الحاضر والمستقبل هي العامل الحاسم في تكوين الإنسان على المساهمة في تنمية المجتمع، وعلى المشاركة الفعالة في الحياة العامة، كما أنها ستظل هي العنصر الأساسي لأعداده إعدادا صالحا للعمل والتفكير، وذلك أن المجتمع الذي نعيش فيه بما يتلقاه من معلومات هائلة تتوارد إليه من مختلف الجهات و بها يترتب على ذلك من عمل في فرز المعلومات، يتطلب من الإنسان أن يكون متقنا تمام الإتقان لكثير من المسائل والمهارات والطرائق المنهجية، ولاشك أن المدرسة هي المؤسسة التي يحصل فيها الإنسان على الخبرة العلمية وعلى الأفكار التي يدرك بها جوهر المسائل ويتفهم الظواهر.

كما أنه يحصل فيها على المعرفة المنهجية وعلى الوسائل التي تمكنه من أن يستفيد من المعلومات من كل صوب، فيستوعبها بكيفية إيجابية، وهذا لا يتأتى إلا إذا تعلم تعلمنا منظما في مدرسة مؤسسة لهذا الغرض.

³يدجار فور و أخرون: اليونسكو: تعلم لتكون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر 1974 - ص 45.

وهكذا ظلت المدرسة طيلة قرون، تتقل ما تدخره الأمم والمجتمعات من علم وإرث ثقافي، وتبلغه من جيل إلى آخر عن طريق المعلم والمتعلم في إطار قوانين صارمة قائمة على السلطة، وبذلك نشأت علاقة السلطة بين المعلم والمتعلم وهذه العلاقة لا تزال موجودة في أكثر من المدارس في العالم.

وكان رجال الدين باعتبارهم حملة العلم وسندة المعرفة يسيطرون على التعليم الذي كان يهدف، زيادة على الهدف الأساسي الذي هو نشر التعاليم الدينية، إلى تكوين الكتبة و رجال الإدارة والأطباء والمهندسين والمعماريين وعلماء الفلك والرياضيات.

قد لا يخفى لأحد بأن كل المجتمعات عبر الزمان والمكان، كلها ساهمت وشاركت في هذا الإرث من المعرفة والإنتاج الفكري والاختراعات التكنولوجية التي غيرت أبعاد العالم، حيث أصبح الإنسان بإمكانه أن يتجول في العالم وهو في مكتبه.

وأصبحت قنوات صرف المعرفة تتدفق من كل صوب، ولكل فئة عمرية ما يريده من معلومات تخص ميدانه أو ميله أو عمره.

ولكي تكون لدينا فكرة كاملة عن سيرورة وقنوات المعرفة ينبغي إلى جانب هذه الصورة التي قدمناها عن الجهود المبذولة في ميدان التعليم ومختلف أنواع النشاط إبتداءا من برامج محو الأمية، الدروس بالمراسلة، الجامعات الشعبية بدون جدران، والنشاط الثقافي بكل أشكاله.

ويضاف إلى هذا كله مثلا في البلدان المتطورة على الخصوص نشاطات تزيد من المعرفة لدى الفرد والمجتمع ومكملة لمعرفة الفرد ومنها برامج التدريب المهني، الترقية العمالية، الدروس لرفع المستوى، الدورات التدريبية، الملتقيات. ومن جهة أخرى يجب أن ندخل في الحساب أيضا ما

يصدر عن دور الصحافة من مجلات وجرائد. ضيف إلى ذلك عالم الكتب وما يكتسبه هذا القطاع من أهمية في نشر المعرفة انطلاقاً من المكتبات البلدية والوطنية والعامة والمدرسية والجامعية والمتخصصة. لا ننسى أيضاً دور وسائل الإعلام والتقنيات التكنولوجية الحديثة التي ساهمت بالقسط الأكبر أن تصبح حقول المعرفة في كل شبر من العالم دون تمييز، إنطلاقاً من البرامج الملتقطة من الإذاعة والتلفزيون، والأفلام والأشرطة العلمية، زد إلى ذلك الوسائل السمعية البصرية، آلة الحاسوب، والانترنت التي أصبحت المحرك الفعال والقوي الذي يغذي العقل بكل أنواع المعرفة في أسرع وقت وبدقة منتهية.

1-1-2) نظرة عن سيرورة المعرفة عبر تاريخ المجتمعات

فجميع المجتمعات شاركت في هذا الإرث المعرفي، والإسلام أول دين يدعو إلى هداية العالم أجمع وإلى فكرة التربية أو المعرفة المستمرة لأنه يحث المسلمون على طلب العلم " من المهد إلى اللحد". والتعليم كان في الدين الإسلامي فريضة على الجميع، رجالاً، نساء وأطفالاً. وتطابقاً مع موضوع بحثنا أي الكتاب والمعرفة، حيث ظهر الإسلام وتجلت مظاهر اهتمامه بهذا الجانب في القرآن الكريم، حيث وردت فيه لفظة " الكتاب" 230 مرة، فإذا أضفنا إليها فروعها: " كتاباً"، كتابك، بكتابكم لصار العدد 312 مرة.

فإلى جانب الإسلام، نجد التراث اليوناني الروماني، حيث حظيت المدرسة والمعرفة عند اليونانيين والرومانيين مكانة هامة في العصر الكلاسيكي، وهدفها هو الشخصية المنسجمة وتربية العقل والجسم والذوق والفني بصورة متوازنة، مع تشجيع الفكر والمعرفة والفنون وتهذيب النفس. وكانت التربية محصورة في نطاق النخبة وقد صادف هذا الاتجاه

الأرستقراطي قبولاً واستحساناً طيلة قرون عديدة لدى الأنظمة الإمبراطورية أو الملكية أو الإقطاعية أو الطبقية، لأن الهدف يقتصر على انتقاء فئة قليلة وتعليمهم تعليماً محددًا و ممتازًا في أكثر الأحيان، وهذا النوع من التعليم هو الذي شجع النزعة الانتقائية التي لا تزال موجودة اليوم في بعض الأنظمة التربوية⁴.

وبالنسبة للتراث الآسيوي، وعلى نفس الصورة تطورت المعرفة، حيث نجد أن تقديس كل ما هو مكتوب يبلغ أوجه في الصين. مع النظام الذي يسمى بالماندرينا (Mandarinat) كانت التربية وإن قلنا التربية أي المعرفة المنهجية الخاضعة إلى نظام تربوي - الصينية في الأصل أكثر تفتحًا وتحرفًا من غيرها، وكان هدفها تخريج ما يمكن أن يشغل المناصب الإدارية، وكانت موفقة في تحقيق الانسجام بين الفكر والعمل⁵

أما في الهند، حيث تأسست الجامعات البرهمانية، وهي الأولى من نوعها في العالم. وما يمكن أن نستخلصه أثناء هذه الجهود أن هذه البلاد منذ البداية أخذت أو اختارت نظامًا تربويًا متكاملًا يتماشى مع الأسس الفلسفية والدينية، و في نفس الوقت مركز على دراسة الرياضيات والتاريخ والفلك بل حتى الاقتصاد كان يدرس.

وهكذا الشأن حتى في بلاد فارس، سلكت المعرفة مسلك التكوين المستمر، وتشجع الفرد إلى أن تدركه الشيخوخة، وكان هدفها تكوين المواطن وتعليم المهارات المفيدة في الحياة العملية، زيادة على تلقين العلوم والأذواق والفنون التي تربي العقل⁶.

⁴المرجع السابق، ص 48

⁵المرجع السابق، ص 47.

⁶مرجع سابق ، ص 48.

وخلص، يتسنى لنا بأن المعرفة تتطورت عبر كل العصور وساهمت فيها كل المجتمعات، إبتداءً من الفرد والأسرة والجماعة أكان ذلك في المعبد والمعمل والمخبر والمنبر والمدرسة غيرها من أشكال أخرى، سواء كان ذلك في الإرث الشفهي أو الكتابي أو من المنقوش على الجدران أو الحجر.

لقد يتبين لنا أن المعرفة لها تاريخ طويل أكثر مما يتصوره الانسان عندما ينظر إلى سرعة التحولات التي تطرأ كل لحظة، هنا وهناك. مما لا شك فيه، أن جزءا ولو قليلا من التراث المعرفي الثمين قد ضاع، سواء نتيجة فترة الصراعات أو أثناء عهد الاستعمار، أو ما خربته أو شوهته قوى الغز والخارجي. لكن رغم كل هذا، إلا أن تطور المعرفة كان أيضا عاملا في تطور المجتمعات، والعكس صحيح.

والفترة الممتدة بين عصر النهضة والإصلاح وبين العهود الأولى من العصور الحديثة، شهدت حركة أثرت تأثيرا كبيرا على مصير الحضارة، وفتحت أفقا واسعة أمام المعرفة وحررت إمكانيات بشرية جديدة، وأعطت لمفهوم الاتجاه الإنساني المعرفي معنى جديدا. وبحصل في نفس الوقت تحول سواء في مجال المعطيات الموضوعية أو في الوسائل خاصة بعد اختراع المطبعة التي ساهمت في وضع المعرفة في متناول الجماهير عن طريق توفير الكتب وإنشاء المكتبات.

إن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كانت في كل الأحوال العامل الذي ساهم بدورها بشكل كبير في تطور مسيرة المعرفة وأصبحت مطلبا أساسيا لكل المجتمعات ولكل الأفراد كالخبز الذي نتناوله كي تغذي طاقتنا. وأصبحت المعرفة في العصر الحالي الوقود الذي ينمي طاقات البلاد بكل أشكالها. حيث أخذت الدول تتصارع فيما تنفقه من ميزانية لهذا الميدان

خاصة في البلاد المتقدمة جدا. فالثورة الصناعية حيث قامت، يترتب عليها نشر التعليم والمعرفة لأنها تحمل في طيتها فكرة التعليم الإلزامي الشامل. إن أنماط المعيشة، وأساليب الإنتاج، وأمال الناس ومخاوفهم وأفراحهم وطموحاتهم، تغيرت كلها من حيث المضمون، خاصة منذ قيام الثورة الصناعية ومنذ نشأة الثورة العلمية والتقنية، فأفاق المعرفة قد تبدلت نتيجة لعدة عوامل، وذلك أن المجتمعات الآخذة بمبدأ فصل الدين عن الدولة، وبالمركزية في الحكم وتحرير العقل، أخذت كلها تستعين بأفواج من العلماء والمتقنين لخدمة الدولة. والتطور الاجتماعي والاقتصادي يستلزم تشغيل من العمال الأكفاء، حيث يتطلب تكوين العديد من التخصصات من تقنيين، وإطارات وباحثين.

والأهم من كل هذا، أنه بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت التربية والتعليم أو بمعناه الأوسع المعرفة أهم فرع من فروع النشاط والاهتمامات في العالم، خاصة ما إذا اتخذنا مجموع النفقات المخصصة لها معيارا. لا يمكن إجراء مقارنات صحيحة بين دولة وأخرى في درجة التقدم إلا بعد الرجوع إلى ما قامت به تلك الدولة في ميدان التربية.

فالاقتصار على ميزانية التربية قد يجعلنا لا نقدر هذا المجهود حق قدره، كما أنه لا يمكن في مثل هذه الحالة إجراء مقارنات بين دول مختلفة في الزمان و المكان، لأن ما يندرج في كل باب من أبواب الميزانية يختلف بحسب الأقطار، بل يختلف في القطر الواحد بحسب الزمان لأسباب سياسية وإدارية⁷.

هناك اتجاهات عديدة ملحوظة في العالم إزاء العلم و المعرفة، فنجد من الأنظمة التي تقر بأن تطور العلم و المعرفة لم يحصل إلا بعد حصول

⁷ Lê Thank Khoi : **L'industrie de l'enseignement**, les éditions de minuit – Paris – 1967 – P 3

التطور الاقتصادي، وظهر اتجاه آخر يحمل في شعاره بأن ظاهرة المعرفة والعلم تسبق في تطورها على الصعيد العالمي التنمية الاقتصادية، وظهر هذا الاتجاه بالدرجة الأولى في اليابان والولايات المتحدة.

على غرار كل هذه الاتجاهات، فإنه منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، بقيت المعرفة والعلم الظاهرة العالمية التي حطمت كل الحدود واجتازت كل الدروب وأنشأت منه على الصعيد المحلي أو القاري أو العالمي اتجاهات مشتركة بين الدول، وشملت جميع أشكال المعرفة، وقد أدركت الأمم أن النهوض بالمعرفة و العلم يستلزم استدعاء جميع الأطراف وكذلك إنشاء هيئات دولية وفيها تجري المناقشات للاستفادة من تجارب الآخر وكذلك الأخذ بالتجارب المفيدة، وادركت في نفس الوقت أن الجوهر ليس هو مقدار المساعدة، بل هو محتواها الحقيقي و نوعيتها. إن المساعدة الفعالة هي التي تخلق الظروف حتى يتمكن من الاستغناء عنها فيما بعد⁸.

نستخلص من هذا، أنه ينبغي أن نتبع المعرفة من الداخل، من إرادة، وتشجيع، وميزانية، وسياسة... إلخ. على أن هذه التنمية تحتاج في بداية الأمر إلى تبادل المساعدات وإلى عملية تدفعها إلى الأمام من الخارج، وعندئذ تصبح المساعدة الخارجية من العناصر الضرورية لمدة قد تقصر أو تطول.

فمن غير المعقول أن نؤمن بأن كل ما يزخر به العالم من إزدهار وتطور أتى من العدم، بل وراءه تاريخ طويل من الإرث المعرفي بكل أشكاله، وأنه ليس وليد اليوم بل سيرورة وتراكم، بل وجذوره سبابة في التاريخ حتى إلى عصر المجتمعات التي لم تعرف الكتابة.

2/1) تموضع المعرفة ضمن المخيال الاجتماعي:

⁸ إيدجار فور و آخرون - نفس المرجع السابق، ص 307.

1/ 2-1) العناية بالمعرفة اساسه مايعطيه المجتمع للتعليم :

جملة من البحوث في التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الآثار توضح لنا أن هناك عدة حضارات ساهمت كلها في هذا التراث الزاخر من الأفكار والثقافة والإبداع، واجه مجتمع ما قبل التحضر نشاطاته البدائية معتمدا على حوافز وطرق تنفيذية معينة تمثل عالمه الثقافي المتواضع.

ومع ذلك في هذه المرحلة، يحوي هذا العالم أفكارا أساسية يرثها الجيل بعد جيل، كما يتضمن معرفة عملية يضيف إليها الجيل اللاحق بعض التعديلات كي تتناسب مع ظروفه التاريخية الخاصة.

من المؤكد أن الشعوب القديمة كلها أنتجت حضارات وتركت معالم في التاريخ التي قاومت الزمن. المعرفة عند هذه الأخيرة تظهر كمفهوم أداتي سمح لها بالتكيف والسيطرة على العالم الذي يحيط بهم. ومن أهم الشهادات على إبداعات هذه الحضارات ما تركوه من مخطوطات وبنائيات معمارية تؤكد فحوى مشاريعهم والمكانة التي كان يحض بها الإنسان في زمانهم.

العرب كغيرهم من الأمم قد تركوا ورائهم حضارة قائمة وتصفحوا وكانوا بدارية أيضا بالحضارات التي بنيت من قبل. ونجدهم يفسرون دائما أن الله وحده هو خالق الكون والسموات، هذا الاعتقاد سمح لهم بتوجيه أفكارهم وبحوثهم على خطوات غير تلك التي سلكوها مثلا اليونانيين والإغريق. فنجد أن الديانة الإسلامية تحث من بدايتها على مبدأ طلب العلم والمعرفة كما دون في الآية الكريمة التي جاءت في القرآن: " إقرأ بإسم ربك" كما تحثهم على طلب العلم الصحيح لا يحمل أي خطأ، والتأنس بعضهم ببعض، ومعرفة ما حولهم من كائنات ونباتات وبشر. هكذا نجد أن الاسلام يفرق بين الانسان العالم و الانسان الجاهل، والذي يحظى ويسعى لدرجة من

المعرفة له مكانة متميزة في وسط المجتمع كما تدل عليه الآية الكريمة: " هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون".

والملاحظ أن الكلمة الأولى التي جاء بها القرآن الكريم هي كلمة "اقرأ"، هذا ما يدل على أن الإنسان لم يولد متعلما أو عالما، وإنما بفعل التعلم وأن الخاصية الأولى التي تميزه عن باقي الكائنات هو قدرته على التعلم - أي العقل الذي يميزه عن سائر المخلوقات.

فإذا استدعى الأمر، إلى جانب المكتسبات المعرفية من خلال المحيط والبيئة التي يعيش فيها الانسان، أن يكون محور وأساس المعرفة وجود فاعلين: المعلم المكون والمتقن من جهة، والمتعلم الذي يجب أن يكون متحمسا لطلب العلم من جهة أخرى، فإن ثالثهما هي تلك الأرضية أي مجموعة العوامل الفاعلة والتي ترحب بذلك، كفعل الأسرة والوسط الاجتماعي والمجتمع ككل. لأن أساس إيصال المعرفة والعلم هو علاقة الثقة التي تنشأ بين هذه الأطراف والتي تعتبر الأطر المشاركة والمناهضة التي تغذي مبدأ وحق العلم في أوساط المجتمع، وهكذا نجد بالقراءة المتمعنة للآية الأولى في القرآن والمسلمون ما يكفوه لقدسية العلم والمعرفة.

إن عدم اهتمامنا بالمعرفة والتعليم ووضعها في المرتبة الثانية أو الثالثة في سلم نشاطاتنا لا يعكس حقيقة المجتمع الإسلامي وليس من تقاليدنا. وكثيرا من رجالنا المغاربة كانوا يقيمون المقارنات في المعرفة والثقافة بصفة عامة بين ما هي عليه من نهضة في المشرق والأندلس وما هي عليه من تأخر في بلاد المغرب. ويعقد "إبن خلدون" مقارنات واسعة بين مستوى الأدباء والمؤلفين والفلاسفة وكثرتهم في المشرق.

ويفسر إبن خلدون هذا التأخر إلى سوء مناهج التعليم وتأخر المستوى الثقافي والحضاري في المجتمع المغربي نفسه وكساد سوقه، ليس

مجازا فقط بالمعنى الاقتصادي الحقيقي لكلمة كساد، ثم يحلل انعكاس هذا التأخر المعرفي الثقافي إلى عقول الناس عندنا وانتشار الفكر الخرافي وانعدام المنطق والمنهج العلمي في حياتنا إلى حد أن المثقفين عندنا كانوا يعتبرون المصريين والمشاركة من طينة بشرية جيدة تختلف عن طينتنا نحن الرديئة"⁹. صحيح إن جملة هذه التصورات عندما تصيح تغذي الفكر والعقل، من شأنها أن تأتي بريح من " الأفكار القاتلة" أو الهدامة كما يسميها "ابن بني" في كتابه " مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" لذا يجب أن نتفحص أنفسنا بأن أسباب تأخرنا الثقافي والمعرفي يكمن في أسباب حضارية أي اجتماعية، اقتصادية، دينية أو سياسية معقدة.

نعم إن تنمية الثروة البشرية والمعرفية الحقيقية تقع على عاتق المثقفين والمفكرين قبل السياسيين. ونحن اليوم على قلتنا أو كثرتنا لم نجد من ما كان يفعله الشيخ "ابن باديس" عندما كان يقف أمام الجامع الأخضر وكلما مر أمامه أحد يدعوه إلى الدخول إلى المسجد ليلقي عليه درسا.

إن المثقفين اليوم يريدون أن يعيشوا كغيرهم من الناس، ويقبلون التضحية إلا إذا شارك الجميع، وإذا تميزت قطاعات التنمية المادية عن قطاع تنمية الثروة البشرية فإنهم يهجرون قطاعهم الذي لا يسد فراغهم فيه أحد، إلى القطاع الأخر ولو لم يكن لهم فيه عمل واضح وإنتاج محدد.

إن ميادين المعرفة التي نسميها بتنمية الثروة البشرية يشارك فيها معلم المدرسة وأستاذ الجامعة والمحامي والطبيب والمهندس وغيرهم فيكونون فيها المجتمع كله. عندئذ لا نخشى على تعليم الصغار أن يفسد بفساد مناخ مجتمع الكبار، وتكون الثروة المعرفية في حصن من

⁹ شريط عبد الله : نظرية حول سياسة التعليم (التعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - 1984 - ص 87.

الضياح لأنها تكون نتيجة جهد مجتمع يتمتع بوعيه السياسي والمدني والشعور بالمسؤولية، أي مجتمع متحضر يتعلم منه المعلم قدر ما يعلمه، وعندئذ تتكون عندنا التربية بمعناها الحديث.

وهي التي يكون فيها معلم المدرسة واسطة إيجابية بين المجتمع والمدرسة، قادرا ليس فقط على تهيئة النشء ليكونوا مجتمع كبار ناجح، بل يصير المدرسة نفسها مجتمعا واعيا ذا شعور بالمسؤولية في عمله، وذلك عندما يتدرب المتعلمون عن المعلم ليس فقط معلومات الكتب، والثقافة، بل يصبحون معه أفراد مجتمع واحد: هم الذين ينظفون المدرسة ويصلحون زجاجها و يشجرونها، ويكتبون فيها جرائدهم ويطبعونها ويؤلفون التمثيلات، ويتعود فيهم تحمل المسؤولية في التسيير أكفؤهم وأكثرهم نشاطا وقوة شخصية واستقامة خلق، كما يتعودون المناقشات تحت رقابة الأستاذ وتوجيهه في السياسة وتقديس العمل وإثارة المشكلات والتمرين على حلها.

إن المعلم يكونه محيطه ثقافيا واجتماعيا، وهو بدوره يكون مجتمع الصغار، فسخطه و انتقاده إذا كان على صورة محيطه مبالغة وتهويلا، فهو متولد على عدم معرفته بأمور بلاده معرفة علمية من ناحية ومن سخطه على الحرمان الذي يشعر أنه هو وحده الضحية فيه من ناحية أخرى.

ولكي ننفذ المعلم من وضعيته النفسية و الثقافية المتردية، فليس ذلك على تقديس عاطفي أو شعور بمهمته بل هو إنقاذ لمجتمع الصغار من يكون صورة لمجتمع الكبار. أي أننا بإنقاذ المعلم نجعله يقف في وجه الاستسلام لفساد المجتمع وعاطفيته الهدامة على الأقل في مجتمع الصغار الشباب القابل للعلاج والفساد بسرعة.

وواضح أن هذا المجهود الذي نطلبه من المعلم في حرصه على دوام الاستمرار في مهامه النبيلة، ودرج النشء على العمل الحسن، تغذيتهم

بالأفكار والمعارف والاستكثار منها والاستمرار في إثراءها يتطلب منه هو نفسه شعور بالمسؤولية عميقاً، ويتطلب من المجتمع أو من الدولة أن يجعله فوق الشعور بالحاجة المادية، ولا يشعر أبداً بالحرمان في حياته، لأن مهمة المعلم بهذا الشكل أقل في نتائجها السلبية أو الايجابية من مهمة السياسي أو الاقتصادي.

وعندما نثير مسألة العناية بالمعرفة والتعليم والمعلمين فلا نقصد بها المطالب النقابية وزيادة الأجور، بل من الممكن حتى أن نطلب منهم التضحية بالتنقيص من أجورهم إذا كان ذلك في إطار سياسة تكشف عامة تبدأ بذوي المرتبات المرتفعة، وخاصة منهم الذين ليس لهم عمل واضح، ولا إنتاج معين ولا رقابة عليهم فيما يعملون وما لا يعملون، لكن ما نقصده بالعناية بالتعليم والمعرفة والمعلمين من كل الأصناف وليس هذه الشريحة وحدهم، هو أن لا يكون هناك قطاع من قطاعات النشاط الوطني يتميز عليهم بأي ميزة مهما كانت مادية أو معنوية، حتى لا يبقى من الدوافع التي تدفع الواحد منهم إلى إختيار التعليم أو غيرهم إلا الدافع النفسي فقط، والميل والموهبة وحدها، لأن هذا من شأنه يستطيع أن يتحول إلى حافز يقزم مهمة المعلم و يقلل من شأن التعليم وبدورها يهجروا الناس العلم وتنتشر الأمية ويعوم الجهل في أوساط المجتمع.

إن الأفراد في مجتمعنا اليوم أصبحت تعيش في حجرة واحدة، وكل من التمييز والتترف، سواء جاء من الرجل أو المرأة أو الحاكم أو المحكوم، من المغني أو العالم، إلا وتسرى عداوة في بقية أفراد المجتمع الآخرين، وكل هذا يراه العامل والمعلم والفلاح والشاب. ولذا يجب وضع الحدود الواضحة في المقاييس بين من يعمل ومن لا يعمل وبين المستفيد من عمله والمستفيد من راحته، ومنها تظهر الجدلية على حد قول " مالك بن نبي " (عالم الأشياء

- عالم الأفكار)، لا أحد ينكر بأن مسؤولية المعلم أثقل من مسؤولية أي كان مركزه، فهو الذي يبني وحدة الأمة من جدرانها وهي في الأساس قيل أن تعلق إلى الفوق وذلك بتوحيد ثقافة النشء وتوحيد قوة الاسمنت الثقافي والفكري الذي ينهض عليه مجتمعنا اليوم¹⁰.

1/ 2- التنمية البشرية وضرورة الابداع في قنوات نشر المعرفة :

لا بد للعام والخاص أن يعرف بأن ما حققه التطور الصناعي أساس العناية بالتعليم و بالجامعة والبحث، أي أن هذه الدول التي وصلت إلى الركب الحضاري المتقدم أقامت نهضتها الصناعية على تنمية الثروة البشرية والعلمية ولا العكس.

الناس عندنا يتصورون أمريكا هي بلاد الثروة المالية والتطور الصناعي والإنتاج الزراعي الذي تغمره عالم الجائعين بل وتستعمرهم به وقل من منا لا يعرف أن وراء ذلك كله وفي أساسه يجري عمل جبار في ميدان المدرسة و تكوين الإنسان في الميدان المعرفي و المهني و المدني والسياسي والخلقي، أي تنمية الثروة البشرية قبل التنمية الاقتصادية.

لا يخفي لأحد أن هذا يتطلب نوعية ثقافية في أوساط الجماهير العامة لأن الرخاء المادي الذي تتمتع به الدول المتقدمة لا تحافظ عليه بالأساطيل الحربية ولا بالقنابل الذرية، ولا حتى بالتقدم الصناعي، بل تحافظ عليه برفع مستوى الإنسان العقلي والمعرفي والثقافي والابداعي، وتنمية مواهبه أكثر فأكثر، وبتوعية المجتمع بكل شرائحه صغارا وكبارا، وتمجيد دور العلم والمعرفة وما قد يتأتى من الاستثمار في هذا الميدان الذي يعد المؤسسة الوحيدة التي بإمكانها أن تعطي الوقود لكل هياكل وأليات المجتمع الصناعي، الزراعي، التقني، الثقافي والسياسي القوي.

¹⁰ نفس المرجع السابق، ص 94.

تفطنت العديد من الدول منذ الوهلة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية وأخذت تتسارع في نشر العلم والمعرفة والثقافة في كل أوساط المجتمع. وسعت إلى توعية كل الفئات بأهمية الحقل المعرفي ليس في المؤسسات التعليمية فقط بل شارعت بكل وسائل والهيئات الخيرية بحملة تعليم الراشدين. يجب أن لا نفهم من كلمة تعلم الراشدين معناه إيصال المعرفة إلى مجتمع الكبار أو رفع الأمية عنهم في الكتابة والقراءة بل يعني من جهة أخرى نشر ثقافة المعرفة ورفع المستوى التعليمي والمعرفي في كل شرائح المجتمع.

العديد من الدراسات أوضحت في حقل علم الاجتماع أن الصعوبات السياسية والكوارث الاقتصادية والاجتماعية علاجها هو التنمية البشرية وإعداد المستوى الثقافي والمعرفي للإنسان.

وأثبتت البحوث أن التعليم، المعرفة المنظمة، ومبلغ إنشائه ومستوى درجته هو أعرق وسائل الدفاع وأنجع الأدوية للأمراض الاجتماعية، سواء ما يتسبب في التأخر الحضاري والانحلال الاجتماعي والكساد الاقتصادي، ومن الواضح أن إنتشار التعليم في المدرسة وحدها دون مشاركة المحيط الاجتماعي العام قد ينقص من فاعلية المعرفة ويقضي على نتائجها، وأن أحسن طريقة تمكن المؤسسات التعليمية الرسمية من تحقيق أهدافها وإعطاء نتائجها كلها هو إصلاح مناخها الاجتماعي ككل. هنا بالأجدر أن نقول بأن التعليم لا يعطي للمجتمع إلا ما يعطيه المجتمع للتعليم.

كانت البداية الأولى لتعليم الراشدين في البلدان التي نسميها المتقدمة بواسطة المراسلة والكتب، ثم أتت التجربة الثانية في إقامة الاذاعات وإستغلال أوقات الفراغ وإستعمال الوسائل السمعية البصرية، وحققت نتائج هامة. فبعدها كانت هذه التجارب مصممة لفائدة فئات معينة ومقتصرة على

أفراد القوات المسلحة فأخذت تتعم على مستوى جميع المواطنين. هذا يتسنى لنا أنه كلما إنتشرت المعرفة وشملت جميع الفئات دون إقصاء كلما ازداد الناس إقبالا على المعرفة بأوسع معانيها وميادينها وتفتحت شهيتهم للمزيد منه. ثم توسع " علماء الاجتماع في دراستهم أكثر فأكثر فأكتشفوا أن القطاعات الاجتماعية التي تقل فيه الترفيه أكثر من غيرها هي التي يقبل الناس على التعليم و التعلم أكثر، وإستخلصوا من كل هذا كما جاء في كتاب " البحث عن المعرفة" لكننتون هارفلي كراتان" أن خلاص المجتمع يعتمد على الأفراد الذين يمنحهم التعليم من القوة الخلفية والعقلية ما يمنهم من الوقوف ضد مفاصد تيار الأغلبية¹¹.

وهكذا، تكمن مهمة تعليم الراشدين في صقل المعلومات التي تلقوها في صغرهم من الزاوياء، ومن المدارس الابتدائية والثانوية، وترقية الثقافة الاجتماعية للفرد والمجتمع، وتزويدهم بالمقدرة على تذوق الفنون وفهم ومتابعة التطورات المستحدثة في الحكم والسياسة والاقتصاد والعلوم، وتعليم الناس فن المناقشة للقضايا الحيوية بالنسبة للوطن، وإعطاء كل الجيلين القديم والحديث اساسا أو في فهم المشكلات المتبادلة. واهم من هذا أن هذه الفئة، هي أيضا تساهم في النشئة الخاصة بتنشئة الأبناء الذين تزويدهم من تحفيز وإقناع و إقلاع جيد في الدراسة والتعليم، ومن نشر روح الثقافة والمعرفة في مجتمع الصغار.

إضافة إلى توفير المناخ الثوري للتعليم بنشر الثقافة والمعرفة في مجتمع الصغار والكبار، أصبح الآن إهتمام العديد من الدول في تعويد المتعلمين على الجمع بين الثقافة الاجتماعية وإستيعاب مشاكل العالم الطبيعي والاجتماعي، وأصبحت فيها القراءة والكتابة زمناقشة الكتب ونقد ما

¹¹ نفس المرجع السابق ، ص 80

ينشر ليس ظاهرة خاصة بالمتقنين بل ظاهرة جماهيرية، ولديهم مكتبات متنقلة في الأرياف والقرى البعيدة.

العناية بالمعرفة في أوساط المجتمع الذي يشمل المدرسة و المجتمع يعني أن ما تعطيه المدرسة للمتعلم و هو في مدرسة لا يجب أن يفسده المجتمع عندما يكون بعيدا عن العلم و أي تهاون في تحقيق عوامل زرع النزعة وروح المعرفة لدى الصغار و الكبار على سواء يعمي أبصارنا كما يقول المثل : " إن الأمي كالسائر في الضلام لا يعرف أين يضع قدميه".

ونستخلص أن موضوع التعليم و المعرفة أحد أهم الاهتمامات والانشغالات عند العديد من الأمم و الحضارات، فلكل واحد منا نظرة خاصة بالنسبة للتعليم، منبثقة من طموحاته وأماله وتطلعاته والأهم فيها هو ذلك الهدف المشترك لباقي المجتمع عندما يصبح لكل فرد إهتمام ناجح.

يجب على أمتنا أن تتذكر أنه من تقاليد وطننا الاسلامي بتطلعاتها وتفتحها على الدور المنوط برسالة المعرفة والتعليم كمنتج تربوي تراكمي يساهم في بناء العمران والقدرة على حلبة التاريخ والعديد من المحطات دون عقدة أو تقديم في النفس¹².

3/3) تموضع المعرفة ضمن المؤسسة التعليمية:

1-3/3) مسؤولية المؤسسات التعليمية وغايتها المعرفية :

بالنسبة للمحيط التعليمي الذي نسبح فيه و نتأثر به هو المحيط الغربي أساس خاصة أثناء الفترات الأولى بعد الاستقلال، نجد أن عددا من البلدان الغربية عندما قامت بإدخال إصلاحات على نظامها التربوية إكتفت بمعالجة بعض الظواهر، مثل تغيير البرامج و إعادة توزيع المواد،

¹² معتوق جمال : صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين ط1 ، 2004 ، دون مطبعة وجهة

و تحسين أوضاع الأساتذة و إعادة النظر في الجذوع المشتركة بين مختلف التخصصات. و هي ظواهر كان لابد من معالجتها، لكنها لم تكن كافية للتخلص كلية من النموذج السابق، في حين أن المطلوب هو التفكير بعمق في طبيعة الأزمة التي تهز النظام التعليمي، فذلك هو المدخل لمعالجة في العمق على المدى البعيد، و هو ما لا يحققه الترقيع و معالجة بعض الظواهر على المدى القريب أو المتوسط.

فالصعاب التي تتعرض لجهودات الإصلاح الجامعي هنا أو هنالك تتصل بأزمة هيكلية بالغة الخطورة، نظرا إلى التحول الجاري في أن واحد فلسفة التعليمي وسائل عمله. فقد ظهرت عدة نقاشات منذ الثمانيات في أوروبا و أمريكا تحمل مسؤولية بعض الأزمات إلى تراجع و تقليص مكانة الثقافة العامة في معاهد التكوين و الدراسات العليا¹³. هذا ما يدل بمعنى آخر أن المؤسسات التعليمية إنحرفت عن المهام الأساسي لها، و أن موضع العلم و المعرفة أصبح محل شك من طرف شرائح المجتمع و حتى من أهل أصحابها و قد تولدت عن ذلك حيرة كبيرة ترجع إلى التعود على نظام تعليمي غير قابل للتجديد، و يصاحب تلك الحيرة إحساس بأن المؤسسات التعليمية أصبحت عاجزة عن التكيف مع الاحتياجات التربوية وأصبحت وقائع حياتها تختلف أو تبعد شيئا فشيئا عن متطلبات و مستجدات العصر خاصة في البلدان النامية أو في الطور التجديد أو الانشاء.

وعلى حد قول " Allan Bloom " و كتابه " L'âme désarmée " و هو يشير إلى السنوات الستين التي مرت عليها فرنسا آنذاك: " كنت مقتنعا في تلك الفترة بأن الطلبة في حاجة إلى ثقافة عامة كي يمعنوا التفكير في وجودهم،

¹³الميلي (محمد) : حق المعرفة و حق الأمل، دار الغرب الاسلامي ط1 - 2000، بيروت ، ص 51.

ويصبحوا واعين بإمكانياتهم. لكن ليس في وسع الجامعات أن تزودهم بهذه الثقافة العامة، لأنها لم تكن مجهزة بما يلزم ذلك¹⁴. ولم تكن لديها الرغبة لتأمين ذلك التجهيز، و هذا ما يجعل الطاقات الشاردة للطلبة تتوجه نحو مجالات أخرى على أمل أن يجدوا فيها ما يعطى لحياتهم معنى وهدف.

إن تسجيل مسؤولية المؤسسات التعليمية في الوضع الراهن يقودنا إلى الحديث عن العلاقة الغائبة الأخلاقية التي تتوخاها هذه المؤسسات و ما تفرزه في الميدان من تكوين و مكونين، فكل نظام تعليمي يشتمل على غائية يحرص على بلوغها و يهيبئ البرامج و كيفية لخدمتها و يؤدي في نهاية الأمر إلى إنتاج نموذج يفترض فيه أن يخدم النظام الذي خطط النظام التعليمي، و أن ينتج مواطنين صالحين بمقياس مجموعة مبادئ والقيم التي يستند إليها نفس النظام.

النسبة للبلدان التي تتخطى خطوات إلى الأمام، و التي حققت تطورات دائما في الانتاجية والنوعية والتي إكتسبت إزدهارا وقوة تكنولوجية، فالسر بسيط لها، قد يبدو لنا شيء أو أمر إنساني، ولكنه مرتبط بالمعرفة وبالتقني، و بالمهندس، وبالباحث، وهؤلاء هم المادة الأولية الحقيقية. والمنبع الوحيد للإبداع¹⁵. الفضاء الوحيد الذي يساهم في هندسة العقول وخلق المهارات هو المؤسسات التعليمية، فإذا إستدعي الأمر أن نتكلم عن التعليم والتكوين والتربية الذي يشكل رهان التغيير، فإن الثقافة البيداغوجية هي التي تغذي نظام التعليمي وتسمح له بالانتعاش وتجدد نشاطه، وبالتالي فالعلم ينمي الابتكارات ويجدد المعارف ويحقق الإبداع و الجودة في كل المجالات.

¹⁴ Allan Bloom : *L'Ame désarmée*, Ed Julliard, Paris 1987 ,p17

¹⁵ Mohamed BENSALAH et autres : **Formation pédagogique et didactique des enseignements du supérieur**, chap : L'innovation pédagogique de l'archaïsme à l'utopique : colloque international – Alger , Mai 2001 , P35.

المنطق الجديد لاكتساب العلم ونقل المعرفة قد يتحقق بفضل أليات جديدة للاتصال، ولهذا يجب علينا الدفع بالعادات ورفع التحديات وتطوير روح الابداع¹⁶. فالاتصال هو عبارة عن إجراء يتجاوز تلك العملية البسيطة التي تسعى إلى نقل المعلومة، بل يكمن أيضا في نقل معنى المعلومة من خلال إيصال الرسالة كاملة نحو السامع أي نحو المتعلم. ففي المحيط التعليمي، الاتصال يتجاوز إلى حد كبير التعريف الكلاسيكي المتمثل في تدفق المعلومات الصادرة عموما من قبل الأستاذ نحو الطالب، ولكنه يتجلى أساسا في بلوغ الأهداف البيداغوجية، و درجة بلوغ هذه الأخيرة محددة و مشترطة بالرد الرجعي المتواصل أي المشاركة بين كلا الطرفين أي الأستاذ و الطالب معا¹⁷.

عندما تتطور العلوم في أي مجتمع، فالسؤال الأساسي الذي يمكن طرحه، هو كيف يتم نقل هذه العلوم إلى الأجيال الصاعدة، وكيف يمكن الحفاظ عليها وأثرها بعد؟ هذا السؤال مرتبط بالنوعية العلمية والبيداغوجية التي هي بحوزة أهل الاختصاص.

وللنظام القائم المزود و المغذي لكل الأليات التي تتفاعل من أجل هذه العملية وهذه النوعية، هذا الجهاز ككل الذي يجب القيام بالدور الأساسي لتهيئة المناخ وتوفير الأساتذة لتكوين المتعلمين الذين يصبحون في الغد القريب الوارثين لتراث وإرث هؤلاء وثقافة المجتمع، والمقبلين لأبداع المنفعة التي قد لا نستطيع، أو نتعذر عن تقديرها، أو بإمكانها أن تكون هذه المنفعة محل الجمود أو التلف، إذ لم يتسنى فهمها و الحفاظ عليها بالشكل اللازم .

¹⁶ Mohamed BENSALAH et autres :opcit, P35.

¹⁷ Djamel Eddine Laouisset : **L'université : contraintes pédagogiques et impératifs de recherche**, Edition Houma –Alger 2003, P18.

يتضح لنا، أنه كلما ازدهرت الحضارات وتقدمت المجتمعات كانت انشغالات عملية حفظ ونقل المعرفة والعلوم ضرورية وملحة. التربية والعلوم ليست غريزية عند الإنسان، وإنما تتطلب باستمرار جهد مضاعف، اكتسابها في الأول ثم الحفاظ وإثراءها في الأخير، المؤسسات التعليمية لا تكمن وظيفتها في التنشئة الاجتماعية فقط، بل تساعد على الحفاظ على الثقافة التي تغذي الفرد و المجتمع والمؤسسة والتي تشمل كل ما هو مادي ومعنوي وفكري، حيث الأفراد يتقاسمون نفس القيم والاتجاهات بمعنى أن التربية و التعليم يأخذان وينتميان إلى نفس النسق.

من المؤكد أن المنظمات بصفة عامة والمؤسسات الجامعية (التعليمية) بصفة خاصة تسبح وتتطور في المحيط الذي يوفر لها الفرص والمناسبات، لكنه في كثير من الأحيان، يصبح هذا المحيط تهديدا لهذه المؤسسات¹⁸.

3-3-2) مهمة المؤسسة التعليمية والصعاب التي تواجهها :

المؤسسة التعليمية بمعناها الواسع لكي تنهض تحتاج إلى عدة شروط في مقدمتها تصور واضح لمهمتها، هل هي مهمة إجتماعية، تأخذ من مجتمع تراثه، وتبلغه لجيل المدرسة كما هو؟ أم هي مهمة تطويرية تغربل التراث وتنقص منه وتضيف إليه؟ أم هي مهمة ثورية لا تأخذ من التراث إلا ما اتفق مع الإيديولوجيات السياسية التي في محتواها من أفكار فلاسفة معنيين ومربيين وسياسيين ذوي اتجاه معين مختلف أشد الاختلاف عن الأجيال التي سبقته. أم هي مهمة لا تهدف إلى شيء من هذا أو ذاك،

¹⁸Aicha MAHERZI et autres : **Formation pédagogique et didactique des enseignements du supérieur**, chap : conception de la science et de la pédagogie dans la civilisation arabe musulmane –Alger, 2001,P 43.

Djamel Eddine Laouisset : opcit, P 59

لكنها لا هدف لها محدد بالضبط، فهي دينية و علمانية، و اجتماعية بالمعنى الضيق.

أهل يمكن أن نفهم أن مهمة المؤسسة التعليمية هي مقاومة الأمية عند الأغلبية من الأطفال و صلاحياتها لأقليتهم لكي يتخرجوا موظفين إداريين كما تنحصر مهمتها للبقية الباقية في إلهائهم و إمتصاصهم من الشارع فقط.

صحيح أن في عهد الاستعمار إختفت العلوم والمعرفة والمهمة التربوية عند العام، وفي عهد الاستقلال أخذت المؤسسة التعليمية تسترجع قليلا وبصورة جزئية من عالم المدرسة القديمة مع الكثير من تقليد المدرسة الحديثة. وإذا بقيت المؤسسة التعليمية في صورة لرجالها الذين ينتمي البعض منهم للقديم والبعض الآخر للجديد، ويحاول كل منهم أن يدخل في برامج التعليم ما يعتبره أساسا للمدرسة الجزائرية، فتنتهي محاولات أولئك وهؤلاء إلى أخذ البضاعة من القديم، إلى جانب بضاعة من الجديد، وفي الغالب ليس للبضاعتين مهمة محددة ولا تصور واضح في تكوين المدرسة كمؤسسة إجتماعية تعيش في ظرف معين ومنطقة جغرافية محددة.

الجامعة مهما حاولنا ومهما حرصنا على أن تعطينا ما نحتاجه للمدرسة وللزراعة وللصناعة وللحزب وللدولة وللمجتمع من رجال إلا أنها أيضا لا يمكن أن تعطينا من الانتاج أكثر مما نعطيها من الوسائل والامكانيات. فالجامعة بالاضافة إلى أن إنتاجها هو إنتاج البشر معقد وهي مثل الشجر الذي لا يثمر إلا بعد سنوات طويلة لم تمنحها دائما ما تستحق من وسائل الخصب.

إن مسؤولية المعلم (Apprenant ; enseignant) المنضل أكبر من مسؤولية السياسي، فالزعيم السياسي الناجح هو الذي يجعل الشعب يثق فيه، أما مسؤولية المعلم الناجح فهو يجعل الشعب يثق في نفسه¹⁹.
إن المشكلات التي تحيط المؤسسة التعليمية يجب معالجتها من الداخل، المعالجة الأولى لا تكمن في المباني والمنشآت ولا في المناهج،

¹⁹ عبد الله شريط : مرجع سابق ، ص 94.

بل في الإنسان: المعلم، والمعلم لكي يكون سلاحا فعالا يجب أن لا يبقى معلما موظفا بل يجب أن يكون مناضلا نعطيته أكثر مما نعطي لغيره ونطلب منه أكثر مما نطلب من غيره، لأننا نكلفه بتنمية الثروة البشرية الصعبة داخل المدرسة وخارجها، وهي لكي يقوم بهذه المهمة المزدوجة يجب أن يحققها قبل ذلك في نفسها، لا بد له من نظام و من ظروف مادية معنوية تمكنه أن يحقق نمو ذاته الثقافية والمعرفية، فيكون في كل سنة غير ما كان عليه في السنة التي قبلها، ويتكون باستمرار و يوسع أفق معارفه بدون توقف يستفيد ويفيد غيره من تجاربه الناجحة والفاشلة. كما يجب أن يرسل ذوي الاستعداد الكامل منهم وذوي النتائج الايجابية في عملهم إلى الخارج من حين إلى آخر يتلقون المحاضرات ويحضرون مناقشات في مجالاتهم العلمية.

أما إذا بقي الأستاذ يراوح مكانه دون الاحتكاك من الذين هم أحسن منا حلا في التعليم والمعرفة، وبقي يجهل حتى ما يجري في بلاده وتزوده فقط من الثقافة بالمعلومات الضيقة المتعلقة بدروسه والتي يأخذها في الغالب الأحيان من مراجع مينة تصلح لكل زمان ومكان ولا تصلح شيء بالضبط، إن كل هذا يجعل الأستاذ مخلوقا عاجزا عن الحياة فضلا على أن يعطي الحياة لغيره من الشيء.

وهكذا يتبين لنا أن العديد من التحولات التي تطرأ على الأنظمة التربوية إلا وكان لتقل المجتمع دور هام في ذلك، وأن تطور المجتمعات يساهم بقسط و فير في تحويل الأنظمة التعليمية وحتى عن الصورة عنها مثلما هو الحال في اليابان و غيره. ومع مجريات العصر، فإنه أن الألوان لتجديد الأفكار، وهذا لا يتجلى فقط في إجراء تعديلات أو تحسينات أو تجهيزات هنا وهناك، بل يستدعي التغير في العمق. النجاح لا يكمن في

تطبيق المنشورات والتعليمات بقدر ما يكمن في تجديد الرؤى، والمحتويات والمناهج، إذا أردنا أن نحقق التنمية الشاملة للمنظمات التعليمية الجامعية وتحقيق الدور المنوط بها.

(2) البناء الفكري الصحيح وحدود شرعية الكتابة والقراءة :

(1/ 2) المعرفة المقدسة و الكتاب المقدس :

(1-1/2) الكتاب أصل كل علم :

يقال بأن الحضارة ما هي إلا إنتاج تطور العلوم و المعرفة. ولا أحد ينكر بأن العصر الذي نعيش فيه يتميز عن جميع العصور التي مرت بالبشرية منذ فجر التاريخ بالتقدم الهائل والنمو الهائل في كثير من المجالات العلمية والتكنولوجية، ومنها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فلقد نشأت بديات العلم البدائي في مجتمع الرق قبل أكثر من أربعين قرناً، حينما انفصل العمل الذهني عن العمل الجسدي، وارتبط الأول منها بأقلية ضئيلة من السكان في أعقاب نشوء الكتابة وتجمع مبادئ ومعرفة تأملية يتعلق بالهندسة وعلم النجوم²⁰.

ونستخلص من كل هذا، بأن نشأة المعرفة مرتبطة بكفاح الانسان منذ وجوده على سطح الأرض، بإعتباره نتيجة طبيعية لممارسة العمل، وذلك أن نشاط وعمل الانسان مارسا ومازالا يمارسان تأثيرا على تطوره الجسدي والفكري، تلك الممارسة التي لا بد أن تكون المعرفة وثيقة الارتباط بها على أنها أبعد أن تكون محض إبداع المعرفة من ملكة الفهم.

ومجتمعنا اليوم ليس بمعزل عن التحولات الجارية، إذ أن الاكتشافات العلمية تتابع بسرعة مذهلة، والمعرفة المسجلة تتضاعف في

نوري جعفر : التقدم العلمي و التكنولوجي و مضامينية الاجتماعية و التربوية ، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، بغداد ، 1978 ،ص 22

مدى عشر سنوات على الأقل²¹. لذا يجب أن يتحرر الكتاب عن مفهومه التقليدي باعتباره سوى مجموعة من الأوراق التي ترفه عن نفسك ساعة تمددك أو مجرد ترفيه برجوازي لا غير²²، لكن الكتاب بمفهومه العصري يمثل كل شيء، وأنه أصل كل علم ولا أصل بدون كتاب. وهكذا يتجلى لنا مبدئياً أن الكتاب والمعرفة منذ زمن بعيد، ليس فقط أداة عمل ترفيهية، بل متحف التراث الفكري للإنسانية، وعلى حد تعبير العالم البريطاني "نيوتن" « Newton » عن الوظيفة التي يقوم بها الكتاب والمكتبات الذي "يصف المتعلم مثل القزم الذي يصعد فوق كتف العملاق" : « Le lettré comme un nain monté sur l'épaule d'un géant ».

و يضيف في نفس الوصف و في نفس الشأن، قائلاً : " بأنني وجدت كل ما أبحث عنه، لأنني صاعدت فوق كتف الأجيال السابقة"²³.
إن الكتاب لا يعني القراءة فحسب وإنما هو ظاهرة عالمية تقرض نفسها كضرورة حياتية لاستمرار البشرية ككل: إنه منظم للأخلاق، خالق الشعور بالوطنية، المحرض على العمل وبإيجاز فهو نور الوعي. وإن كنا نشكو تدهور الأخلاق و عدم الثقة وغيرها من المقلقات التي تسود مجتمعنا فلا ريب أننا نشكوها ل فراغ حياتنا من الكتاب²⁴. ولو تمعنا في قراءة هذه الأسطر لما إستخلصنا أن الكتاب ليس فقط مجموعة أوراق هذه الأسطر ما يحمله محتواه يمكن أن نعبر عنها بمضامين مقدسة، و لدينا في القرآن الكريم ما يقابلها في صورة العلق. و من جهة أخرى نجد مقابل هذا، عن تعظيم شأن الكتاب و قدسية المعرفة التي تزول في علم

²¹ السيد حلاوة (محمد): تثقيف الطفل بين المكتبة و المتحف، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية 2002، ص 93.

²² خلاص (جيلالي): الكتاب و الخبز و الاسمنت، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر - 1982، ص 15.

²³ denis pallier : les bibliothèques, puf ; Paris , 1995 , P 3.

²⁴ خلاص جيلالي، نفس المرجع السابق، ص 16.

" الببليوجي " " Bibliogie " الذي يهتم بدراسة المكتوب " L' écrit " و يشير مبدئيا و من زاوية التاريخ.

إن الكتاب هو ذلك الشيء المقدس الحامل للأفكار الإلهية²⁵.
C'est le cas sur le plan religieux, le livre est objet sacré, porteur de la pensée
" divine

الكتاب في مفهومه سياسة قائمة في حد ذاتها، إنه صناعة كبرى تتطلب من الدولة مجهودا كبيرا يجب أن يفوق كل المجهودات، الكتاب إن أصل و حامل كل علم، و الاهتمام بالكتاب هو رفع مستوى التعليم، دفع الانتاجية، خلق النقد البناء و تأصيل الثقافة، إنه البناء السليم لمجتمع أفضل طالما تاق إليه مجتمعنا.

2-1/2) الكتاب خزان المعارف و اساس المعلومة :

و يذكر أحد رجال المكتبات الأمريكيين براون " Brown " أن هناك ثلاث حقائق غيرت عالمنا المعاصر وتجعله في حالة مستمرة من التغيير، وهذه الحقائق هي : التضخم السكاني، والانتشار السريع للمعرفة والمخترعات الحديثة...²⁶. و يبقى واضحا من هنا، أن الكتاب أساس المعلومة، وهو حامل الأفكار والتاريخ أيضا، وليس وسيلة للترفيه أو للتباهي بوضعه في رفوف المكتبات. وهكذا أصبحت الكتابة و القراءة فعلا متلازمان. فإذا كانت الكتابة حسب " جان بيربار " " Jean bir bar " على أنها وسيلة تقدم الفكر، دوام الاشارات في الزمان والمكان، وتسمح بتصنيف ومراقبة وكذا مقارنة النتائج المنطقية²⁷. فالقراءة هي التقنية الأساسية للحصول على المعلومة والتي تسمح أيضا باكتساب المعارف وبالتالي الوسيلة التي تغذي العقل.

²⁵ Robert estival : **La bibliogie**, puf, Paris, 1987, P 19

²⁶ محمد السيد حلاوة ، نفس المرجع السابق ، ص 93.

²⁷ يونسكو: العادة الاجتماعية للمطالعة ، ن التربية و التكوين و سسيولوجية القراءة ، سلسلة معالم، دار النشر مارينو - الجزائر... ص 255.

فمن خلال تطور الانتاج الفكري تطور العلم وأصبحت المعرفة محتواة في مجمل العمل الاجتماعي، الأمر الذي قاد بالضرورة لأن يصبح عنصرا أساسيا في تطور المعرفة لكونه خزان وحامل المضامين. ومن هنا يصبح الكتاب خزنا و يحمل في طياته خلاصات العلوم والمعارف والابتكارات الانسانية، وهو حامل تاريخ المجتمعات من جهة ثانية. وهو نظام متكامل من المعرفة النظرية عن الحقيقة الموضوعية، بالاضافة إلى كونه نظام للتصرف والنشاط الانساني، مما يجعله مرتبطا تاريخيا بالتقدم الاجتماعي و الحضاري.

على غرار وظائفه العامة والخاصة التي يؤديها لصالح الفئات دون تمييز، يتجلى واضحا أن أهم الاسهامات التي اثرت واخذت تؤثر على تطور وتنوع الكتب ومجالاته هو الانفجار المعرفي وامتداده الذي يتميز به العصر الذي نعيش فيه، وكذلك تطور نظم و نشر التعليم، واتساع أبعاد الحضارة الانسانية التي دوما تعترف بانه رغم تطور أجهزة المعرفة والاعلام فإن الكتاب هو الآخر يبرهن على تطور لا يقل أهمية عن تطور تلك الأجهزة وبالتالي مازال يبرهن عن ضرورته الأولية أكثر فأكثر²⁸.

نظرا لما تكسي المعرفة و المكتبات من أهمية في إعادة البناء الاجتماعي والفكري، فقد أعطت مختلف الأمم لهذه المسألة اهتماما بالغا. ففي الغرب نجد أن المفكرين حين أرادوا إصلاح مجتمعاتهم و إخراجهم من عصر الظلمات وبعثها إلى عصر النور والتنوير، لم يهملوا موضوع العلم و المعرفة، كل أعطوه كامل حقه. ففي ميدان الدين والكنيسة نجد أن هناك أعمالا كثيرا جاء لأصلاح المؤسسات الدينية وتبسيط معاني الكتاب المقدس

²⁸ خلاص (جيلالي) : نفس المرجع السابق ، ص 15.

وتقريبه من عامة الناس و تربية الأفراد وتعوديدهم على إستخدام العقل
وتحريره حتى في المسائل العقائدية وغيرها من الشؤون.

واضح أن العناء في ضبط رسالة المعرفة يتطلب مستوى ثقافيا
وعلميا من الرجال لا تتوفر عليه الأغلبية الساحقة نجد أن رسالة المعرفة
واضحة رغم إختلاف الزمان والمكان وهي تزويد النشء بالعلم والأفكار، لكن
كلمة المعرفة لا تحمل معنا محددًا، فهي الأدب والفلسفة والدين والعلوم،
والمعرفة عند بعض العلماء تشمل غرضين، ويتمثل الغرض الأول المجال
الديني الذي يسمح للمتعلم أو للفرد في التقرب إلى الله ومعرفة الدين معرفة
كاملة، بينما يتمثل الغرض الثاني الدنيوي القائم في الحصول على المعارف
الدنيوية وذلك لتنمية مواهب التعلم و فهم الحياة والسماح للفرد بالاندماج في
المجتمع.

إن المعرفة الصحيحة هي التي تغذي العقول وتطور الأفكار وتجدد
الطاقات وتنمي الابداع، فالابداع يبدأ بالرغبة في المعرفة ثم الممارسة
والتدريب. المعرفة الحقيقية هي العين المفتوحة التي تقودنا إلى رؤية حقيقية
أشمل وأوسع وأحق، وبإشراف وتألق أكثر، وإلى الإدراك المطلق الذي لا
يعرف حدودًا، وعلى فهم أنفسنا بشكل أعمق لنكون ذوي حس مرهف ويقظة
تامة لكل القوى والمسؤوليات المعطاة لنا.

سواء بالنسبة للمعرفة أو الكتاب، فقد إستمر العلماء والفلاسفة على
أن هناك معيارين يمكن على اساسهما إعتبار العمل إبداعيا وهما : الجودة
و الأصالة، فالابداع في خلاصته لا بد أن يكون فكرة جديدة تقدم شيئا غير
مألوف ويبتعد عن التكرار، ويتجلى المعيار الثاني في القيمة والملائمة

بمعنى أن يكون العمل قيما ومفيدا للشخص المبدع وللمجتمع الذي يعيش فيه²⁹.

2/2 علم مطلوب و علم مرفوض: حدودية شرعية الكتابة والقراءة

:

1-2/2) اساس ظهور الكتابة والقراءة :

إن دراسة الأسس المادية التي قامت عليها الكتابة إبتداءا من ورقة البردى و جلد بروجام ثم الورق، تعيدنا إلى دراسة الدور الفكري والمعرفي أو الثقافي للكتاب نفسه، أي الدور الذي قام به الكتاب في تاريخ الانسانية. ويقال أن الكتاب هو " ذاكرة التي تحفظ ما مضى ليكون نقطة البدء لما قد حضر، و لولا قدرة الكائن على حفظ ماضيه، لأستحال أن يكون لأي كان تاريخ"³⁰ يقودنا هذا الكلام إلى أن نتسأل : هل أثر الكتاب في تطور الانسانية وبأي شكل إنتشر الكتاب والكتابة في العالم عبر الأجيال؟ وبالرغم من الانتقاضات التاريخية الخطيرة، تظهر لنا حقيقة غريبة ومؤثرة في نفس الوقت، وهي أن الكتاب والكتابة معا قد بقيا بالرغم من الكوارث والنكبات التاريخية، وكان ذلك بفضل شجاعة وعناد.

وعلى هذا الأساس، يمكن النظر إلى الكتابة كظاهرة فكرية وصور من صور الانتاج المعرفي، فهي اللحظة التي تظهر فيها القدرة الذهنية لابداع الأفكار وانتاج الصور الفكرية، ومناقشتها وتنظيمها. ومن جهة أخرى، يعتبر الكتاب بالمعنى الملموس منتج مادي تسهر على تأليفه وصناعته وإعداده مجموعة من العناصر المتتالية، كما قولنا تبدأ بالكتابة من

²⁹ شكري معمر (علي): صناعة الابداع، جريدة الخبر – العدد 4600، 14 / 01 / 2006 ، ص 27.
³⁰ عبد التواب شرف الدين، دراسات في المكتبات و المعلومات، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط 1 ، 1983 ، ص 129.

طرف الكاتب الذي يعد ويجهز أفكارا على شكل مخطوط، لذلك فهو يمتاز بمستوى معرفي ولغوي ومنهجي، يسمح له بممارسة فن الكتابة ثم يليها الناشر الذي يخرج المخطوط على شكل كتاب ويجعل منه نصا منظما قابلا للنشر والقراءة، ليصل في الأخير إلى القارئ الذي يعد مستهلكا لهذا المنتج موظفا تقنية القراءة لغرض التعليم أو التعلم أو النقد أو التوثيق أو لأغرض شخصية كالتسلية أو الترفيه.

وإن قلنا أن الكتابة هو الذاكرة التي تحفظ ما مضى ليكون نقطة البدء لما قد حضر، فهذا يعني أنه رغم التطورات التي عرفها المجال السمعي البصري، باستعمال وسائل سريعة لتبليغ الرسالة الاعلامية أو المعلومات فهذا لم يقلل من أهمية ومكانة الكتاب والدور الذي يقدم به في إبراز القدرات الفنية لأي شخص باستعمال لغة القلم* - الكتابة - ولم يتأثر الكتاب حتى الآن، بعد ظهور الوسائل السمعية البصرية، بل إنه حدث العكس تماما، إذ تشير الأبحاث أن وقت القراءة لم يتأثر بوقت رؤية التلفزيون، وإنما يؤخذ هذا الوقت من أوقات الفراغ³¹. وهذا ما أكده "جان بيرنار" بأن الكتابة على أنها وسيلة تقدم للفكر ودوام الاشارات في الزمان والمكان.

وهذا يعني من جهة أخرى، أن الكتاب أفضل وسيلة للحصول على المصادر لأنه يسمح لنا إن دعت الضرورة إلى إعادة قراءتها ومراقبتها وحتى وضع المقارنة بينما، وهذا بالرغم من تطور وتعدد وسائل الاعلام خاصة في العشرينات الأخيرة. وقد نفهم من كل هذا أن إنتشار الكتاب والكتابة يسمح بنمو ظاهرتين اثنتين.

*مختطف من مقطع حوار أجري مع Robert escarbit
³¹(رجاء) ياقوت صالح : صناعة الكتاب بين الأمس و اليوم ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة -

1977 ، ص 15

أولاهما هي ظاهرة الاتصال الحقيقي، الذي لا يسمح بسلبية القارئ، ومن ناحية ثانية، فإن القراءة تعد من الطرق للممارسة الحرة الفكرية، الاختلاف يبدوا واضحا بين النص المكتوب والصورة التي تظهر على الشاشة، فيمكن إدخال أية معلومات في ذهن المستقبل أو المشاهد من خلال برنامج إذاعي أو تلفزيوني، بمساعدة تأثير الصورة والصوت، بينما يصعب إحداث أي تغيير أو تزوير في النص المكتوب. إن القارئ المتيقظ، يكشف التزوير والتحريف، لأن الوقت لا يعوزه، ولأنه يستطيع أن يعود إلى الوراء، وأن يتأمل وأن يفكر.

و دائما في مجال المقارنة من جهة بين النص المكتوب بإستعمال تقنية القراءة وبين الوسائل السمعية البصرية، يبدو لنا واضحا، رغم التطور السريع والدقيق الذي شاهده هذه التقنيات الجديدة في الاتصال، إلا أن هذا لم يقلل من أهمية النص المكتوب وبالأحرى لم يقزم مهمة الكتاب والكتابة، يمكننا في هذا السياق، أن نقدم هذين الرقمين: " ففي سنة 1950 كان يقدر إنتاج العالم بمليارين ونصف من النسخ لحوالي 230.000 كتاب، وفي سنة 1970، أنتج العالم كله ثمانية مليارات نسخة من أصل 550.000 كتاب وتعتبر هذه الزيادة طفرة كبيرة مازالت مستمرة حتى الأونة الراهنة"³². واستنتجا من كل هذا، فنقول إن الوسائل السمعية البصرية والتقنيات الحديثة لم تحد لا من عدد الكتب، ولا من الزيادة في التأليف والتي تصدر كل عام. " فزيادة عدد النسخ في العالم كله، تقدر بنسبة 10% في السنة الواحدة، و هذه النسبة أكبر بكثير من نسبة الزيادة في عدد الأفراد الذين يتعلمون القراءة."³³.

³² رجاء ياقوت صالح، نفس المرجع السابق، ص 14

³³ نفس المرجع السابق، ص 15.

وفي السياق نفسه، يجب أن نفرق بين ما هو ثابت، أي ما يكون له أثر ثابت، وبين ما هو متحرك - أي ما يمكن أن يمحى من المعلومات. أما بالنسبة للقراءة، فيمكننا أن نخطط لأنفسنا من جديد، وأن نكرر قراءة النص مرة ثانية أو ثالثة، ثم نستكمل القراءة بالفهم أو الإستيعاب، أو أخذ ما نريده من معلومات، عكس ما تبثه التقنيات الحديثة لأنها تتطلب جهودا إضافية، أي المتحرك تحكمه سرعة ليست بمسيطر عليها، إذ يتحكم فيها الانتاج أو المنتج.

ومن البيئات التي لا يمكن إغفالها في الحديث عن المعرفة في شكلها الواسع، إذ كانت من أعظمها أثرا في نشرها لجيل بعد جيل هي بيئة الكتب رغم إختلاف الشعوب في العادات والتقاليد والطبائع وحتى في التاريخ، فإن الكتب فقد برئت من هذه العصبية أي هذا الإختلاف وحطمت هذه الحدود المضروبة ووصلت بين البلدان المختلفة دون إذن فكان ذلك من أول الأسباب التي قاربت بين هذه العقلية أو تلك، فقد كان الكتاب ما يكاد يظهر هنا حتى تجتذبه روحه العلمية القوية إلى هناك، فيقبل عليه الوراقون نسخا وإذاعة، ويقبل عليه الطلاب والعلماء دراسة ونقدا³⁴. ومن هنا يتبين لنا أن الكتب كانت موردا للثقافات المتباينة، وبقيت هذه الكتب تترك أثارها في مظاهر الحياة العقلية، وبذلك يمكن القول أن هذه الأخيرة كانت من أقوى العوامل التي قربت بين الشعوب المختلفة ووفقت إلى حد كبير بين إتجاهاتها المختلفة، و أوجدت أخيرا نوعا حديثا من العلم و المعرفة و أسلوب الفكر لا يختلف كثيرا باختلاف الشعوب و التاريخ.

³⁴ طه الحاجري: الجاحظ حياته و أثره، دار المعارف، مصر ط2، 1973 - ص 140.

إذن الكتاب يكون قد مر بمرحلتين: أي مرحلة التدوين و مرحلة الانتقال بين التدوين و اتاليف، و نعني بطور التدوين في نشأة الكتاب حين لا يكون وضعه أمرا مقصودا لذاته بل تابع لغيره، فهو تسجيل لما يراد تسجيله حين لا يكاد تكون وجهة صاحبه في وضعه هي جمهرة القراء و الرغبة في التأثير بذلك الكتاب فيهم أو نقل ما فيه إليهم، فكأنما هو ليس إلا إنتقالا بتلك النزعة التي تصدر عن غريزة حب البقاء و الرغبة في الاستمرار، أو ببعض الدوافع الأخرى الدينية أو الاجتماعية التي تحقق جزءا كبيرا من كيان الشخص أو الجماعة و الشعور بالذاتية عندهما. فذلك هو التدوين، أو أول صور الكتاب و أبسطها.

2/2-2) تغيرات المجتمع حافز في تنوع مظاهر الكتابة والقراءة :

أما الطور الثاني الذي يسمى التأليف، هو حينما يصبح فيه الكتاب أمرا مقصودا، لا حميلة على غيره، أي يقصد به صاحبه إلى القراء قصدا خالصا، ينظر فيه إليهم، و يتجه به نحوهم.

نزعة التدوين قديمة عند المسلمين منذ عهدهم الأول، و لم تكن الكتب في عهدها الأول إلا مدونات يسجل فيها ما كان يلقي في مجالس العلم من تفسير أو حديث أو عربية، فيما يروى من ذلك أن عبد الله بن عمر بن العاص كان يكتب كل ما يسمع من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: و كذلك الأمر لعلماء العرب، فكانت كتبهم في العهد الأول ما يجعلها تأخذ مكان الذاكرة في رواية الشعر و تخليده، و يحكى أن " ذي الرمة" أنه قال لعيسى بن عمر الثقفي: " أكتب شعري فالكتاب أحب إلى الحفظ... و الكتاب لا ينسى و لا يبديل كلاما بكلام."³⁵

³⁵ نفس المرجع السابق، ص 143.

لكن الحركة العلمية لم تلبث أن إتسعت، و أخذت الحوافز المختلفة تحفز طبقات الناس للمعرفة، فقويت رغبة الناس في القراءة، فكان لا بد في طبيعة الأشياء أن تتوافر الكتب، و بذلك ظهرت سوق للوارقين. و كان من أشهر ما نقل إلى العربية ذلك النوع من الأدب القائم على إستخراج الحكمة والمثل من صور الحياة المختلفة، ليكون كاشفا عن مسالك هذه الحياة، هاديا إلى آداب السلوك فيها، والذي يعرض أحيانا لصلة الحاكم بالمحكوم، ليخفف من غلواء الحاكم، و يبصر المحكوم بسبيله إليه و أدبه معه، كما كان هذا النوع من الأدب من أقرب صور الآداب الأجنبية إلى العقل الغربي.

و إلى جانب هذه الكتب، أخذت كتب المعارف الطبيعية في الدخول في نطاق العربية، و من أشهر ما دون هو في قوى الأطعمة و منافعها و مضارها، وكذلك في قوى العقاقير و منافعها و مضارها، و كان من المشاركين في نقل الكتب، ككتاب الألوان، و ككتاب الألوان، و كتاب الروائح و الطعوم³⁶.

و الجدير بالذكر، أنه ظهرت في البلاد العربية فئة من المثقفين الذين احتكوا بالثقافات و اللغات البلاد المجاورة، و هذا ما يسمح إلى ظهور عدة تراجم، و نذكر من رجال الترجمة التي كثرت خاصة في البصرة " عبد الله بن المقفع، " ما سرجوية"، و " ابن عيسى" و من الذين ينقلون إلى العبرية فيها " منكه الهندي" كان ينقل إلى الفارسية و العربية³⁷.

على أن أثر هذه التراجم في تطور الكتاب العربي منها لا ينبغي أن ينكر، فقد وضعت هذه الكتب المترجمة الموضوعة على نسق تألوفي منظم بين أيدي العلماء نماذج قوية من التأليف تدعوهم إلى احتذائها، كما فتحت لهم أفقا من الموضوعات يبحثونها و يكتبون فيها. ولا ريب أن هذه الكتب

³⁶ المرجع نفسه، ص 148.

³⁷ نفس المرجع السابق، ص 148.

اليونانية التي اخذوا في ترجمتها كانت قد فرغت من المصاعب الأولى في التأليف، وإستقامت فيه الجادة. وفوق هذا كان بين هذه الكتابة ما يعني فيه بالنص على المنهج الذي يلزم في كل كتاب علم، ليكون وافي بشرائط التأليف وأصول العلم. وعم "ديمقراط" يقول في هذا المجال: " ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون كتاب علم وضعه أحد الحكماء ثمانية أوجه: منها الهمة والمنفعة والنسبة والصحة والصنف والتأليف والإسناد والندبير. وأولها أن يكون لصاحبه الهمة، وأن يكون فيها وضع منفعة، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفاً به، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة، وأن يكون له تدبير موصوف³⁸.

على كل حال هذه الحركة الواسعة التي جعلت البلاد العربية منذ عهدها الأول تزخر بالكتب المختلفة في شيء الفنون، حين تعقدت أسباب حياتها، وتشابكت العوامل الفعالة فيها، وتتنوع مظاهرها ومجالاتها وحين توجت الحركة العلمية، ونشطت الروح الأدبية والعلمية. وأشرنا سابقاً أن هذه الحياة العقلية كانت وثيقة الصلة بالأفراد فلم يكن العلم فيه علم طائفة يعينها قد حبس عليها، بل كاد يكون أمراً شائعاً في طبقات المجتمع جميعها، ومثل هذا مما، يزيد حركة الكتاب ووضع الكتب نشاطاً وقوة، وعلى قدر ما غمرت المجتمع تلك النزعة العلمية والأدبية، فهو يجد في الكتب مجالاً لمجاوبة تلك النزعة، وفي القراءة لذة قريبة ميسرة. وإثر التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تطرأ لأي مجموعة من الأفراد أو المجتمع بأكمله، فكان لذلك لتعقد الحياة و من شأنه أيضاً أن يؤثر على المجالات النفسية للأفراد، فأصبحت مشاعر الناس

³⁸ نفس المرجع السابق ، صص 148 - 149.

مرهقة شديدة الحس، مضطربة بما يضطرب به ذلك المجتمع، وبذلك إشتدت حاجتها إلى نوع من التجاوب بنفس عنها، ولعل من أيسر ذلك أن تلتزمه في الكتب فهي كفيلة بأداء هذه الحاجة أداء هينا بريئا بعدما لم يعد الشعر قادرا على أدائها.

إذن تعرض الأفراد لأزمات نفسية تجعلهم يعزلون عن المجتمع وهذا الانفصال يدفعهم إلى حياة العزلة، وبالتالي تغريهم بالقراءة وهكذا نرى أن الكتاب أخذ يؤدي غرضا جديدا، فهو لم يعد حاجة مادية أو فكرية فحسب، بل أصبح فوق ذلك حاجة نفسية يلتمس للتفيس وتلطيف أوزار القلق لنفسي، والتطهر من الأوضاع الاجتماعية ونجد أن الجاحظ في كتابه " الحيوان" يصف الكتاب بأنه الصاحب الذي يساعد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب. وهكذا كانت الحوافز المختلفة تحفز الرغبة في القراءة وتنشطها، فكانت هذه الرغبة الملحة تستثير النشاط في المؤلفين، كما تثير نشاط الوراقين، فكانت كتب بعض العلماء البصرين كأبي عبيدة مثلا تتجاوز المائة³⁹، وحتى وكان لكثيرهم منهم وراقوهم المختصون بهم، وبذلك أصبحت هذه العقلية المجردة من أعظم الحوافز التي ساهمت أيضا في التأليف.

وكذلك كانت وضع الكتب تصدر احيانا عن الأغراض السياسية، وتنتجه إلى خدمتها والدعوة لها، وكان قوام علماء الأخبار يكتبون الكتب ويحررون الرسائل في أخبار الدولة ومأثر رجالها ومثالب خصومها، ولم يكونوا يقفون فيها يكتبون عند المأثور المحقق من هذا وإنما كان يصنعون ويزودون و يلفتون. وعن رجال الدعوة نستخلص عند قراءتنا " للجاحظ" في

³⁹ نفس المرجع السابق ، ص151 .

كتابه " البيان والتبيين"، أنه لم يكن الأمر إذن أمر تاريخ، بل دعاية سياسية يوجهون لها كتبهم، ويصوغون لها أخبارهم.

وفكرة وضع الكتب من أجل الدعاية تبين لنا قوة الروح الشعبية ومقدار قابلية المجتمع للتأثر بالكتب في مشايعة الدولة، وربما قد يؤدي هذا إلى صنف من الضلال العلمي حين ينسى هذا الاعتبار في تقدير هذه الكتب، أي الصياغة والهدف منها. ولقد كان أيضا نوعا آخر من الكتابة تتجه في وضعها إلى عندهم وتداعب خيالهم، ككتب عجائب البحر والأمور البديعة.

وهناك طائفة أخرى من الكتاب ونوع من الكتابة التي لها دلالتها على سلطان الروح الفردية والمجتمعية وهي الكتب العملية أو صلاح المعاش، وقد كان هذا المنحى في وضع الكتب منحى واسعا ومتعددا، ككتب الحساب والطب والمنطق والهندسة ومعرفة اللحوم والفلاحة والتجارة وأبواب الأصباغ والعطر والأطعمة والألات ... إلخ.

لعل الوصف الذي تركه الجاحظ لفضائل الكتب في كتابه الحيوان من أروع الشهادات، حيث يقول: وليس يجد الانسان في كل حين إنسانا يدره ومقاوما يتقفه، والصبر على إفهام الریض الشدید وصرف النفس عن مغالبة العالم أشد منه، والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيدا، وبما يحتاج إليه قائما، وما أكثر من فرط في التعليم أيام خمول ذكره، وأيام حداثة سنه، ولولا جياذ الكتب و حسنھا ومبینھا ومختصرھا لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم، ونزعت إلى حب الأدب.

وأنت من حال الجهاد، وأن تكون في غمار الحشو، ولدخل على هؤلاء من الخلل والمضرة، ومن الجهل وسوء الحال، وما عسى ألا يمكن الأخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير"⁴⁰.

(3) ضرورة تحديث اساليب التعليم ووسائل نقل المعرفة

(1/3) تحديات التعليم: فك الاشكالية ضمن الثلاثي : " Le triangle

" pédagogique

(1-1/3) تنوع اساليب التعليم وتطور المعرفة :

و مهما يكن من شيء فإن واقع المتغيرات السريعة التي عرفتها التربية خلال العقود الأخيرة على الأخص، يطرح قضية تحديث التربية وأساليب التعليم أن تكون عملية مستديمة و مستمرة و قد ضاعف من ضرورة هذه العملية الطلب المتزايد على المعرفة⁴¹.

على أن مواكبه التعليم لا يمكن تحقيقه بتكديس المعلومات، وإثقال البرامج بالمواد المتزاحمة، في حين أن مدة التمدرس وهي طويلة نسبيا وإن اختلفت باختلاف النظم التربوية أو المدارس أو حتى التخصصات، تؤدي إلى أن يكون النسيان هو مصير معظم المعلومات المكتسبة، لذلك ينبغي ليس فقط الإشفاق على المتعلم إذا نريد له أن تتغلب قدرة الذاكرة لديه على جاذبية النسيان و إنما في إعادة النظر في طرق التدريس التي تهتمش المتعلم من هذه العملية. إذ يجب أيضا أن يؤخذ في الاعتبار أن المتعلم خلال سنوات التمدرس، لديه وقت كاف لأن يفهم ويحفظ وينسى ويحفظ من جديد، فالمهم إذن تربيته وتدريبه على الاستفادة من المعلومات والمعارف بدل الاكتفاء بدفعه لحفظها.

⁴⁰ طه الحاجري، نفس المرجع السابق، ص 159.

الميلي (محمد): نفس المرجع السابق، ص 86 ⁴¹

إن التلقين الجيد للمعلومات أو الدرس لا يكمن فقط في القيمة من الاحترام الذي يحظى به المعلم (الأستاذ) بوصفه مالك معلومات ينقلها إلى تلميذ فاقد لهاو لكنه أيضا على الخصوص من التأثير الذي يحدثه الأستاذ بوصفه نموذجا وقدوة بمشاركته المتعلمين في الدرس وتحفيزهم لمزيد من الرغبة في التطلع والبحث والتحليل أثناء وبعد الدرس.

فإذا كان النظام الكلاسيكي أو كما يسمى عند البعض الآخر بالنظام التقليدي الذي يعتمد على التلقين من طرف واحد أو التلقين العمودي - أي من الأعلى إلى الأسفل - يعني من المعلم الذي هو مالك ومصدر المعلومة إلى المتعلم، فإن المادة الملقاة من قبل هذا الأخير تصبح معطى جاهز وغير قابلة للأنقاش والتحليل و الإثراء.

يجب أن نسلط الضوء بالنقد والتحليل في أن واحد بأن الطريقة التقليدية في التلقين كثيرا ما تصبح عاجزة عن تفجير وتشجيع الإبداع في جل التخصصات وفي التحصيل العلمي وكثيرا ما تكون حافزا أيضا في التسرب المدرسي.

وفي هذا المنوال، يقدم "ميشال قروزي" « Michel grozier » في كتابه " أزمة الذكاء - « Crise de l'intelligence », تحليلا حيث يقول: إن التلاميذ و الطلبة يتعلمون كيف يعملون بسرعة وبمنهجية. وهم يخزنون كمية معتبرة من المعلومات المتنوعة. وهم إذ يعرفون ما يجب عليهم إتقانه سرعان ما يمتلكون ثقة بالنفس تجعلهم يتصورون أنهم يملكون الجواب والحل لأي مشكل، و بذلك تقوم هناك علاقة، قبل أي ممارسة و تجربة ميدان بين الاتجاه إلى التكوين القائم على جمع و تخزين المعلومات وإعطاء الأولوية إلى

الحلول الرشيقة من جهة، و بين قالب و نمط من التفكير و المنطق يصعب زعزعته من جهة أخرى.⁴²

و بعبارة أخرى، يتضح لنا من هذا الكلام أن مثل هذه النخبة تجد نفسها عقيمة جزئيا على الأقل، بفعل تفكير نمطي لأصلة له بالحياة الحقيقية لمن هم تحت مسؤوليته و للجمهور الذي يفترض أن يخدمه.

ونستخلص العبرة من ذلك بالالاحاح على ضرورة الاصلاحى بإستمرار، وذلك بالاعتماد على الذكاء، إن التغيير الحقيقي في المجتمع هو الذي يتم عبر تغيير الانسان، والناس لا يتغيرون إلا إذا تبين لهم الدليل على وجود نموذج فكري متفوق⁴³. طريقة التلقين التقليدي التي كانت تعتمد على الاتجاه الواحد "unidirectionnel" أصبحت محل نقد ونقاش في العديد من المناسبات و شكلت موضوعا هاما في العديد من بحوث علوم التربية وإخصائي البداغوجي⁴⁴.

و في نفس المنظور، نجد في هذا النظام و في أعلى هرمه المعلم الذي يملك المعلومة و في أسفله المتعلم الذي يأتي لألتقاطها دون هضم أو فهم أو نقاش، فهكذا تصبح المدرسة محل آلة أو وسيلة لتلقين خطي تسلسلي للمعرفة في إتجاه واحد⁴⁵.

« ... ce qui fait que l'école est un instrument de transmission linéaire et séquentiel du savoir unidirectionnel. »

العديد من الندوات والنقاشات سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو حتى الدولي ألحت على ضرورة إعادة النظر في طريقة التلقين المعهودة في النظام الكلاسيكي، لذا نجد مع مطلع النصف الثاني من القرن الواحد

محمد المبلي، نفس المرجع السابق، ص 86⁴²

Michel grozier, **crise de l'intelligence**, inter édition, Paris, 1955,p2⁴³

Unesco, **Eduquer, former et sociologie de la lecture**,Ed Marinor,Alger,1997, p105⁴⁴

Alain beaudot : **sociologie de l'école, pour une analyse des établissements**, dunod-Paris, 1991, p146⁴⁵

والعشرين العديد من الاتجاهات سواء من جانب علوم التربية والبيداغوجيا أو من جانب علم الاجتماع الذي يعطي الأهمية الكافية لهذا الموضوع. حيث أُلحِت وكشفت عن عمق التجارب الماضية (التقليدية) بالمقارنة مع التجارب التي هي محل تجريب ودراسة هنا وهناك والتي أتت بنتائج مثمرة في هذا الميدان.

صحيح أن الديداكتيك والبيداغوجيا يهتمان بكل أطوار وإكتساب وتلقين المعرفة، وقد نفهم من هذا أن إكتساب المعرفة يرتكز على المتعلم، بينما التلقين يعتمد على حنكة المعلم. فإذا كانت الديداكتيك تهتم بمضمون ومحتوى الدرس، فإن البيداغوجيا تهتم بالعلاقات الموجودة من جهة بين التتعلّم و المتعلمين وجهة ثانية ما بين المتعلمين أنفسهم⁴⁶. خير ما ندل به، أنه في حالة ما إذا إستمرت الجامعة على الطريقة المعهودة دون الشروع في مغامرة الإبداع وتحسين الطرق البيداغوجية بإعطاء كل الحريات للمدرس في إختيار الطرق والسبل التي يراها ملائمة لطلّبه فإن كل هذا يؤدي لا محالة إلى الرسوب والفشل".

1/3-2) الإبداع وتحسين الطرق البيداغوجية :

" إن تهميش الطالب و حجرا المواد العلمية يساهم في إنماء الجمود الفكري و عدم المقدرة على التفكير من جنب، و كذلك غياب المغامرة الفكرية المحسومة على تنوع الجدل المعرفي الذي يشكل منبع التعلّم بالمعنى الواسع للكلمة.

« Exclusion de l'étudiant, cloisonnement des matières contribuent à développer une sorte d'infirmité intellectuelle, l'impossibilité de penser à côté ainsi que l'absence d'une aventure intellectuelles faites de multiples conflits cognitifs, sources de l'apprentissage au sens large du mot.

⁴⁶Unesco, opcit , P 121

لا يسعنا في هذا المجال للحديث عن هذا الموضوع بكل محطاته، لأن الكلام عن البداغوجيا الحديثة يسوق بنا إلى موضوع آخر نحن لسنا بصدد تناوله بكل تمعن، لكن ما هو جدير بالذكر، في كل هذا هي تلك الطريقة البداغوجية التي يجب أن تعتمد عليها مدارسنا وجامعتنا، حيث تعطى الأهمية البالغة إلى العلاقة الثلاثية : الأستاذ، الطالب و المعرفة.

ما يميز علاقة المدرس بالمدرس من بين كل العلاقات التربوية هي أن هذه العلاقة بالذات تنشأ بالنسبة للمعرفة التي سوف تكتسب⁴⁷.

« La relation enseignant – enseigné c’est la ce qui la spécifié de toutes les relations éducatives, s’établit un rapport avec au savoir à acquérir.

مؤهلات المدرس (Enseignant) تقاس بقدراته ومواهبه

و إبداعه أيضا، ولا تكمن هذه القدرة في درجة كفاءته الأكاديمية – أي العارف لمادته فقط – وإنما في إزدواجية هذه القدرة، أي يجب أن يعرف كيف يلقن المعرفة التي إكتسبها، لأنه كما يقال أن هذه المعرفة التي هي رصيده أو بحوزته ليس له فقط و إنما للغير⁴⁸.

« Le savoir qu’il détient est savoir pour autre, c’est une manière particulière de le détenir ».

وعلى كل مستويات التعليم والتكوين، المعرفة ليس أساسا مجموعة المعلومات المكتسبة، لكنها مجموعة من الأليات التقنية والمصطلحية والمناهج التي هي في الاستعمال، أي أن علاقة المدرس بالنسبة للمعرفة ليست بعلاقة حيازة (Possession) لكنها علاقة ديناميكية للامتلاك. صحيح أنه يمتلك هذه المعرفة و لكنه بوجهة أخرى، بمعنى أنه، هي كيف أن تصبح هذه المعلومات مكسبا للآخر، و رصيذا قابلا للأعطاء و الاثراء⁴⁹.

هنا تظهر جدلية كما يسميها البعض (savoir – acquérir, savoir changer) يبدو

⁴⁷ Gilles ferry : **La pratique du travail en groupe**, dunod Paris, 1985, P178

⁴⁸ Gilles ferry, *ibid*, P 178.

⁴⁹ Gilles ferry, *ibid*, P 179.

واضحاً أن عملية تلقين المعلومات لا يكمن في إيصالها إلى المتعلم أو في تسهيل عملية حفظها، بقدر ما هي عملية توفير الوسائل و الأساليب والتموقع بالنسبة للمعرفة لإثارة التغيير، و هكذا تحدد الكفاءة البداغوجية للمدرس.

لذا يجب على كل العاملين في قطاعات التربية و التعليم على كل المستويات، خاصة منهم المدرسين (الأساتذة) أن تحسنوا فهم هذه العلاقة الثلاثية (الأستاذ - الطالب - المعرفة . لأن فهمهم الجيد و توقعهم داخل هرم التكوين، يسمح للطرفين (الأستاذ والطالب) بإعادة إنتاج المعرفة، ويسمح لكل منهما بفهم موضعه داخل المؤسسة التعليمية، بأنه فاعل في إنتاج المعرفة و في زيادة وإنماء مهارته، وهذا بدوره يصبح عاملاً للتحفيز وتشجيع المواهب.

إحترام قاعدة العمل بهذه الطريقة الحديثة في التلقين، ليس فقط تجعل الطلبة طرفاً في إنتاج و بناء المعرفة، لكنها أيضاً تسمح للأستاذ في كل مرة أن يفجر طاقتهم، وتحفيزهم وهو أيضاً يستفيد لأنه في كل مناسبة يستكمل النقائص و تنشأ لديه الخبرة. بخلق هذا الجو المتفاعل بين الأستاذ وبين الطلبة من جهة و بين الطلبة وبعضهم البعض، يسمح بالمشاركة الفعالة الشاملة، وباستغزار الآراء والأفكار والنقد والبناء. هذه العلاقة التكاملية لا تساهم فقط في إثراء الدرس بالمناقشة وإنما أيضاً تنمي خاصية الإبداع و التحفيز وتشجيع على التكوين السليم من حيث فهم الاشكاليات وصياغتها أو بناءها، أو تحليلها وخلق روح المبادرة المنافسة لدى الطلبة.

وعندما يحس الطالب بأنه فاعلاً في إعادة إنتاج المعرفة، هذا يساعده على تحقيق الأهداف المعرفية أو حتى الاجتماعية له خاصة بإستكمالها بمجهوداته الخاصة أثناء أو بعد الدراسة لأنه قد يكون جاهزاً من

حيث الكفاءة على فك الصعوبات وإجتيادها، وبالمقابل تبقى مهام الأستاذ في هذه الطريقة طرف في مناقشة الدرس، وملاحظه، وقائد، ومنظم، ويتدخل سواء لتنظيم شؤون الدرس، أو لدعم الشروحات أو إستكمال ما تبقى من المعلومات في حالة الغموض أو تصحيح مسار ومجريات الدرس.

وعلى حد أحد الاساتذة وهو يروي لنا قصة تجربته الأولى في التدريس في الولايات المتحدة، وبهذه العبارة يقول: " في أول درس هنالك، تفضل جميع الطلبة برفع الأيدي و قالو سيدي لا يهمننا ما تقولون، إنك هنا، تلقي الدرس بالطريقة الدوغماتية المعمولة بفرنسا، فنحن بالضبط الذين سيفكرون في الطريقة التي نراها أنسب لتلقين الدرس ". وبضيف قائلاً، " لقد أتو بمندوبيهم و قالو نحن الذين يلقون الدرس، وأنت جالس هنالك في القاعة، تستمع إلينا وستقول لنا إن كنا في خطأ، أو من أمر أن نقرأ هذا أو ذاك من الكتب"⁵⁰.

« quand j'ai commencé mon cours le 1^{er} septembre 1967 au USA, les étudiants ont levé la main et m'ont dit : « Ecoutez monsieur, ça ne nous interesse pas ce que vous dites, vous êtes la pour nous faire un cours ex- cathedra à la française, on va réfléchir à la manière dont on voudrait que vous nous enseigniez ce cours... en suite, ils sont venus en délégation, et ils ont dit : voila, c'est nous qui allons faire le cours, vous allez vous asseoir là, dans la classe, vous allez nous écouter, vous allez nous dire si on dit des bêtises, s'il faut lire tels on tels bouquins.

ليس هدفنا ذكر أو رواية هذه الحادثة، إنما الأهمية من سردها هو أن نؤكد أن حرية إختيار أساليب التلقين و مشاركة الطلبة أثناء الدرس شيء مهم في البداغوجية الحديثة نظرا لما تتوخاه من أهمية سواء من ناحية الأهداف الإجرائية أو الأهداف العلمية، و على ذكر هذه الأهداف، نتمنى أن تصبح هذه القاعدة محل تطبيق في جل مدارسنا و جامعتنا، حتى تبقى

⁵⁰ Alain Beaudot, opcit, P 147, 148

المعرفة هي هدف الجميع و الهدف الوحيد لكل طرف أن يصبح فاعلا ومنتجا للمعرفة.

(2/3) الفارق الاجتماعي و الفارق المعرفي:

(1-2/3) تفتح المجتمعات اساس تطور المعرفة :

إن عددا كبيرا من الأقطار تعتبر موضوع المعرفة وتربية الانسان مشكلة من أصعب المشاكل. وجميع الأقطار بدون إستثناء تعتبرها عملا مهما للغاية. ولا شك أن المعرفة بكل أنواعها موضوع رئيسي وله أبعاد عالمية، لأنه يهم كل من يعمل لتحسين ظروف الحياة في الحاضر، وإعداد ظروف الحياة في المستقبل.

إن مثل هذا الموضوع أخذ اليوم يثير زوبعة من الانتقادات والاقتراحات التي كثيرا ما أدى بها الأمر إلى المطالبة بإعادة النظر فيه جملة وتفصيلا. ومن جميع شرائح المجتمع، ومن الشبان من أخذ اليوم يثور علانية في بعض الأحيان، وسرا أحيانا أخرى، ضد القوالب التربوية الجامدة والمؤسسات المفروضة عليهم فرضا.

والأهم من كل هذا، أن الدول لا يمكن أن تبقى غافلة ، بينما نرى بعض الأقطار قد أحرزت تقدما هاما في المعرفة والسيطرة على الطبيعة والمادة، فإن الانسان يشعر بالحزن بل بالقلق عندما يلقي بصره إلى المناطق الشاسعة التي تخيم عليها ظلمات الجهل، وينقل بصره إلى المناطق الأخرى التي يعوم فيها الجوع. فمن واجب المجتمع أن يتفتح من الداخل وواجب الدول إذن أن تتعاون في عالمنا الحديث السريع التطور، من أجل القضاء على الفوارق الاقتصادية والثقافية والبشرية من أجل تمكين جميع البلدان من بلوغ مستوى معين من الرفاهية والعلم والديمقراطية " ولا ينبغي أن يعد هذا

العمل كما يظن البعض بأنه من البر والاحسان والتصرف على الناس
و العطف عليهم⁵¹

وبالفعل، فقد توفرت، سواء في عالم المعرفة أو خارجه جملة من
الابداعات العلمية والتقنية والتنظيمية، مما كان له أثرا بعيدا في تغيير
المعطيات الأساسية للأنظمة التربوية وعلى مجالات المعرفة وفي تبديل
قولينها تبديلا عميقا، وقد تم التوصل إلى إكتشاف للمزيد من أسرار الدماغ،
وأحرزت نظرية الاعلام تقدما ملحوظا، وقامت معاهد اللسانيات وعلم النفس
التقني بأبحاث قيمة. وحصل علماء النفس الاجتماعي والمختصون في علم
الاجتماع الثقافي على نتائج هامة. وتمكن العاملون في تحليل الأنظمة وعلم
الضبط الألي من إحراز نتائج هامة في وضع النماذج. والحقيقة أن مثل هذه
الأمثلة تعتبر مكاسب جديدة لا تستلزم الاستفادة منها في المدارس التقليدية
فقط، بل يجب بذل بعض المساعي لتشمل جميع الفئات والشرائح على
مختلف الأعمار وعبر كامل الأمكنة.

وإذا نظرنا إلى ميدان التربية بالذات، أو على نظام المعرفة القائمة
في الأنظمة المؤسساتية، فإننا نلاحظ أن بعض الاتجاهات أخذت تظهر.
فالأنظمة الجامدة أخذت تكتسب شيئا من المرونة، والمؤسسات التربوية
(التعليمية) بدأت ترتبط بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وأخذت
تأخذ منها و تعطي لها. وصارت المهام والوظائف توزع وتسد على أسس
جديدة، زيادة على ذلك فكرة نظام السلطة والتحكم بجهاز قائم على المشاركة
المعنيين بالأمر، وبدأت فكرة المحيط التربوي الواسع والبيئة المعرفية الشاملة
تظهر وهناك تطورات أخرى تظهر من الداخل، ومن جعلتها الاهتمام
بالفروق الفردية في التعليم، وبرمجة المناهج على أساس المطالب

⁵¹ إيدجار نور و آخرون : نفس المرجع السابق ، ص 21.

و المقررات، وإحداث ثورة كبيرة في تلقين ونقل المعلومات من وإلى جميع الفئات بأحدث الوسائل التكنولوجية. وقد تختلف هذه التطورات من مجتمع إلى آخر وذلك بعامل الوعي الشامل أو بحسب درجة رقي البلاد وإمكانياته الاقتصادية.

لا شك أن ضرورات التنمية الاقتصادية هي التي تتحكم بالدرجة الأولى في إقبال الناس على العلم والطلب للمعرفة، لذلك فإن إزدياد الطلب خاضع لأليات إجتماعية لها قوانينها الخاصة، بحيث أن قانون العرض والطلب المنطبق على المعاملات، لا ينطبق هنا بصورة مباشرة أو على الأقل لا ينطبق في المدى القريب على المسائل التربوية. ولكي ندرك هذا الأمر على حقيقته، فما علينا إلا أن ننظر إلى الميدان الاجتماعي والاقتصادي. فلا حاجة إذن إلى البحث عن دوافع أخرى قد تبدو غير معقولة، وذلك أن سلوك طلب المعرفة معقول جدا. فالانسان لا يكدر و يجد للحصول على شهادة من أجل الغد القريب فقط، بل يفعل ذلك إستعدادا للحياة كلها. وما من إنسان في هذه الحياة إلا ويعتقد بأن التنمية الاقتصادية سوف تسارع، وأن مجالات التشغيل سوف تتضاعف، وأن المؤهلات المطلوبة سوف تكون أعلى مما كانت عليه.

ويتضح لنا أن متطلبات التنمية الاقتصادية، و مشاركة عدد متزايد من الرجال و النساء في النشاط الاقتصادي المعقد يستلزم كل منهما أكثر مما كان عليه الأمر في السابق، أي تكوين العاملين في الإنتاج، والتقنيين، وإطارات وتعليمهم حتى يسايروا هذه التنمية التي تتطلب التفوق العلمي والمعرفي، زيادة على هذا، فالانظمة الاقتصادية المتوسعة أصبحت في حاجة إلى عدد متزايد من العمال الأكفاء. والتقدم قد غير المهن التقليدية و إحداث أنواعا أخرى من الشغل، مما يستلزم توفير الوسائل التي يمكن

تكوين الاطارات أو إستكمال تعليمها، إن كل تدبير تقوم به الدولة للنهوض بإقتصاد البلاد، يستدعي تدبيرا مماثلا في ميدان المعرفة والتربية والعلم. ونضيف إلى هذا، أن ظهور إحتياجات جديدة في المجتمع الريفي بالمقارنة إلى المجتمعات الحضرية الذي كان في السابق في قطاع الاقتصاد أو الاجتماع شبه راكد، وقد أدى هذا إلى إقبال شديد على طلب العلم والمعرفة من طرف الصغار الراشدين، بما في ذلك الطبقات الفقيرة التي كانت محرومة.

وإلى جانب هذه الأسباب التي تلح على مزيد من الطلب على العلم والمعرفة والتي تدعو الجهات المسؤولة إلى النهوض بالتربية والتعليم والمعرفة، ينبغي أن نضيف الضغط الذي يمارسه المجتمع أي الأباء والطلبة المسجلون أو من ينتظر التسجيل، وهذا الضغط قد يتخذ عدة أشكال منها المطالبة بالحقوق والمناهضة أو المعارضة أحيانا. إلا أن آثار هذا الضغط على وجه العموم لا تتعارض مع السياسة الرسمية الهادفة إلى تشجيع البحث عن المعرفة أو إلى تأسيس المدارس والمعاهد وتوسيع الجامعات.

وهكذا، فإن طلب المجتمع للتربية والعلم والمعرفة يتزايد بإستمرار، ونفهم من هذا بأن الطلبة المسجلين في مستوى معين يطمحون دائما إلى المستوى الأعلى، والاتجاه السائد اليوم لدى العائلة أو الأولياء هو دفع أبنائهم إلى متابعة الدراسة إلى مستوى أعلى من الذين وصلوا إليه. وهذا من شأنه ما سمح للبعض أن يعتبر الدرجة الفائقة من حيث العلم والمعرفة الوسيلة الرئيسية للانتقال من مرتبة إلى أخرى في سلم المجتمع.

2-2/3) النهوض بالمعرفة يحطم كل الحدود:

وهناك أيضا من يعتبر أن الاعتبارات السياسية لها دور فعال في التحريض على طلب العلم و المعرفة والاستزادة منها، على أن الاهتمام المتزايد بقطاعات التربية والتعليم وتشجيع قنوات المعرفة بكل الوسائل والامكانيات من طرف الجهات المسؤولة يمكن تفسيره بمشاغل أخرى ناتجة عن إعتبارات خاصة مقصودة، وعلى سبيل المثال " فإن المشاكل التربوية في كثير من الأقطار وخاصة منها مشكلة محو الأمية، تعتبر أحسن وسيلة لتدعيم الوحدة الوطنية والمحافضة عليها. أما بالنسبة إلى الأقطار التي نالت إستقلالها حديثا، فإن نشر التعليم والتشجيع على مزيد من المعرفة يعد شكلا من أشكال التحرر الوطني وجانبا أساسيا في عملية القضاء على مخلفات الاستعمار. والدولة التي تدخل بعض التغيرات في بنية التربية السائدة في البلاد، تستطيع بتلك الطريقة أن تقضي على تتميز بها بعض الفئات الاجتماعية المسيطرة، كما أنها تستطيع أن تخلف الظروف الملائمة لحياة أفضل يمكن بها لأي مجتمع و لو كان فقيرا أن يطمح إلى بلوغ ما بلغته الأمم الراقية في مضمار التقدم المعرفي والحضاري"⁵².

والذي لا شك فيه بعد هذا، أن كل أمة مهما كان تصورهما للمستقبل يجب عليها أن تقوم بتنمية واسعة لمواردها الطبيعية وإمكانياتها البشرية، على أن تاريخ المجتمعات الصناعية قد يتمتع بها البعض، و الفقر الذي يعاني منه البعض الآخر.

ويكفي، أن قولنا أنه ليس هناك فوارق بزوال هذا التفاوت إلا إذا إنتقلت المعرفة ممن إستأثروا بها إلى ممن حرموها منها، وتوزع التراث العلمي والمعرفي والتقني بطريقة منتظمة وعادلة بين جميع أبناء البشر.

⁵² إيدجار فور و آخرون، مرجع سابق، ص 75-76.

ومن الواضح أن التربية هي أحسن وسيلة لاكتساب المعرفة، و لها دور في القضاء على الفوارق، وإن أحد الشروط الأساسية لكي لا تزداد الهوة إتساعا هو أن تلغي في أقرب الأجل الفوارق الموجودة بين الناس في مختلف أجزاء العالم فيما يتحصل بحق التعلم، و كي تبقى لنا الصورة واضحة، يجب أن نضيف إلى هذا، ذلك النشاط الثقافي والمعرفي سواء لمحو الأمية أو نشرالمعرفة أو رفع المستوى أو إستكماله، لذا نجد في عديد الأقطار العالم المتقدم عدة قنوات وأساليب لنشر الواسع للمعرفة كالجامعات بدون جدران، وغيرها من أجهزة تكنولوجيا تساعد الصغير والكبير للاستفادة من برامجها للاستزادة من التكوين.

وإذا نظرنا إلى مسألة المعرفة فنجد أن المشاكل العاجلة التي نجمت عن إنتشار التربية والتعليم والمعرفة جعلت المسؤولين يهتمون قبل كل شيء بناحية الكم، من حيث الجهودات التي ينبغي أن تبذل، والعقبات التي يجب أن تذلل، والأوضاع التي يجب أن تصحح، لكن بعد هذا أخذوا هؤلاء يدركون أن المشاكل الأساسية هي المشاكل الجوهرية، مثل العلاقة بين التربية والمعرفة من جهة وعلاقة المعرفة بالمجتمع وبين الأهداف المرسومة والأهداف المنجزة من جهة أخرى.

إن المعرفة في المجتمع الحديث أصبحت عالما قائما بذاته، وصورة منعكسة للعالم الذي يعيش فيه الفرد، فهي خاضعة للمجتمع من جهة، كما أنها من جهة أخرى عنصر فعال في تحقيق أهداف ذلك المجتمع، وعلى وجه العموم فالمعرفة والعلم لهما بدون شك دور وتأثير على الوسط الذي ننشأ فيه، وهذا الوسط بدوره يؤثر فيهما. وبكل بساطة لأن تطور المعرفة تابع لما يتوفر عن الوسط من معلومات وبذلك فإنها تساهم في خلق البيئة الملائمة لتطورها وتقدمها.

وإذا نظرنا بشيء من التجرد إلى التاريخ، فإننا ولا شك سوف ندرك السر في هذا التطور الجدلي من حسن إلى أحسن، وفي هذا التفاعل بين الأسباب و المسببات و على أن إذا إعتبرنا المسألة كظاهرة إجتماعية فسوف نلاحظ بكل وضوح أن المعرفة إلى حد اليوم تعتبر بين جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى أهم أداة للمحافظة على القيم السائدة وعلى توازن القوى العاملة فيه، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار إيجابية أو سلبية في مصير الأمم ومجرى التاريخ.

وإذا سعينا في إتجاه مقابل، وحاولنا معرفة رأي الأخصائيين (المعلمين - المتعلمين) في موضوع التربية والمعرفة المنظمة والأباء وعن تجاربهم الشخصية في عملهم كمربين، فإنه يتضح لنا، أن الوظيفة الاجتماعية للتربية في مختلف أشكالها وصورها معقدة غاية التعقيد، وعندئذ نستخلص أنها قادرة على تحرير الإنسان، ولكنها في نفس الوقت قاصرة أحيانا ولا تخلو من عيوب و من آثار سيئة.

وإذا تعددت الآراء فيما يتصل بموضوع علاقة التربية والمعرفة والمجتمع، وبعد الإطلاع على هذه الآراء التي قد تبدو متناقضة، " وهي تقتصر عموما في أربعة مذاهب وأولها المذهب المثالي الذي يعتبر أن التربية كيان قائم بذاته ومن أجل ذاته، والمذهب الإرادي الذي يرى أن التربية بإمكانها أن تغير العالم، بقطع النظر عن التغيرات التي يمكن أن تحصل في بنية المجتمع، ومن جهة أيضا، مذهب الحتمية الألية الذي يرى أن نمط التربية ومستقبلها خاضعان بصورة حتمية لعوامل البيئة التي تحتضنها و تؤثر فيها بشكل أو بآخر. "53.

⁵³ إيدجار فور و آخرون، مرجع سابق، ص 105.

وإستنتاجا من كل هذا، نرى بأنه توجد علاقة إرتباط سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة بين التغيرات في البيئة الاجتماعية والاقتصادية وبين البنيات التربوية وأنواع النشاط المعرفي، ونرى كذلك أن المعرفة تساهم من حيث وظيفتها في تغيير مجرى التاريخ بالاضافة إلى هذا، يبدو أن المعرفة، نظرا للمعلومات التي تقدمها عن البيئة التي تحتضنها، تساعد المجتمع عن إدراك مشكلاته الخاصة، وإنما إذا ركزت عملها على تكوين الانسان الكامل الذي يسعى لتحرير نفسه وأبناء أمته يمكن أن تساهم مساهمة كبرى في تغيير المجتمعات وزرع التأخي والمساواة بين أبناء البشر.

(3/3) حدود العقلانية بين الشفهي والكتابي والصورة: وسائل نقل

المعرفة:

(1-3/3) الانتقال من الشفهي الى المكتوب :

تتعالى أصوات هنا وهناك للطعن في التعليم وأساليبه، فمن الناس من ينتقد مضمونه لأنه غير مناسب لاحتياجات المتعلمين، ومتخلف بالنسبة إلى تقدم العلوم وتطور المجتمع، ولأنه مقطوع الصلة بإهتمامات العصر، ومن الناس من ينتقد الطرائق لأنها لا تأخذ في الحسبان ما في العمل التربوي من تعقد، ولا تستفيد من الخبرة المكتسبة في ميدان البحث العلمي، ولا تهدف إلى تكوين العقل وتنمية الشخصية.

على أن هناك مسألة هي في حد ذاتها موضع نقاش، وهذه المسألة المطروحة تتعلق بتحديد دور كل وسيلة إكتساب المعرفة، ونعني بها الكلمة أو الصورة أو الإشارة (العلامة) أي الشفهي والكتابي، ولاشك أن الوسائل يظهر أثارها في الطريقة المتبعة ويظهر أيضا إلى حد معقول في المحتوى والمضمون.

مازال الشفوي يستعيد اليوم جزئيا المكانة التي تمتع بها في الماضي قبل إختراع المطبعة كأداة التبليغ ولنشر المعرفة. وهناك عدة عوامل يمكن أن نفسر بها هذه الظاهرة، فوسائل التبليغ الجماهيري توسع مجالها اليوم، حتى أن قسطا وافرا من الأخبار يبلغ عن طريق المخاطبة، والأمية لا تزال منتشرة في بعض المناطق من العالم، فنجد من المهن والحرف التي يحصل عليها الفرد من خلال الشفهي أي من خلال المحاكاة أو المخاطبة بينهم وعضوا أن يتناقص عدده، قد أخذت على العكس تستمر، وإحياء التراث الشعبي المنقول بالراوية والسماع، وأصبحت لدى المجتمعات التي خضعت للاستعمار مدة طويلة، وسيلة لاثبات الشخصية الوطنية التي كادت تمحي نتيجة لسيطرة اللغات المستوردة المكتوبة وانتشار الأمية ومحدودية التعليم بالنسبة للبعض فقط، حيث نجد أن الثقافة الاستعمارية تستعمل لغتها الخاصة، وتحل محل اللغة التي يتمسك بها الأهالي ليعبروا عن حاجاتهم. لغتها التي تستخدمه كأداة للسيطرة، فالتعليم في أغلب الأقطار، عوضا أن يكون مكانا للحوار الصادق بين المعلم و المتعلم، فيتبادلان الآراء لإدارة شؤون الحياة على حقيقتها، فإن على العكس تقيم العلاقة على أساس السيطرة، وهكذا فإن المعلم الذي هو رمز السلطة المطلقة، ومصدر المعرفة يودع علمه في عقل المتعلم كما يودع المستثمر أمواله في البنك، وإن أشرنا إلى هذا الايضاح، فإن ماضي المجتمع الجزائري، رغم حرمانه وحظوظه الضئيلة التي كان يتمتع بها الفرد في حقه التعليمي إلا أن الفئة القليلة من المتعلمين، وبفضل المخاطبة والحوار الذي كان سائدا في ذهنيات وعقليات الأفراد، فإن قليلهم كثيرا ما علم كثيرهم. فمثلا في التجمعات كثيرا ما تقرأ الأخبار من طرف المتعلم الذي يعرف الكتابة والقراءة لنقلها للأفراد المحرومين منها.

إن مواصلة وإستعادة التعبير الشفهي لمكانته لا يعني أن الكتابي أخذ يتضاءل، إذ نلاحظ من جهة أن عددا متزايد من الأفراد صارو يستعملون الكتابة للتعبير عن أحاسيسهم وتبليغ مرادهم وهذا بفضل ما أتت بها المطبعة وبفضل برامج محو الأمية وديمقراطية التعليم وتوزيع أساليب نشر المعرفة على كافة المستويات في الزمان والمكان. ومن جهة ثانية اصبح النص الكتابي أداة لا يمكن الاستغناء عنها في تدوين أو تنظيم المعلومات بطريقة يمكن الاستفادة منها على مدى الزمن، لكي تصبح فيما بعد مصدرا و مرجعا موثوقا. وأخيرا فإن الشفهي يستمد عناصره إلى حد بعيد من النصوص المكتوبة⁵⁴.

على أن الكتابي أكثر تعرضا للتجريد من الشفهي، فالصورة التي نستشفها من خلال الأوراق المطبوعة تكاد تكون مجردة من عناصرها المحسوسة، و تكاد تتحول إلى مجموعة من الأفكار والرموز. وكلنا نعرف مساوئ الثقافة المحصلة من المطبوعات وهي الثقافة التي تعود المرء على أن ينظر إلى العلم من خلال الكتاب والجريدة وتعزله عن الواقع بحيث لا يستطيع أن يدركه على حقيقته⁵⁵.

لقد تضاعف اليوم عدد من يحتاج في حياته المهنية إلى الاحتكاك بالوسط المادي، والتفاهم مع الوسط الاجتماعي، والفضل في ذلك يعود إلى تبسيط العلوم والتقنيات وتعميمه، فهؤلاء يحتاجون إلى مهارة أخرى غير المهارة اللغوية، لأن التعليم التقني يستعين بزيادة على الشرح اللغوي، بوسائل أخرى كالعرض والتجريب والتطبيق، كما أنه يستلزم من المتعلم إكتساب عادات وحركات خاصة وتعلم بعض المعارف، ومن المهم أن نفر

⁵⁴ إيدجار فور : نفس المرجع السابق ، ص 111.

⁵⁵ نفس المرجع السابق، ص 111.

بأن هذا النوع من التكوين يعد جزءا ضروريا لمعرفة وثقافة الإنسان الحديث، ولا يقل أهمية عن التكوين التقليدي المتمثل في تعلم الآداب والفنون وغيرها.

3/3-2) وسائل نقل المعرفة وتبليغ سائر العلوم :

لقد أصبحنا نعيش في عالم أخذت فيه وسائل الاعلام والتكنولوجيا الحديثة تقرب البعيد وتحقق المعجزات، وينبغي في هذه الحالة أن يكون موقعنا هو عدم الاستهانة بالشفهي والتوضيح بالصور وعدم الانحياز للكتابي. فلا ينبغي أن نقتصر في عملنا التعليمي على الشفهي والكتابي وحدهما.

ما يهمنا هو أنه وصل تبليغ ونشر المعرفة بواسطة الصورة إلى درجة لم يسبق لها مثيل، فلقد دخلت أساليب البصري إلى كل مكان، وتسربت إلى جميع ميادين الحياة العصرية، ومن الملاحظ اليوم أن الصورة موجودة في مختلف المجالات الثقافية، كأداة للاعلام، أو كوسيلة للبحث العلمي أو كعنصر للترفيه عن النفس.

وعوضا عن ترجيح كفة الميزان لجانب دون آخر، فمن الأفضل أن نبحث عن الفوائد التي يمكن أن تجني من كل هذه الوسائل، وأن نحدد بطريقة منهجية الظروف التي يمكن فيها أن نستعين بتلك الوسائل بصورة متكاملة لنشر وتبليغ سائر العلوم والمعارف. والواقع أن العديد من الدراسات أجريت في هذا الميدان، وتجارب هنا وهناك أقيمت، وعلى سبيل الذكر، وضعت المقارنات للاستفادة من هذه الوسائل، إلى جانب الاعتماد على الشفهي للشرح والمخاطبة، وإلى جانب الاعتماد على المدون أو المكتوب الذي يعتبره البعض المصدر الذي لا يزول ويبقى عند الآخرين المرجع والمصدر الموثوق.

ولا يجوز أن نضع الايضاح بالصورة والتعبير بالكتابة على طرفي نقيض، لأن " التربية العصرية الصحيحة، سواء كانت من مستوى تعليم حروف الهجاء أو من مستوى آخر، بل حتى مستوى التعليم الجامعي لا بد لها من أن تستفيد من الشرح بالكلام و التعبير بالكتابة و الايضاح بالصورة⁵⁶.

وهكذا تفضيل وسيلة على أخرى من وسائل التعلم أو التثقيف أمر مضر بالمعرفة، وتصاحبه ظاهرة لا تقل عن الأولى في المضرة وهي تفضيل مادة على أخرى من المواد التي يتعلمها الطالب بتلك الوسيلة، والحقيقة، أن الاختراعات التكنولوجية على غرار الشفهي والكتابي، من وسائل سمعية بصرية تؤتي ثمارها بصورة مباشرة في كل مستويات التعليم، كما أنها تفتح الطريق للتوعية و التثقيف لأنها تدفع إلى التعلم أكثر فأكثر، وتتمي لدى الفرد الرغبة في الاستزادة من الرائق الأخرى في التبليغ.

" إن الانسان إتسعت إمكانيته منذ أن تعلم الكتابة ومنذ أن اخترعت المطبعة ويقال ما من حضارة متطورة، ثابتة الأركان إلا وتعتمد على الكتابة، وكما أن الحضارة تستلزم في أكثر الأحيان التمدن، فلذلك الكتابة لم تظهر إلا حيث وجدت الشعوب المتمدنة"⁵⁷. و لا شك أن التعليم إستفاد من الكتاب المطبوع فائدة كبرى، إلا أننا لا نستهيين بفضل الكتابة و المطبعة إذا قلنا بأن الثورة التي وقعت بظهورها لا تخلو من بعض الأفكار السيئة، وقد كان أيضا للشعائر الدينية والمحرمات الاجتماعية دور لا يستهان به في التربية أو التعليم الحر الشفهي، لأن المعلومات كانت تلقن عن طريق الاحتكاك المباشر، لكن بعد أن تم تدوين المعلومات في الكتب،

⁵⁶ نايد جار فور، نفس المرجع السابق، ص 113.

⁵⁷ UNESCO : **Histoire du developpement culturel et scientifique de l'humanité**, vol 1 Paris, 1963, P 525.

أخذ هذا النوع من التعليم المكتوب يحل محل التعليم الشفهي، مما جعل الأفراد أو الناس يعتقدون أن الكلمة المكتوبة و إستظهارها حرفياً، هي وحدها شعار العلم الصحيح و أن المعرفة المكتسبة من التجربة اليومية لا قيمة لها.

الفصل الثاني

المقروئية والمطالعة
وبناء الكفاءة المعرفية

1) اساس ظهور المطالعة وتوزيع حاجيات المقرونية حسب

الفئات

1/1) أثريات المطالعة

1- 1/1) الحضارة الانسانية منبع انتشار الورق والكتابة :

قبل أن نتطرق إلى أثريات المطالعة، يجب علينا الإدلاء ولو بسطحية موجزة عن تاريخ ظهور الكتابة وصناعة الكتب من الأمس إلى يومنا هذا. لأنه لولا هذا الاختراع لما كان تاريخا عن شعوبنا القديمة وما كان لدينا اليوم هذا التراث من المعلومات والأفكار وهذا ما قد ساعد الانسان الحالي بلوغ هذه الثروة العلمية والتكنولوجية التي تحظى بها كل المجتمعات كل واحد حسب تاريخه وحضارته واقتصاديه واجتماعيه وثقافته. ظهر أساس الكتابة لأول مرة في تاريخ الحضارة المصرية. ففي العصور القديمة، كانت نبات أسماه اليونانيين، (Papyrus) ينمو بغزارة في وسط الطمي والمياه الراكدة في دلتا النيل، وهذا النبات النبات من نوع يسمى السعديات أي cypéracées وهو نادر هذه الأيام، كان المصريون القدماء يستخدمونه لأغراض شتى، ولكن ما يهمنا الآن هو إستخدام ساق هذا النبات الذي يصل إلى إرتفاع مترين أو ثلاثة أمتار، وقد كان المصريون القدماء يقطعون نسيج الورقة التي يتغذى منها النبات نسلات ضيقة، توضع بعد أن تجف في طبقات متساوية و متراسة، إحداهما فوق الأخرى، وتوضع عليها كذلك عموديا مجموعة أخرى من النسلات، وعندما يضغط الانسان على هذه الطبقات يحصل على مادة متماسكة، بفضل الرطوبة الناجمة من مياه النهر.

وبعد أن تجمع هكذا المجموعة التي تشكل الورق، كان المصري القديم يلصقها كل واحدة بجانب الأخرى، ومن الشمال إلى اليمين، حتى

تكون لفات، تترك لتجف على الأرض، ثم تجلى وتصل كي يكون سطحها منتظما، وبعد أن تنتهي هذه العملية، وعندما تكون تكون حالة الورق جيدة تكون لورقة البردى ليونة عجيبة، إن هذه القطع التي كانت تقص لم تكن تتجاوز خمسة عشر أو سبعة عشر سنتيمترا من حيث العرض، أما الأوراق الجيدة فإنها أصغر يميل إلى البياض، والأخرى أي الأقل جودة، فإن لونها يقترب من اللون البني.

هذا هو العماد الطبيعي للكتابة، فورقة البردى هي العماد الأساسي الذي قامت عليه الكتابة في العصور القديمة، " ولهذا السبب، فقد نمت صناعة حقيقة في مصر، إذ أنها كانت تصدر هذه البضاعة الى كل بلاد البحر المتوسط كما يشهد بذلك الكاتب الروماني بلين لبقديم (Pline ancien) ويرجع تاريخ اقدم لغة بردى احتفظ بها الى سنة 2600 قبل الميلاد⁵⁸. يظهر الجلد ايضا، مثل بعض المواد النباتية كعماد للكتابة، ذلك أن اللفات التي اكدشت حديثا فى البحر الميت مصنوعة من جلد الخراف المسمى (Parchemin) باسم مدينة برجام (Pergame) فى الشمال الغربى من اسيا الصغرى، وهى مدينة كانت هامة جدا، اذ انها كانت تضاهي مدينة الإسكندرية طوال فترة الازدهار اليوناني. وكان الناس يفضلون (parchemin) وهى كلمة تعني ورقة من مدينة برجام⁵⁹. المصنوع من جلد الماعز الذى يزال منه الشعر، بعد ان يغمس فى ماء جيري ثم يصقل بحجر حاد، ورقة برجام، هذة مادة لينة مرنة مثل ورقة البردى ولكنها امتن، وميزتها من ناحية أخرى، فإنه يمكن كشطها و إستعمالها من جديد، وزيادة على ذلك، فعلى عكس ورقة البردى، فإن ورقة برجام، لا تتأثر بالرطوبة التي تسبب تلف من النصوص التي كتبت على مادة نباتية.

⁵⁸رجاء ياقوت صالح ، نفس المرجع السابق ، ص 22.

⁵⁹نفس المرجع ، ص 23.

وكذلك كانت لورقة برجام ميزة أخرى في العصور القديمة حتى أواخر العصور الوسطى وهي أنه ممن الممكن صنعها في أي مكان توجد الماشية، وليس فقط في مصر، كما هي الحال بالنسبة لورقة البردى لأن النبات لا ينمو إلا في النيل.

وقد طبقت هذه الطريقة، بعد ذلك، في صناعة أوراق برجام واحتلت مكانة أهم من مكانة ورقة البردى التي أختفت في القرن الرابع الميلادي، لأن مساحات الجلد الناعمة البيضاء تماما، كانت تسمح للإنسان، أن يجمعها و أن يخطها على هيئة كرسات، وهو الشكل الذي ينبئ عن الكتاب، كما هو موجود حاليا وكان يطلق إسم (codex) على كل مجموعة من ورق برجام، وهو الاسم اللاتيني الذي يعني في الماضي مجموعة نصوص قانونية « codes » ولم يكن المرء يكتب على هذه الأوراق بالاغصان، وإنما بريش الطيور ويستخدم حبر نباتيا من نفس النباتات التي كانت تستخدم في أوراق البردى أو حبرا معدنيا أساسه الكبريتات الحديدية، أو حمض مشتق خاصة بعمليات الدباغية، أما بالنسبة لتجليد الكتب، كان يصنع من الجلد أو حتى بألواح الخشب، عليها نقوش مختلفة.

والمتمعن لقراءة تاريخ الحضارة الانسانية، يكتشف أن إختراع الورقة تم في الصين، ويرجع ذلك إلى مائة عام تقريبا قبل الميلاد⁶⁰ وقد إنتشر هذا الاختراع بعد ذلك في العالم كله خلال العصور الوسطى. والصينيون هم أول من إستخدم الطباعة منذ القرن السابع الميلادي⁶¹، إخترعوا الحروف المتحركة المصنوعة من الخشب قبل جوتنبرج بأربعمئة عام، و يرجع إستخدام الحبر أيضا إلى أقدم الحضارات الصينية.

⁶⁰ رجاء ياقوت صالح، نفس المرجع السابق، ص 28.

⁶¹ نفس المرجع السابق، ص 23.

وبفضل كل هذه الفنون، أصبح من الممكن إنتاج نسخ كثيرة من نفس الكتاب، وبهذا بدأ الطريق إلى إنتشار واسع للأعمال المكتوبة، لقد قيل بحق، إن الطباعة هي أم الحضارة، وذلك بعد أن سمحت بتوسيع حلقة الإتصال والحوار بين الناس.

ولقد تطور بالطبع، فن صناعة الورق طوال ألفين من السنين، منذ أن بدأ إنتاج الورق، وإذا كانت الألات قد تحسنت وأصبحت أكثر تعقيداً أن " إلا أن المبادئ الأساسية لهذه الصناعة لم تتغير، وقد أنكر بعض الغربيين الذين يجهلون مميزات الورق الصيني، هو أن أصل كلمة Papier يرجع إلى كلمة Papyrus أي إلى البردى، ولكن لا يوجد أدنى شك الآن في أن إختراع الورق قد تم فعلاً في الصين قبل الميلاد ببضعة قرون، وكانت العملية تتلخص وقتئذ، في أن تتقع قصاصات من القماش في النهر، وتخلط بعضها ببعض حتى يمكن الحصول على الألياف المطلوبة، ومن الجائز جداً، أن فكرة صناعة الورقة، قد تولدت عندما تركت هذه الألياف لتجفيفها. ومما يسر عملية الأكتشاف هذه، هو أنه كان من عادة الصينيين أن يكتبوا على الأقمشة التي حل الورق محلها⁶².

أما في الهند، فقد أدخل الورق في القرن السابع على وجه التقريب، وكان الهنود يحفظون على ظهر قلب، النصوص ثم يتناقلوها شفويًا من جيل إلى آخر⁶³.

ولقد إفتتح مصنع جديد للورقة في بغداد، بفضل بعض الفنيين الصينيين الذين وصلوا إلى هناك، ومن ثم إنتقل الورق أيضا إلى دمشق، ثم إلى طرابلس، واليمن، و مصر، والمغرب، وهكذا إنفرد العرب بصناعة الورق

⁶² رجاء ياقوت صالح، المرجع السابق نفسه ، ص29.

⁶³ نفس المرجع السابق ص 30.

لكل بلاد الغرب، قبل أت تعرف هذه الصناعة في أوروبا في القرن الثاني عشر⁶⁴.

أما بالنسبة لأوروبا، فلم تظهر هذه الصناعة إلا عندما غزا العرب الأندلس، أدخلوا فيها فن صناعة الورق، وأنشأوا في مدينة "Jativa" حوالي سنة 1150 أول مصنع للورق.

مهما اختلفت العصور، بدءا من العصور القديمة، فالعصور الوسطى أو حتى عصر النهضة، إلا أن قيمة الكتاب بقيت على مر التاريخ نفسها، ويمكننا أن نؤكد أن إختراع الورقة ثم الطباعة الذي ترتب على ذلك، يعد نجاحا لا يقارن إطلاقا بأي نجاح آخر للأمم، فقد غير هذان الآخترعاان كل الظروف المادية والتي تحيط بالحياة الفكرية للإنسان و كان علامة لبدء العصر الحديث للمجتمعات.

أساس ظهور فن الطباعة كان في ألمانيا، ففي تلك الفترة في القرن الخامس عشر، إستعملت هناك معركة حامية في إطار الإصلاحات الدينية، ومن ناحية أخرى، كان هناك عدد كبير من العلمائين ممتعشين للمعرفة، وكانت ثمة علامات كثيرة، تشير إلى حتمية إختراع وسيلة ألية للطبع .

إذ كان من الممكن، طبع التجارب الأولى للنص بالحفر على الخشب وهذه الطريقة التي تدعي " xylographie " أو الطباعة اللوحية كانت تستخدم في الصين منذ القرن السادس، وقد تطورت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر، وعلى أخص في ألمانيا⁶⁵.

وقد لوحظ من قبل، وجود الحروف المتحركة الخشبية للطبع على النسيج، وهذه الحروف هي التي إستخدمها "لورنس كوستر" "Lournes.j.coster"

⁶⁴ رجاء ياقوت صالح، نفس المرجع السابق ص 30.

⁶⁵ المرجع سابق ، 45.

في هولندا عام 1423، وعندما حاول الألماني " جوهان جوتنبرغ " " Johannes gutenberg" عام 1936 صنع حروف متحركة من قطع الرصاص، يمكننا أن نقول في الخفاء أحد الأعمدة التي تقوم عليها الطباعة، و في سنة 1449 حصل Gutenberg من الهولندي " Johann Fast " على قرص، لأتمام لأكتشافه وتجويده⁶⁶.

تتكون هذه الوسيلة أو الألة الجديدة للطباعة وكانت تسيح قطع من الرصاص في قوالب صغيرة من النحاس وتسمى Matrices وهكذا كانوا يحصلون على مقاطع جانبية بارزة للحروف، تنقل على الورقة شكل الحروف عندما تغمس في الحبر ويتم ذلك، عن طريق الضغط على الورقة بألة طبع كبيرة من الخشب.

وفي سنة 1456 نشر " قوتنبرغ" كتابه المشهور " التوراة ذات الاثنتين وأربعين سطر" و كان ذلك في جزئين من الحجم الكبير، أي ما يعادل أكثر من ألف و مائتي صفحة، وهكذا نشأت أخيرا الطباعة.

1 / 2-2) المطالعة مصدر المعلومات وتنوع حاجياتها في

الحياة الحديثة :

الحياة الحديثة يقابلها مصطلح أكثر لإقبالا وهي المطالعة وهذه الأخيرة، يرى " يونغ" " young" بأنها الزيادة في الثروة اللغوية والفهم وتنمية الرغبة في القراءة⁶⁷. لا يمكن أن نغفل عن دور المطالعة والكتاب الذي يرافق المتعلم وهو في المدرسة أو الفرد خارجها، والذي تتنافر جهود النظام

⁶⁶ رجاء ياقوت صالح، المرجع سابق ، 45.

⁶⁷ محمودي (رشيد) : الميل إلى المطالعة لدى المراهق: ، رسالة د.م. الجزائر ، 1985 ، ص 12.

والبرامج التعليمية من خلال وسائل أخرى، وكذلك جهود المجتمع عبر قنوات أخرى، فالفرد لا ينتج ذاته ولا ينتج وعيه وإنما يتلقاه من مجتمعة⁶⁸.

المطالعة تسمح للفرد عامة و للمتعلم خاصة من خلال القراءات بأكثر عدد من الفرص لتغذية فكره و خياله عن محيطه الاجتماعي والثقافي وعن قيم مجتمعه وتصورها لأدواره وعلاقاته الاجتماعية. كما يمكن أن تقدم هذه التصورات في أشكال نماذج جافة، أو في أشكال نماذج مرنة تراعي الخصائص المعرفية للمتعلم حسب سنه، وحدود خياله وميوله.

ويستخدم مصطلحا آخرًا له نفس الدلالة ويعرف بالتعليم الذاتي المستمر، وأن المقصود من كليهما هو تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة شخصيته و إستمرار تربيته لذاته، بما يمكنه من التلاؤم الايجابي السوي مع متطلبات الحياة في مجتمع سريع التغيير⁶⁹

كل هذه المفاهيم المختلفة تبين أن التعليم المستمر يكون حتما بواسطة رقعة المعرفة وتقليص رقعة الجهل وإكتساب المعارف وتمييزها حسب أهوائه و ميولاته الطبيعية، و يحدوه في ذلك إحساسه بأهمية ما يتعلم لأنه يستجيب لحاجة ملحة في نفسه تدفعه دوما نحو مزيد من التطلع إلى عالم أفضل و معرفة أوسع و خبرة أشمل و يؤكد علماء التربية أن الدافع يمثل أحد العوامل الهامة في عملية التعليم و التعلم⁷⁰.

على غرار كل هذا، يتضح لنا أن للمطالعة عدة وظائف، لا سيما أنها تلعب دورا هاما في ترسيخ مبادئ الأخلاق الحميدة في نفوس المتعلمين أو القارئين بالتساوي، وتغرس مبادئ التحابب و التضامن والالتفاف حول عائلة وحول حب الوطن والاعتزاز به والدود عنها، ولعل مصادر المطالعة

⁶⁸ كاء حر : **الطفل العربي و ثقافة المجتمع**: دار الحدائق، بيروت، 1987، ص 7.

⁶⁹ حسن محمد (عبد الشافي): **المكتبة المدرسية الشاملة**، مركز مصادر التعلم مؤسسة الخليج العربي - القاهرة، 1988، ص 28.

⁷⁰ نفس المرجع السابق، ص 30.

التي تحتفظها رفوف المكتبات والتي يلجؤون إليها كل مرة القارئ من متعلمين أو غير متعلمين تزرع كتبها بنفائس الحكم ودوافع مكارم الأخلاق و لا تنتظر إلا من يتبعها و يسير على مبادئ السامية.

و ليس أرسخ في ذهن الفرد عامة أو المتعلم خاصة و هو في طور إعداد شخصيته و إعداد معارفه، مبادئ كان قد إهتدى إليها و إقتنع بها بنفسه من خلال مطالعته حيث لا رقيب و لا معلم⁷¹ . و الأهم هو كيف نجلب المتعلم إلى ساحة الكتاب وكيف نجعله يتصفح و يقدم عليه و على مطالعته و كيف نحثه ليعثر بنفسه على هذه الكنوز و يتشجع منها ويفتتح بها⁷².

كثيرا ما تدعوا الكتب القيمة إلى التحلي بالأخلاق و روح التأخي وتقوية نسيج العائلة و المجتمع، وكذلك تقوية وإستكمال قيم التضامن وحب الانسانية والتعاون. إلى جانب الوظيفة الاجتماعية للمطالعة، نجد أيضا الدور الذي تقوم به المطالعة في شد المتعلم إلى الإقبال على المطالعة الهادفة والتثقيف الذاتي المستمر، ويمكن أن يتم ذلك عبر أنشطة متنوعة كعرض الأفلام السينمائية على أن يتم إختيارها بما يساعد على فهم الموضوع وإستيعابه علاوة على توفير الدوريات والكتب التي تأخذ هذا المنحى شريط أن تكون المواضيع مواكبة لسن المتعلم وتتماشى مع الأخلاق، هذا وتشفع هذه القراءات العروض بمناقشات بناءة في جو من الاحترام والديمقراطية والغاية من ذلك النهوض بذوق المتعلم وصقل مواهبه التحليلية والنقدية وتحسين قراءة الصورة و تطويرها والتميز بين رديئها و جيدها.

⁷¹ محمد الراجحي ووحيد قنورة : المكتبة المدرسية في التعليم و التعلم، تونس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1996، ص 26.
⁷² نس المرجع، ص 26.

لا يجب أن نغفل عن الوظيفة التعليمية التي تؤديها المطلعة حيث أن العصر الحالي يتميز بكثرة المعلومات و تجديد المعارف وسرعة التغير فائقة، و تعتبر القراءات الفردية أو المطالعة على مجموعة من المصادر الأخرى التي يتناولها المتعلم إلى جانب المصادر المدرسية حجر الزاوية التي تبنى عليه المعرفة الواسعة، تتمثل وظيفتها في قدرتها على تلبية حاجة المستفيدين من طلبة ومدرسين، وتلعب هذه القراءات دورا هاما في العملية التربوية بما توفره من مفاهيم و نماذج بطرق مختلفة تساعد على إستيعاب الدروس و الاعداد الجيد.

ونجد من جهة أخرى، أن الاتجاهات الحديثة تولى إهتماما خاصا، وتؤكد على ضرورة تنوع مصادر المعلومات حيث لم يعد الكتاب المقرر أو الدرس النظري و حده هو الكامل للمعرفة و الذي يلتزم به في نفس الوقت المعلم أو المتعلم إلتزاما كليا لأنه لا يحيط بمختلف جوانب المواضيع أو المعرفة، فهو إذن يحتوي على حد أدنى من المعرفة، هكذا نجد العديد من الأساتذة يحثون على إستكمال المتعلم بجهده الفردي لأستغزار المادة المدروسة، و نجدهم يتركون الحرية للطلب عن البحث والتقيب عن المعلومات الأساسية للمادة المدروسة من المصادر الأخرى، إذ أن المعلومات التي يكتسبها الطلبة من خلال الدرس النظري، لا تمثل القدر المناسب إذا ما قورنت بالحجم الكلي للمعرفة و نموها المستمر.

زيادة على هذا، فما تزال الأخطار البيئية تحدد بنا من كل صوب وتهدد كيان الانسان، و لعل خير علاج هو تحسين طاقات المتعلم، وتوعيته إلى أهمية الموضوع و ضرورة أخذ التدابير اللازمة لتقليل هذه الأخطار وتطويرها و الميولة دون توسعها.

يمكن للمطالعة أن تقوم بدور فعال لتقريب المفاهيم البيئية بمختلف أنواعها من أذهان المتعلمين و جمع المادة التوثيقية المتوفرة حول الموضوع، و الخروج بتوصيات تكون بمثابة المرشد يلتزم كل متعلم بالعمل بها و إحترام ما جاء فيها من خلال المطالعة، و تلعب هذه المطالعة دورا توعويا لدى الذين يفتقرون إلى الثقافة البيئية أو الصحية، كما النوعية بكيفية إنتشار الأمراض المعدية و بمضار بعض المواد و الممارسات على صحة الانسان إذا ما حصل على معلومات من خلال المطالعة على المصادر التي تتناول هذه الأنشطة هكذا نفهم أن للمطالعة أثريات ووظائف في حياة الانسان عامة و حياة المتعلم خاصة.

يتميز العصر الحديث بكثرة مصادر المعلومات و تنوع أوعيتها فبعدما إنحصرت في المواد المطبوعة كالكتاب و الدوريات و المواد الخرائطية، أصبحت الآن تستعمل عدة تقنيات حديثة و سهلة التناول لجميع الأعمار و لكل فئات مجتمع القراء المتعلمين أو غير المتعلمين. فهناك مواد بصرية التي يعتمد في إستقبالها على حاسة البصر وحدها كالنماذج و الأشياء والشرائح والرسوم والصور والأفلام الصامتة، وتوجد أيضا مواد سمعية و التي يعتمد في إستقبالها على حاستي السمع والبصر في وقت واحد كالأفلام الناطقة والبرامج التلفزيونية والتسجيلات المختلفة التي تستخدم الصوت و الصورة معا.

و بتطور تكنولوجيا المعلومات، بدأت المقروئية تأخذ لنفسها مسارا ثانيا هاما، حيث تعد الأقراص المدمجة مثلا من أهم أشكال مصادر المعلومات التي شقت طريقها إلى المكتبات في الوقت الراهن نظرا لما تتمتع من مميزات معتبرة، و من أهم هذه المميزات قدرتها الهائلة على إختزان المعلومات، حيث تخزن حتى 650 " ميغا باين" على كل قرص، وهو ما

يعادل 250.000 صفحة مطبوعة أو 5000 صورة أو 20 ساعة من الصوت أو نحو 1000 قرص مرن فضلا عن إمكانية تسجيل المعلومات النصية والمسموعة والمرئية عليها، ومن ميزتها الأخرى الضخمة على توفر واحد مما يسير ويسهل عمليات البحث والاسترجاع من على قرص واحد.

وزيادة على هذا، ظهرت شبكة الأنترنت التي تربط العالم كله وتقديم العديد من الخدمات و المعلومات عليها، و هي ذات أهمية بالغة للمكتبات والمطالعة، حيث تقدم مصادر حديثة للمعلومات غير متاحة في الأوعية المطبوعة و هي تقوم إمكانية الوصول الشخصي للمتخصصين في العديد من المجالات لتبادل المعلومات ووجهات النظر.

وترجع أهمية استخدام الأنترنت بالنسبة للمتعلم باستخدام التقنيات الحديثة والاطلاع على أكبر قدر من المعلومات، كما يمكن أن تشكل الأنترنت مصدر مساعدة المتعلم في أداء واجباته و التعلم فضلا عن الاستفادة من أوقات الفراغ و تكون الفرصة المناسبة التي تزيد في الرغبة في البحث والاطلاع على مجريات الأحداث و الجديد في عالم المعلومات والتكنولوجيا.

2/1) المقروئية للمعرفة و المقروئية للهبة الاجتماعية:

1-2/1) النظام التربوي والتنشئة المكتبية:

تتوجه النظم التربوية الحديثة نحو ترسيخ أسلوب التعلم الذاتي لدى المتعلم، قصد إكسابه القدرة على الحصول على المعرفة بأكثر إستقلالية وتنمية ملكاته الاراكية و شخصيته للفكر منذ الصغر.

تعتبر كل أطوار التعليم، بدءا من الابتدائي، و المتوسط، والثانوي ثم الجامعة الفضاء الأول الذي يؤمه المتعلم و يأخذ من مناهله الدروس الأولى

للمعرفة، أين يتعلم كيف يشغف بالمطالعة و كيف يتقدم متحمسا خطواته الأولى كباحث صغير يكبر فيما بعد و يشتد عوده بالاستناد إلى ممارسته اليومية و نصائح المحيطين به، و هنا تتجذر فيه روح المبادرة والنقد البناء ويشب على الخلق و الابداع و يكتسب الخبرة و يتدرب على كيفية التعلم بوحده " إن تقاليد البحث و حب الاطلاع الأولى تكتشف ثم تكتسب بإنهاء مرحلتي التعليم المتوسط و الثانوي "73. و بالتالي فإن علاقة المتعلم بالمكتبة و المقروئية هي علاقة جدلية يتوقف على نجاحها أو فشلها خلق مجتمع قارئ إستانس إرتياد المكتبات على إختلاف أنواعها و يعود إليها كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

و إذا نجحت المكتبات المدرسية بما فيها الجامعية في توطيد العلاقة فستجعل من المتعلم رجلا مطالعا و قارئاً طوال الحياة، لا تنتهي مطالعته بإنهاء الدراسة أو في بعض الأحيان عند فترة البحوث الفردية أو الجماعية . أو بمجرد اجتياز الامتحانات.

وإنما تبقى هذه العادة مرسوخة في أذهان الطلبة من أجل العلم و المعرفة و ترافقه طوال الدراسة أو الحياة و يلتجأ إليها للتعلم و للتثقيف، لأن مستلزمات العصر " كالتطور التكنولوجي و التغيير السريع لأطوار الحياة الاجتماعية و الاقتصادية تستدعي من الفرد أن يجدد معارفه و ينقن كفاءته حتى يتسنى له مواكبة العصر .

للتعليم قاعدة، فإذا كان ناجحا، فإنه بإمكانه أن ينمي الرغبة في التعلم، و هذه الرغبة تقود المتعلم إلى مواصلة الدراسة ضمن الأنظمة التربوية، و أما الذين يرغبون في مزيد من المعرفة فإنهم سيلجأون إلى طرق

⁷³ محمد الرابي ووحيد قدورة : مرجع سابق ، ص 16.

أخرى⁷⁴. وعلى هذا الأساس ظهرت عدة حملات تعليمية في عدة بلدان و أطلقوا عليها حملة تعليم الراشدين، و بكل بساطة، يجب أن لا نفهم من كلمة تعليم الراشدين رفع الأمية عنهم في الكتابة و القراءة بل هي تعني رفع المستوى العلمي و الثقافي، حيث يشمل هذا العمال ورجال الأعمال و المتعلمين و المعلمين و الأساتذة⁷⁵. و أول حملة ظهرت في الدنمارك قام بها في أواخر القرن التاسع عشر، و نستخلص من هذا، مهما طال العمر فإنه ليس بإمكاننا الحصول على كل ما يتطلبه العصر، لأن المعرفة متجددة و متسارعة في أن واحد.

ولعل أهم هذه المتغيرات هي الثورة المعلوماتية التي عرفها النصف الثاني من القرن العشرين و أنشأت بـ " جيل المعلومات". لا غرابة في أن المعلومات و تكنولوجياتها أخذت تتبوأ مكانة عالية في حياة الانسان لما تلعبه مستجدات من دور في الحياة بكل أشكالها، و أثرت في التعليم تأثيرا بالغا و إتضح أن الطرق التقليدية للتعليم لم تعد تعني بالحاجة في ظل هذه المستجدات المستجدات لأن التعليم قديما كان يركز على تلقين المعلومات واليوم يعني " إكتساب المتعلم المهارات التي تمكنه من الحصول على المعلومات و إستخدامها إستخداما وظيفيا لمختلف الأغراض و على ذلك فإن هدف المدرسة في العصر الحالي هو تعليم المتعلم كيف يعلم نفسه بنفسه⁷⁶.

فإذا كان التعليم هو كل ما يتلقاه المتعلم في كل أطوار المدرسة من زاد معرفي عن طريق المدرس في ظل البرامج المدرسية أو التعليمية المحددة سابقا بات من المؤكد أن التعلم هو عملية إكتشاف المتعلم للمعارف

⁷⁴ UNESCO, *éduquer, former et sociologie de la lecture*, opcit, P 73.

⁷⁵ عبد الله شريط، المرجع سابق، ص 79.

⁷⁶ حسن محمد عبد الشافي:ال مرجع سابق، ص 20.

واكتسابها بمفرده أثناء ممارسته اليومية لكل نشاط بحثي أو قرائي مهما كان نوعه و الغرض منه⁷⁷. و من خلال كل هذا ، فالتعلم هو كل ما يسعى إليه المتعلم و ما يكسبه من معرفة و خبرات و مهارات من جراء مجهوداته الخاصة أي ما يعني مهارته الفردية و تطلعاته الذاتية.

والجدير بالذكر أن التعليم الجماعي هو تعليم لا يراعي الفروق بين متعلمي القسم الواحد، في حين يهدف التعلم إلى إبراز مواهب المتعلم وصلتها بالاعتماد على قدراتها لخاصة ويعبر إهتماما كبيرا إلى هذه الفروق ويسعى إلى التخفيف منها أو القضاء عليها، هذا ما يدل أن الاجتهادات الفردية ضرورية وحتمية لكسب المزيد من المعلومات من العلم و المعرفة وليس لكسب أو من أجل الحصول على النقاط في الامتحانات أو الانتقال من سنة إلى أخرى، أو اجتياز طور من الأطوار، بل هذه المجهودات الفردية تغذي العقل بالمعرفة و من أجل المعرفة وليس سواها.

1 / 2-2) المعرفة وضرورة ترسيخ اسلوب التعلم الذاتي :

العديد من الدراسات في العلوم التربوية أو البداغوجية أثبتت أن أيام التعليم الجماعي قد ولت و أن عهدا جديدا من التعليم الفردي على وشك الظهور. فأصبحت النظم الحديثة التربوية تسعى إلى الاستماع إلى كل متعلم على حدة و محاولة فهمه و الاخذ بيده و مساعدته على حل مشاكله بمفرده وبمجهوده الخاص، بحيث أصبح الاعتناء بالفرد أكثر ركائز التعلم وأصبح القارئ يستفيد من المعلومات من مصادرها المختلفة وعلى اختلاف أوعيتها الورقية فقط والمتمثلة بالخصوص في الكتب والمجلات والخرائط⁷⁸.

⁷⁷ محمد الرابي ووحيد قنورة ، مرجع سابق ، ص 17.

⁷⁸ محمد الرابي ووحيد قنورة ، المرجع السابق ، ص 18.

ومن كل هذا، وأول قراءة يمكن أن تقدمها، أن تقدم الفرد - المتعلم - يؤثر في المجتمع وبطبعه بطابعه الخاص ولا نبالغ إن قلنا إن تطور المجتمع مرتبط ارتباطا كليا بقدرة الفرد على تعليم نفسه بنفسه واكتساب الخبرة التي تنمي معرفته وتزيد مهارته . و" التربية المستمرة كما تعرف تمتد طوال مدة الحياة"⁷⁹ . Eduquer tout au long de la vie . وهذا ما يعني أن التربية لا تنتهي بإنهاء تعليم الفرد الرسمي في المدرسة أو الجامعة بل تدوم بدوام حياته و تستمر بإستمرارها⁸⁰ .

ومن هذا المنظور يمكن استخدام مفهومين آخر و الذي يتجلى من وراء هذه الجهود الفردية للمتعلم من تلقاء نفسه و الذي نسميه بالمقروئية للمعرفة و المقصود منه التصرفات و الممارسات اليومية و المستمرة التي يقوم بها المتعلم لتمكين نفسه بالاعتماد على ذاته و على مخزونه المعرفي في اكتساب مهارات قوية و قدرات شخصية لتكوين ذاته بما يمكنه من التلازم الايجابي السوي مع متطلبات الحياة في مجتمع سريع التغيير .

لا تتحصر مهام المتعلم في الجدول التوقيتي الذي يمكنه في قاعات التدريس، أو في المدة التي يقضيها في الجامعة سواء أن طال أم قصرت، وإنما المهمة الرئيسية هي أن يصبح في هأثناء مزوالة دراسته قادرا ومؤهلا بالمهارات الكافية التي تساعد من التكوين السليم وأن يدخل سوق العمل من بابه الواسع هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يباهي بتكوينه وهذا ما يصح أمامه باتا أخر لمواصلة الدراسات والأبحاث على درجة أعمق .

العمل البناء، يستدعي منذ الوهلة الأولى، وضع خطة منضبطة لا تلزم صاحبها (المتعلم) الاعتماد على الدروس النظرية فقط، بل إجتيازها، أي

⁷⁹ نفس المرجع السابق ، ص 18.

⁸⁰ UNESCO, opcit, P 73.

ما يجبره على القيام بمجموعة من الأعمال الفردية المستدامة مثل القراءات المتنوعة وعلى كل الأوعية سواء منها المكتوبة أو السمعية أو البصرية للاستزادة من المعرفة خاصة ما إذا فهم كل واحد منهم موضعه الذي يتمثل أكيدا، في البحث عن هذا الغذاء الذي يقوت العقل و يهندسه.

(3/1) التوزيع الاجتماعي لحاجة المقرئية :

(1-3/1) تنوع حاجات المقرئية :

وإذا تكلمنا سابقا عن أنواع المقرئية ووظيفة كل منها، فإن لكل فرع (نوع) منها فئة اجتماعية تسعى بفضل القراءة تحقيق هدفها المعلن.

قبل أن نتناول هذا الجانب بالشرح الكافي بين أنواع المقرئية وعلاقتها بالتوزيع الاجتماعي للفئات المرغوبة فيها، فإنه مهم أيضا أن نشير إلى عامل السن الذي يعد مؤشرا هاما لميل هذا أو ذاك إلى نوع من المقرئية، فمثلا الشيوخ الكبار الذين هم في مرحلة التقاعد ومن أجل ملء أوقات فراغهم نجدهم يلجأون إلى قراءة الصحف الوطنية أو قراءة القصص، وقد يظن البعض منهم أن القراءة التوثيقية من ضياع الوقت أو يفسره الأخر بفوات الأوان، عكس الشباب أو الراشدين، نجدهم إلى جانب هذا النوع من المقرئية، البعض يفضل القراءة التثقيفية أو التوثيقية التي تهتم و تخص ميدان عمله مثلا، للاستزادة من المهارة والتحصيل. وقد يهم هذا أكثر فئة المتعلمين والطلبة الذين يسعون حتما إلى مزيد من المعرفة والثقافة، والذين يفكرون بأن المستقبل أمامهم و هذا من شأنه يعد عاملا لتحفيزهم لمزيد من هذا النوع من المقرئية لضمان المرتبة والسلم الاجتماعي والتحصيل والكفاءة.

أما عن مقروئية الانفلاتية فهي تخص عادة فئة الشباب الذين يشعرون بالعزلة عن المجتمع ويحسون بالقطيعة عن الأفراد الآخرين، وذلك نتيجة الظروف القاهرة كالحالة الاجتماعية للعزاب أو الحالة الاقتصادية كالبطالين، وإنه نتيجة كل هذا، كثيرهم من هذه الفئة وهذا النوع، يسعون لاحتواء هذه العزلة بالرجوع إلى المطالعة التي تصبح الرفيق الوحيد وتغمر حياتهم اليومية الجديدة و يفرون من الواقع الحقيقي للمجتمع ويكونون عالمهم الخاص بهم، بحسب الصورة والحقيقة التي يتقمصها البعض من خلال القراءات لبعض القصص.

1-3/1) حاجة المقروئية في الوسط المعرفي :

وعلى حد طرح " مورييس هالبوايس - Halbwachs Maurice الذي ميز بين عالم الأشياء الموجهة نحو المادة، وعالم الأشخاص والنشاطات الانسانية الموجهة نحو الحقائق الانسانية⁸¹. فإنه يرى البعض أن هذا التقسيم الثلاثي تقابله ثلاث فئات حسب التوزيع الاجتماعي لحاجة المقروئية⁸².

A cette tripartite des domaines d'activité correspond une tripartite des hommes et de leur intérêt à la lecture ».

وقد نفهم من هذا، أن كل من الباحث، والمهندس والتقني هم بحاجة ماسة للمعرفة والعلم الكافي لمعالجة الشيء الذي يخص عالمهم المادي (المهني)، لذا نجدهم يلجأون إلى توظيف عادة القراءة من أجل التوثيق للاستزادة من المهارة والتفنن في أداء مهامهم، مثلا لقراءة الكتب والمجلات العلمية والتقنية، وكذا نفس الشيء بالنسبة إلى الإداريين والمسيرين الذي يحافظون على القانون العام وإحترام الاجراءات الادارية داخل الهيئات الرسمية، لأنهم يفهمون جيدا أن تدبير هذه الشؤون تستلزم مراعاة العلاقات

⁸¹ Maurice Halbwachs : **Matière et société**, Paris minuit 1972, P 58.

⁸² UNESCO, opcit , P 170.

الانسانية والاجتماعية والاتصال بين الأفراد، فإنهم نجدهم بين الحين والآخر يسعون إلى توظيف تقنية القراءة خاصة فيما يتعلق بالعلوم الانسانية والنفسية للاستفادة من معلومات إضافية تمكنهم بأداء مهامهم على أحسن وجه داخل هذه المؤسسة.

أما عن المقرئية التي تهم موضوعنا، فهي تلك العادة أو التقنية التي تنتزع على فئة المتعلمين أو الطلبة على مختلف الأعمار والجنس، أي أولئك المتدرسين على مستويات مختلفة بدءاً من الابتدائي، والمتوسط والثانوي، فالجامعي الذين يسعون من خلالها إلى مزيد من الثروة العلمية والمعرفية والتي تنمي تحصيلهم العلمي وتشجعهم على مزيد طلب المعلومات والأفكار. إن توظيف هذه المقرئية من طرف هذه الفئة بالضبط تنمي فيهم الابداع و تعتبر أداة وحافزا ومشجعا لاستقزاز الزاد المعرفي والتعلم من جهة أخرى، أي تغذيتهم بالقدرة و المنهجية لكي يتعلم كل واحد بنفسه وتزرع فيهم روح الاعتماد على النفس ليس فقط لاعداد الدروس وإنما كيف ينشأ السبيل لوحده دون الاتكال على أي طرف كان.

ولا ننسى فئة أخرى، كحالة الأمهات والعازبات الماكثات في البيت، التي تملئ أوقات فراغها بقراءة المجلات أو الكتب التي تساعدنا في كسب حرفة من الحرف النسوية كالخياطة والتفنن في الطباخة وغيرها. وفي هذا الجانب بالذات ونحن نتكلم عن المرأة، فمنهن من يطالع لحصولهن على ثقافة تدبير شؤون المنزل و رعاية الأطفال وتربيتهم، وكذلك على ثقافة التجميل أو ما يخص بالأحرى أحوال النساء.

ومنه نفهم أن المقرئية أو حاجة المقرئية يمكن أن نقسمها حسب السن و الجنس و حسب الفئات الاجتماعية مهما يكون نوع المقرئية التي

نوظيفها إلا أنها تساعد في العموم في إستزادة المعرفة لأي طرف كان، سواء أن كانت قراءة توثيقية أو تثقيفية أو إنفلتية ... إلخ.

2 (تعدد وظائف المقرئية وعلاقتها بالتحصيل المعرفي لدى الطالب الجامعي :

1/2) العودة إلى الكتاب هل هي عودة إلى الذات :

1-1/2) مفهوم الكتاب في الحقل التعليمي :

في هذا المقام، يكفي أن نقول أن التحصيل العلمي لدى الطالب الجامعي لا يكمن في ذلك الحضور اليومي أو في الساعات التي يقضيها الطالب مع الأستاذ داخل قاعات التدريس، و نشير من جهة، أنه رغم تطور أساليب التدريس خاصة مع تطور البداغوجيا الحديثة، إلا أن حجم المعرفة وتدفق المعلومات التي تسير على وتيرة متسارعة لا يسمح للطالب بإستعباه، و من جهة أخرى، مهما تكون درجة و خبرة و أقدمية الأستاذ الملقن، إلا أن هذا الأخير هو أيضا لا يستطيع أن يلبي كل الحاجيات المعرفية أو أن يزود الطالب بكامل المعلومات التي يحتاجها سواء لاستكمال نقائصه أو لاثراء زاده المعرفي و التحصيلي.

زيادة على هذا، و في نفس الاطار، أن الطالب في المرحلة الجامعية يكون قد إكتسب بالقسط الأفر الطرق و المعرفة القاعدية التي تؤهله لتوظيف هذه المكتسبات، و لا سيما لاثراء الوسائل و توفير الامكانيات و إبداع الأساليب، سواء من الناحية المنهجية أو التقنية، أي توظيف طرق جديدة والتكيف مع النمط الجديد الذي يدور في فلك الجامعة، الذي قد يختلف عن الطرق المعتادة في المراحل الدراسية السابقة.

و هذا يعني أن الطالب في المرحلة بالذات، بالاحتكاك و المثابرة يكون قد إكتسب الثقة في النفس، ومنها التفكير في المنهاج الصحيح، حيث هذا النمط بالذات يعتمد على قدرات الطالب، هذا الأخير لا يعتمد على حجم المعلومات التي تحصل عليها أثناء الدروس النظرية من طرف الأستاذ، وإنما يتعلم كيف يعتمد على نفسه في إستغلال المعلومات وخلق الأساليب الجديدة للوصول إليها، والتي تسمح له من زاوية أخرى، ليس فقط التأقلم والتعود على النفس، وإنما أيضا لضمان نجاحه التعليمي، وكذلك هضم هذه المعرفة التي تجعل من نفسه طالب علم ومعرفة، وهذا ما يساعده على فهم موضعه داخل فلك الجامعي.

ويتضح من كل هذا، أن الطالب عند هذه المحطة بالذات يكون قد إتضحت له الصورة جيدا، و فهم موضعه، وهذا من شأنه طبعاً ينمي فيه مهارة البحث و التعود على النفس، أي أن هذا الأخير، يزرع في نفسه التعود على الذات و إنماء رغبة المطالعة، حيث العودة إلى الكتاب ليس فقط من أجل إنشاء الأعمال المطلوبة منه فإنجاز البحوث أو البطاقات أو غيرها من الأمور كالأعمال الموجهة من طرف الأساتذة ليروق له أو كي يتحصل على النقطة الكافية كأنها دين عليه، وإنما الأهم من هذا أن تصبح عادة الرجوع إلى الكتاب والمطالعة، والبحث تقنية مكتسبة و يتماشى بها طوال الحياة الجامعية، و تكون بكيفية مستدامة و مستمرة طوال الحياة.

إنطلاقاً من هذه الممارسة، يتمكن الطالب في الغوص في معركة بحث المعرفة بالاعتماد على ذاته، وهذا ما يزيد في إستثمار طاقته الفكرية من أجل الهيبة المعرفية، و يجب أن يكون حريصاً عليها مشوار الدراسة أو حتى بعدها لأنه مهما طال العمر، لا يكون بمقدورنا الالمام بكامل المعلومات التي تتدفق من حين إلى الأخر، خاصة في الانفجار المعلوماتية

ومستجدات العصر والتكنولوجيا، حيث العام و الخاص يعلم بأننا نعيش في عصر تنقلص فيه المسافات، وأصبحت المعلومات تسير بسرعة البرق وتتصارع الدول وتتفاخر بينها بما تستحوذ من المعرفة والعلم، وأصبح العالم قرية صغيرة مما يستدعي لمجتمع الصغار أو الكبار على السواء بالتكوين المتواصل والتعلم طوال الحياة.

يجب أن نفرق بين هذا النمط من المقروئية عن تلك التي يلجأ إليها الطالب من أجل الترفيه أو البحث عن الذات (الانفلات)، العودة إلى الكتاب، كلما كانت الرغبة فيها متزايدة، أصبحت هذه العادة حافزا في إنماء القدرات الفكرية لدى الطالب، لأنه كلما أصبح فك الغموض سهلا وواضحا أمامه من جراء الممارسة إستتارت له الرؤية، و هذا بدوره يحثه على المزيد منها، أي كثرة تداوله على المكتبات و البحث عن الكتب و المطالعة فيها و الاعتماد على ذاته في التعلم و بطبيعة الحال، هذا يساعده على التدريب على حل الصعوبات التي تعرقل خطواته إلى الأمام و المزيد من التحصيل السليم و الكافي من أجل المعرفة دون سواها. و من المؤكد أن هذه العادة في الفترة المبكرة من المرحلة الجامعية مهمة جدا في حياة و مشوار الطالب الجامعي لأنه في أغلبية العادة لا تتشابه طرق التلقين في المرحلتين الثانوية والجامعية، حيث أكدت الدراسات أن الطلبة الذين لا يستطيعون التعود والتأقلم مع نمط وطرق التدريس أثناء الفترات الأولى من الدخول الدراسي الجامعي كثيرا ما يتخلون عن الدراسة أصلا، أو البعض منهم يلجأ إلى إعادة التسجيل في معاهد أو جامعات أخرى.

1/2-2 التعود على الذات الاكتساب المعارف:

إذن يتضح بديهيا، أن الجامعة كنسق المعرفة يجب أن يتكفل بالتوجيه السليم لزرع هذه الثقافة العملية التي تظهر مهمة في مشوار الطالب

الجامعي، وأن تصبح هذه المهمة على عاتق الأستاذ، والمرشد والمكتبي ...
إلخ لا ينحصر الكلام عند هذا الحد فقط، وإن قلنا أن الدول تتصارع
وتتفاخر فيما بينها على ما تتفقه من ميزات في مجال العلم والمعرفة، فإن ما
قد يبدو مهما فوق كل هذا، ليس في مدى إستعاب الحجم المعرفي المتدفق
وإكتسابه، وإنما الأولوية من كل هذا، هو كيفية إيجاد الطرق و الأساليب
لإعادة نشره من جديد، و الاستفادة منه من قبل الأجيال الصاعدة: المشكل
الأساسي في العلم الحديث (البداغوجيا الجديدة) هو ليس كيف نصل إلى
المعلومات بل كيف نعيد نشرها، و في هذا المجال بالذات، ظهرت في
البلدان المتقدمة عدة دراسات تتناول هذا الموضوع، ومنها شرعت هذه
الأخيرة في إبتكار و إبداع الوسائل السمعية البصرية، وإنشاء التعلم من بعد
(L' université à distance)، التلفزة، الإذاعة، الأفلام. و غيرها من التقنيات
الجديدة التي ظهرت في هذا الميدان، حيث بإمكان المتعلم الاستغناء عن
الأستاذ، لاستحواذه على كامل المعلومات، على أن الأخصائيين في هذا
الميدان، إبتكروا أحسن الطرق لتبليغ المعلومات بعدة كفاءات مع مراعاة كل
الفوارق كالسن، درجة الذكاء، العامل النفسي و غيرها من الأمور التي
تتماشى و تتطابق مع الأسس العلمية و البداغوجية الجديدة.

هذه الوسائل الجديدة كثيرا ما تساعد وتحت الطالب على التعود على
الذات، و لا نبتعد عن إطار المقرئية والعودة إليها و نؤكد مرة ثانية وثالثة
أنها ضرورية في إقتناء الكتب لا تكمن فقط في الطريقة التقليدية المعهودة
سواء بشراءها أو إعادتها من المكتبة أو من الزملاء، بل ظهرت تقنية جديدة
كثيرا ما تبدو سهلة وسريعة بالنسبة للقارئ وهي الأنترنت.

ظهرت هذه الطريقة أي المقرئية عن طريق الأنترنت لفك الحصار
على المكتبات، وكذلك لاختصار الوقت والجهد، حيث في الوقت الحالي،

العديد من القراء سواء أن كانوا طلبة أو باحثون أو من جميع فئات المجتمع يقضون أوقاتهم أما جهاز (شاشة) الأنترنت للحصول على المعلومات. وما يجب أن نشير إليه أن إمكانيات وفرص الانترنت متوفرة في جميع البلدان على جميع الأصعدة، وأن هذه الأخيرة إنتشرت وشملت كل المؤسسات والجامعات والثانويات والمدارس والمعاهد وغطت كل أنحاء البلاد بما فيها العائلات والقرى والمدن الصغيرة أو حتى الفقيرة.

هكذا نجد في البلدان المتقدمة عدة دراسات تتناول موضوع المطالعة

ضمن القراءة التي يوظفها الفرد إنطلاقا من الأنترنت، فمثلا من خلال

الدراسة التي أجريت سنة 2000 على الثانويات الأوربية كما يوضحه

الجدول أسفله، نلاحظ أن حوالي 10 % منهم يقضون أكثر من ساعتين كل

يوم للمطالعة إنطلاقا من الكومبيوتر - الأنترنت⁸³.

المدة	القراءة من الكتاب	القراءة من الكومبيوتر
أقل من نصف ساعة / كل يوم	37	29
ما بين ½ ساعة - ساعة / يوم	33	33
من ساعة إلى ساعتين / يوم	11	22
أكثر من ساعتين	5	5
لم يقرأ - لم يستعمل الكومبيوتر	8	8
دون إجابة	7	7

معدل مدة القراءة على الورق و على الكومبيوتر بـ % أيام الدراسة.

كما قلنا سابقا، إستعمال القراءة أو الاطلاع على المعلومات عن

طريق الأنترنت لا تتطلب وقتا كبيرا، و سهلة و سريعة و أهم ميزة لهذه

الأخيرة أن هذه التقنية توفر الراحة و سرعة الحصول على المعلومات

والنصوص التي نريدها.

⁸³ Jean François Hersent : **Sociologie de la lecture en France : état des lieux**

France - Juin 2000

و في كل الحالات، يبقى حسب الاخصائيين أن الكتاب أحسن بكثير على التقنيات الجديدة لأنه يسهل علينا العودة إليه عدة مرات، وإنه ليس بإمكاننا أن نجرى أي تغيير أو إضافات فيه، و إن إختلفت الوسائل إلا أن الهدف و النتيجة واحدة سواء أن إعتد الطالب على القراءة من الورق أو من الأنترنت، و هذا ما يفسر أن كلتا الحالتين ماهي إلا من خلال مجهودات وطاقات الطالب التي يبذلها في الحصول على المعلومات والزيادة في التحصيل العلمي و المعرفي.

و عند هذا المستوى، يكون الطالب قد تمكن من التعود على الذات للحصول على ما يريده من فكر و معرفة و تعلم كيف يتدرب للوصول إليها بثتى الطرق.

(2/2) المقروء البياني و المقروء البرهاني :

(1-2/2) المقروئية والمعرفة المنهجية :

صحيح أن العودة إلى الكتاب هي التعود و الاعتماد على الذات من أجل الحصول على الزاد المعرفي و إستغزار الأفكار و لكن الأهم من هذا، هو أن عملية المداومة و الاستمرار في تقنية القراءة تهيئ للمتعلم الظروف من هذه العادة - المقروئية - منهجية تساعده ليس لتتمية قدراته ومواهبه فحسب، بل تمكنه من ربح الوقت وتوفير الجهد، لأنه كلما تعود وتدريب على المقروئية، تمكن من الحصول على المعلومات و المعرفة، وهذا من شأنه ما يدفع الطالب كل مرة لتصفح العدد الكافي من المراجع وذلك في وقت قليل، بالفهم الجيد والتمعن فيه، وكلما كانت جهود الطالب مرغوبة ومقصودة نحو هدف مسطر، سمح له بخلق الأرضية المعرفية التي تتجه له الطريق في حصوله على القدر المعتبر من المعلومات وبإمكانه أيضا معالجتها بكل سهولة وفعالية.

على هذا، فإن المتعلم الذي يتفضل كل مرة، من تلقاء نفسه بالرجوع إلى الكتاب، لا يهمله لا حجم الكتاب و لا حتى نصوصه أو زخرفته، و إنما كل ما يهمله أو ما يشغف باله هو المعرفة المنهجية فيه و هذا بدوره أن يصبح بالوقت العامل الذي يجتذبه كل مرة.

هذه المعرفة المنهجية التي يبحث عنها الطالب هي التي تساعده بخلق طريقة منتظمة، تسمح له بترتيب الوقت و تنظيم الأفكار و سطر الأهداف، و ضبط المنهجية لنفسه حتى يتمكن ليس فقط بتنظيم قراءته حسب الأوليات و إنما أيضا وضع خطة وراء كل قراءة كإعداد البطاقات وإنشاء خلاصات و غيرها من الأمور، و كل ذلك حسب حاجيات المعرفة و حسب مواهب الطالب.

قد نعجز عن القراءة كلما كان محتوى النص شاقا أو متعبا وخاصة ما إذا كان صعبا للفهم، لكن المتعلم الذي نشأ على التربية المكتبية و تعود على إستعمال تقنية القراءة و أتقن كيفية الحصول على المعلومات التي يريدتها، و هكذا يكون قد إكتسب من المعرفة و حتى من منهجية البحث التي دائما ما تدفعه و تحفزه على الابداع و تغذية عقله، وهذا ما يشجع الطالب كل مرة للمزيد منها، لأنه كلما تحصل على معلومة تشوق إلى أخرى.

ونحن كمتعلمون، كم نجد من تشجيع و إطمئنان وحالة نفسية مشجعة عندما نكون قد تصفحنا الكتب و إستوعبنا منها، و تحصلنا على المعلومات التي نبحث عنها، و في مثل هذه الحالة يكون الطالب قد تيسر له السبيل في حصوله و ضبطه على الخطة المنهجية التي تصبح الألية الفعالة في الاستزادة و تنمية الأفكار و المواهب و المكتسبات المعرفية.

2/2-2) التربية المكتبية والمعرفة المنهجية :

حتى أن بعض الدراسات أثبتت كيف بإمكاننا أن نجعل من مجتمع الصغار قراءون ، و يكونون مرغوبين في عادة المقرئية منذ الصغر، نجد أنه، أثبتت علوم التربية أن الطفل أو المتعلم في المرحلة العمرية الصغرى، يكون شغوف و يتشوق بمجرد رؤية الصفحات أو الصور الساطعة و ذات الألوان الجميلة، فنجد العديد من البلدان التي تولي العناية الكافية لهذه الفئة الصغرى و خاصة بكل ما يتعلق بإعداد و إنشاء مجتمع الصغار مقبل على التربية المكتبية، لأنها تدرك جيدا، أن النشئة الصحيحة و البناء تبدأ بالفئات العمرية الصغرى، و إذا تمكنا من ذلك، فنكون قد أنشئنا مجتمعا أصبح فيه الكتاب مرغوب فيه لكل فئات الأعمار.

وعلى حد قول " حكيم مصري قديم " وهو يخاطب إبنه ويدله عن أهمية الكتاب و مهارة القراءة في تعاليمه، ويقول: ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتاب أكثر مما تحب أمك، وليت في إستطاعتي أن أبرز لك ما في الكتب من روعة و جمال"⁸⁴.

وما يثير انتباهنا وما نستخلصه من هذا النداء الذي قدمه هذا الحكيم لابنه، هو أنه في تمام الإدراك بأهمية ما يعطيه الكتاب للمتعود على المقرئية من المعرفة المنهجية، وأنه يدرك جيدا، أن الانجذاب إلى الكتاب والرغبة فيه ليس من قبيل الصدفة بل من الحكمة فيه، وأن هذا الحكيم كان دقيقا في كلامه وكان يعني الثروة المعرفية والفكرية التي بإمكانها أن يجنيها إذا أحب الكتاب وتعود على القراءة.

وإذا كانت كتب الأطفال، قد أكدت وجودها، وأعترف بأهميتها على نطاق واسع بالدول المتقدمة التي تعمل بكل ما في وسعها على تقديمها

⁸⁴(محمد) السيد حلاوة : المرجع السابق ، ص 69.

ونموها، فإن كتب الأطفال ما زالت لا تلقى الاهتمام الكافي في الدول النامية، وقد يرجع ذلك إلى أن ترتيبها متأخرا في قائمة الأوليات التي تعمل هذه الدول على الوفاء بها بدا بتوفير سبل الحياة الكريمة لمواطنيها⁸⁵.

وعلى كل حال ، يجب على المتعلم أو الطالب أن يتسنى له الهدف الرئيسي من الاستعمال لتقنية القراءة وذلك من وراء كل قراءة رسالة يجب البحث عنها. القراءة الحقيقية هي البحث عن المعرفة المنهجية وقد نسميها آلية تسمح له باكتشاف فهم الخبرات الانسانية والابداعية والحضارية والمعرفية وبكل جانب يتعلق بإختصاصه وأهوائه، ويجب أن نفهم أن وراء كل كتاب مؤلفا، و لهذا الأخير رسالة يريد بثها إلى مجتمع القراء وهكذا تصبح هذه الرسالة ذات قيمة وتبقى في الوجود والزمان وينقلها جيل بعد جيل.

2/3) الموقع القرائي للطالب الجامعي: هوية معرفية أم هوية

اجتماعية

1-3/2) المقروئية الفضاء المكمل للبرامج التعليمية :

هناك شبه إجماع لدى إختصاصي المعلومات والتربية على أن المكتبة الحديثة هي الفضاء المهيكل التابع لمؤسسة تربوية، يجمع ويعالج ويبث أنواعا مختلفة مهما كان وعاؤها لخدمة التلاميذ والطلبة والمدرسين وحتى أصناف أخرى من المستفيدين بغرض تحقيق أهداف تعليمية⁸⁶.

إن هدف الجامعة مثل هدف المكتبة هو الأخذ بين الطالب ومساعدته على حذق المعارف والتمكن من البرامج أولا ومجابهة مشاغل الدنيا، خاصة وأن الطالب، قد يكون في المرحلة التي يواجه الحياة المهنية أو الاجتماعية

⁸⁵ محمد فتحي عبد الهادي وآخرون : مكتبات الأطفال، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة ، د ت، ص

41.

⁸⁶ محمد الراحي ووحيد قنورة : نفس المرجع السابق، ص 21.

بواسطة التعلم الذاتي، يتضح أن هناك تكاملاً بين هذه الثنائية ولا تستقيم الواحدة إلا بالأخرى، فالتعلم يشترط التعليم إلا أن التعليم وحده لا يكفي لتحقيق التعلم، فلا يكون التعلم تعلماً والمعرفة معرفة إلا إذا زود المعلم المتعلم (Enseignant enseigné) بكل الوسائل التي تمكنه من وبناء على هذا، يبدو لنا أن موقع الطالب الجامعي هو كل ما يكتسبه من خبرات ومعرفة بواسطة مجهوداته الخاصة ومهارته الفردية وتطلعاته الذاتية، ومعنى هذا، أن الطالب يكون مجبراً على نوع من نشاط، وهذا زيادة على الدروس النظرية التي يتلقاها يوميا من طرف الأساتذة و المؤطرين، وذلك عن طريق العمل الفردي من مهارة، و من مطالعة و تعلم.

ومن هنا، نستطيع أن نستخلص أهم الأهداف التي يتجلبها موقع القرائي في زيادة كسبه المعرفة، و ذلك إبتداءاً بتدعيم البرامج والمناهج التي يتعامل معها خلال العملية التعليمية بما يحقق التحصيل الدراسي، وكذلك التدريب على التفكير السليم و فهم المادة المقروءة، وزيادة على هذا، فالمطالعة، يجب أن يتسنى للطالب بأنها تعمل على تنمية القدرة التقييمية والنقدية والتمييز بين الغث والسمين من الكتابات، وتعمل على صقل المواهب الابداعية وتهذيبها، خاصة أنها تنمي القدرات التألفية التي يحتاجها الطالب و التي تبدو جد مهمة، حيث يكون فيها بين الحين و الآخر مجبراً على هذا النوع من النشاط، إن هذه الميزة تبدو لبعض الاخصائيين مهمة، " كما تشير إليه إحدى الدراسات التي أجريت في إحدى الجامعات الحرة في بلجيكا، أن الصعوبات الرئيسية التي تسجلت عن الطالب الجامعي تكمن في مستوى التحرير و التأليف⁸⁷.

2-3/2) هوية الطالب الجامعي وموقعه القرائي :

⁸⁷حسن محمد عبد الشافي: المرجع سابق، ص 20.

يتوقف نجاح التدريب على مدى إقتناع الطالب بهويته أو بمكانته كطالب للمعرفة داخل هرم الجامعة منذ السنوات الأولى، و بهذا نجد العديد من الدراسات تركز اهتماماتها على المتعلم بدلا من التمرکز على المعلم ذلك من منطلق اعتبار الطالب محور الفعل التربوي⁸⁸.

إن الغرض الأساسي للتكوين الجامعي هو ربط جسر التواصل بين الطالب و بين المعرفة و تكمن المهمة الأولى في توطيد هذه العلاقة حيث يشعر الطالب بأن الجامعة هي ذلك الفضاء الذي يمد له غذاء عقله ويصبح العلم و المعرفة بمثابة النور الذي يستنير طريقه. و لكن هذا، قد لن يحصل إذا ما إكتفى بالاعتقاد بأن مهمته هو الحصول على النقاط الكافية الكافية للانتقال من سنة إلى أخرى، أو بمجرد الاكتفاء بالدروس النظرية حتى إذا إستوعبها كاملة، و الجدير بالذكر هو أن الركن الأساسي لموضع الطالب في الجامعة بمثابة التسول الذي يأتي يوميا لطلب العلم، وكل هذا يتحقق بواسطة مجهوده خاص و ذلك من موضعه القرائي للمعرفة والتفنن في المواد المقروءة.

مما لا شك فيه، فالعمر مهما طال، لا يستطيع صاحبه أن يستوعب معارف العصر وتزايد المعلومات، وهذا ما يجعل أفاق المعرفة إلى مدى الحياة دون الوقوف عند مرحلة معينة و بزمن معين، حيث أن العمل إمتزج بالعلم والحياة، ولم يعد إجتناء المعرفة يقف عند مرحلة بالذات أو يخضع لأطار تعليمي معين وإنما أصبحت المعرفة مطلبا مستمرا بإستمرار الحياة. والمتأكد أنه إذا ما أصبحت هذه الحقيقة جزءا هاما في حياة الطالب هذا من جهة، وجعل منها أسلوبا وثقافة يتماشى وفقها لهدف نبيل من جهة أخرى، فإنه بالأحرى قد يكون مدركا بمهمته و هذا ما يجعل له السبيل أن

⁸⁸ محمد الرابي ووحيد قنورة ، المرجع سابق ، ص 17.

تفتح له أبواب الفكر والمعرفة. على مصرعيها وتغرس عنده حب المعرفة، وأساسي لكل متعلم مهما مكان تواجده، أن يكون بإمكانه بلوغ المسعى العلمي، وذلك بطريقة ملائمة، وأن يصبح طوال حياته صديق العلم⁸⁹.

ويعتبر الوقت الذي يقضيه الطالب في المطالعة الركيزة الأولى لعملية التثقيف وبها يكتمل دوره في الجامعة كخلية أساسية، ومن الواضح أن الهدف المرجو من المطالعة لا يختلف عن الهدف الذي يرمي إليه التعليم الجامعي بل يسعى إلى تكملته لاسيما وأنها تساهم في الزاد والتحصيل المعرفي، يجب أن يفهم الجميع أن موقع الطالب الجامعي هو جعل هذه الممارسة - المطالعة - يومية و غذاء عقليا لا ينبض⁹⁰.

هذا لا يعني إطلاقا، أن المطالعة محل لقضاء وقت الفراغ كما يظنه البعض، بل إنها الفرصة التي تتيح له قاعدة المعرفة وهذا لهدف أو وظيفة علمية.

2-4-1) المطالعة للمراجعة و المطالعة للأخر :

مهما إن اختلفت أطوار التعليم، فإن كل ما يتعلق بالاجتهادات الفردية للمتعلم تدخل في نطاق التحصيل العلمي و المعرفي له ويتضح لنا* جليا، أن جل الأعمال و الأبحاث وكذا المطالعات التي يتعود عليها الطالب، وهو في مرحلة الأعداد إلا وتصبح سلوكا بناءا ويجب السير عليها على مدى إختلاف أطوار التعليم، وعلى حساب إختلاف هذه الأطوار تزداد الحاجة إلى مثل هذه الممارسات التي تصبح عادة يومية في حياة المتعلم خاصة أثناء المرحلة الجامعية التي تتطلب تكثيف الجهود الفردية حيث يصبح فيها الطالب مجبرا لعداد نفسه بنفسه من خلال كل ما يقوم به من

⁸⁹ بن فاطمة (محمد) : دراسة حول واقع إستخدام التقنيات التربوية في الأقطار العربية و الصعوبات التي تواجهها، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس ، 1994 ، ص 9.

⁹⁰ UNESCO, opcit, P 155

بحث ومطالعة خارج نطاق الدراسة أي خارج نطاق العلاقة المباشرة التي تربطه أثناء الدرس بالأستاذ أو أحيانا مع المؤطر الذي يزوده بالمعلومات والارشادات، لكن في كثير من الأحيان، خاصة في الجامعة كثيرا ما يصبح الدرس في حد ذاته عبارة عن مجموعة من مفاتيح التي تصبح في يد الطالب إذا ما احسن فهم موضعه و ما اذا ما اخذ يوجه نفسه من خلال التوجيهات التي يقدمونها الأساتذة أثناء الدرس، لأنهم كثيرا ما يحثون الطلبة على إعداد أنفسهم بأنفسهم من خلال مجموعة الأعمال التي من المفروض أن يقومون بها، كالبحوث والمطالعات وذلك من خلال قوائم المراجع والمؤلفين التي يجب تصفحهم والعمل بهم أثناء الأعداد والتحصيل.

وعلى هذا الأساس، نفهم أن تلك المطالعات والأعمال الفردية التي يتعود عليها الطالب، هي المسلك الوحيد والمنهجية التي تسمح له بإستكمال النقائص، وكذلك الطريقة التي تسمح له أن يتعمق في مراجعة وفهم الدروس، وهذا من شأنه طبعاً يكون المنهج الذي يزيد في إستغزار أفكار ومنها التحصيل المعرفي الكافي والمطلوب.

وإنه لمن الطبيعي في حياة الطالب الجامعي أن تصبح هذه العادة أي ممارسة المطالعة والأعمال الفردية مرغوبا فيها، والجميع على معرفة بأن التحصيل المعرفي يتطلب أو أنه يستدعي في كل مرة المزيد والرغبة على التدريب على المطالعة والسير والاستمرار فيها، حيث تصبح هذه الأخيرة المسلك الوحيد للتعلم أن يتبوأ المرتبة المطلوبة منه، وكلنا بعلم أيضا أنه ليس من السهل وغنه ربما حتى من المستحيل الحصول على كافة المعاوامات من طرف الأستاذ داخل إطار الدراسة ما لم يتناوب الطالب على العمل الفردي والتكثيف فيه، وتصبح المطالعة ممارسة يومية طوال المدة أو

المرحلة الجامعية، لأن عصر الأمتداد المعرفي يتطلب من الاستمرارية في التعلم و التكوين.

وقد يفسر البعض، " أنه كلما كانت التربية القاعدية أي منذ مراحل التعليم الصغرى ناجحة كلما ازدادت الرغبة في مواصلة التعلي الصغرى ناجحة ازادت الرغبة في مواصلة التعلم.. ولكن الذين يرغبون في التعلم فإنهم يلجأون إلى طرق أخرى، و هكذا يقال: كلما كنا متكونون إزادات الإرادة في التعلم،⁹¹

Plus on est formé, plus on a envie de se former

ونفهم من هذا، أن الاعداد الصحيح منذ المراحل التعليمية الصغرى ضرورية، وهذا من شأنه ما يسمح للمتعلّم أن ينشأ على قواعد صحيحة، حيث ينشأ ويكتسب الأساليب والمهارات التي تسمح له بفك وزح العراقل التي تواجهه أثناء التدريب أو التحصيل لا سيما اكتسابه لتقنية التعود على النفس هذا من جهة، ومن جهة أخرى حصوله على المعلومات والتي تنمي قدراته الفكرية التي تزيد نوعية التحصيل المعرفي.

1-4/2المطالعة و بناء الذات:

نحن ونتكلم عن الطالب الجامعي، يجب أن يتسنى له ما هو مطلوب منه وهو عنصر من الكتلة المعرفية و يجب أن نفهم من جانب آخر أن الكتلة المعرفية هذه هي التي يجب أن تسعى وراء العلم والمعرفة، حيث يصبح التداول عليه ليس فقط لاستهلاك المنتج المعرفي و إنما يصبح مطلوبا منها إعادة إنتاجه والاستغراز منه.

هكذا نفهم، أن جل المطالعات التي يتعود عليها الطالب اثناء مراحل الاعداد والتحصيل إنما لبعث روح الاجتهاد من أجل الفهم الصحيح وكذا لمراجعة الدروس ومنها أيضا لاستكثار المعلومات والزاد العلمي، حيث

⁹¹ UNESCO, opcit, P 73

يصبح هذا الزاد رصيذا مكتسبا وهو الذي يمكنه ويحثه على المزيد من التنوير في الفكر والمعرفة، وهذا يصبح هذا الزاد سلعة يطلب من الطالب إعادة إرجاعها كلما طلب منه هذا، خاصة أثناء الامتحانات أو اجتياز أطوار التعليم.

الطريقة التقليدية في تلقين الدروس كثيرا ما أصبحت محل نقد من طرف العديد من الدراسات والباحثين الذي أكدوا وألحوا على أن يصبح المتعلم طرفا في إنتاج المعرفة والحصول على المعلومات سواء من خلال أعماله الفردية أو من خلال الأعمال الفوجية (groupe) التي يصبح فيها الطالب والأستاذ طرفا ومنتجا المعرفة، نجد أنه إعتمدت العديد من الجامعات والمدارس في إشراك المتعلم في المقررات والبرامج وكذلك أيضا حتى إختياره وقت إجتياز الامتحانات. وقد نفهم من هذا، أن الطالب عند هذه المحطة، لا يكون مجبرا بفعل عامل الزمن بإعادة إرجاع المعلومات التي تحصل عليها أثناء المرحلة الاعدادية كسلعة أو كقرض للأستاذ، الذي يمنح له مقابل هذا، العلامة الكافية التي تؤهله من إجتياز طوار أو درجة في التعليم، وإنما من وراء هذا، الممتحن أي الأستاذ، من خلال هذه الامتحانات، أن الطالب قد فهم وإستوعب ما طلب منه، وخاصة ما يجب أن نتأكد منه، أن الطالب قد فهم واستوعب واكتسب المعرفة المنهجية والسبل التي تسمح له بفك الصعوبات واجتيازها، ويكون قد تدرب على التعود على الذات في استغزار الأفكار، وفهم المنهج الذي يجب إتباعه في طريقة التحصيل المعرفي الكافي و اللازم.

3) ضرورة تطور اتجاه المقروئية وعلاقته بالامتداد العرفي المتنامي

1/3) المقروئية و القراءات الموجهة :

1-1/3) انواع المقروئيات :

ينتلقى المعلم من خلال القراءات على عدد من الفرص لتغذية فكره، سواء كانت جرائد، صحف، مجلات أو كتب أو حتى من خلال الأوعية الأخرى كالسمعية، أو البصرية أو من خلال الأنترنت، لكن ما يجب أن نشير إليه، هو أنه مهما كانت، هو أنه مهما كان حجم القراءات إلا أن الطالب ليس بمقدوره أن يستوعب كل المعلومات إذا ما قورنت هذه القراءات بالحجم الكلي للمعرفة الانسانية التي تزداد باستمرار.

صحيح أن هذه المصادر تعتبر الوسيلة الرئيسية لبلوغ الأهداف المعرفية كإستعاب الدروس والقيام بمختلف الأنشطة التي تساهم في صقل المواهب وتنمية مداركه المعرفية، خاصة ما إذا كانت رغبة المطالعة مغروسة عند الطالب، وكانت بطريقة منهجية ومنضبطة ومستدامة حسب حاجته الفكرية أو الثقافية.

القراءات متعددة، ولكل نوع منها وقت خاص، وهدف وظيفي يصبو إليه القارئ، فنجد ما يسمى بالمقروئية التكوينية ويكمن هذا النوع من المطالعة في تكوين الشخص ذهنيا وأديبا وإجتماعيا دون التقيد بالدروس النظرية أو ببرامج التعليم. فهي تمكنه من إستيعاب ما يقرأ حتى تنمو مقدرته على فهم الأحداث و تحليلها و تفسيرها تفسيرا صحيحا، و في كل هذه الحالات تزود القارئ بالمعارف والمهارات، فالمقروئية هنا تساهم في تكوين شخصية الفرد وتساعده على إثراء فكره ووجدانه وقدراته الذهنية وتتيح له ببناء قاعدة معرفية بمثابة الخزانة التي يعود إليها عند الحاجة لتنمية قدراته الذهنية والجسمية والمهنية والادارية بحيث تجعل منه قارئاً طوال الحياة ويعود إلى المكتبة كل ما إدعت الحاجة إلى ذلك⁹².

⁹² محمد الراجحي ووحيد قدورة : نفس المرجع السابق ، ص 129.

وهناك نوع آخر من المقروئية و الذي يسمى بالمطالعة التثقيفية، تساهم في تنمية الثقافة العامة للمتعلم و زيادة وعيه الاجتماعي وتوجيهه وإكسابه مهارات إضافية ومتجددة، وفتح ذهنه الانساني في شتى العلوم وتبني شخصيته وتتيح له قاعدة المعرفة⁹³. فهي فيه من تفاعلات وظواهر⁹⁴.

إلى جانب المطالعة التكوينية والمطالعة التثقيفية، يوجد نوعا آخر من القراءات والتي تسمى بالمطالعة الترفيهية، تساعد هذه الأخيرة على قضاء وقت الفراغ، وبشكل أنفع للانسان وذلك بتنمية شخصيته وتحسين معارفه العلمية والثقافية وإبعاده عن متهاتات الفساد وتكون بهذا المعنى طريقا للتخلي بالأخلاق الحميدة والسلوك الحسن وتكون أداة من أدوات الترفيه شأنها في ذلك شأن الرسم والرياضة والموسيقى، والمطالعة هنا تأخذ شكل الترفيه ولكنها تؤدي وظيفة تكوينية وتثقيفية في نفس الوقت.

وليس غريبا في مجتمعاتنا أن نجد بعض الأفراد متشددين بالقراءات الصامتة، حيث يكونون متفاعلين مع النص وينعزلون عن المحيط والآخرين، يسمى هذا النوع من المقروئية بالمطالعة الانفلاتية

(Evasion)، ويكون القارئ في هجرة ذهنية وهذه هي حقيقة الانفلات والتملص، وتكون هذه الوضعية مرتبطة بعوامل يتأثر فيها الفرد ويصبح يندمج لا إراديا في وضعية الوحدة والانزواء كحالة السجناء، العزب، المرضى، أو الشيوخ⁹⁵. كما أن بعض العوامل و الظروف القاهرة التي يعيشها الفرد يمكن أن تؤدي بها إلى المطالعة لملئ فراغه حيث يشعرون هؤلاء لا يمثلون المكانة اللائقة بها و يعيشون في قلق مستمر.

⁹³ عمر التومي الشيباني: دور المكتبة المدرسية في تدعيم المنهج الدراسي، دون بلد الطبع، 1980، ص18

⁹⁴ UNESCO, opcit, P 166.

⁹⁵ UNESCO, opcit P 164

2-1/3 المطالعات الفردية :

ونحن ونتكلم عن الطالب الجامعي وفي تحصيله المعرفي من خلال كل هذه القراءات، يجب أن لا ننسى الوظيفة التي تؤديها كل هذه الممارسات، خاصة تلك المتعلقة بالوظيفة العلمية المعرفية، حيث تقدم هذه القراءات بالنسبة للمتعلم مجموعة من المعارف المنظمة والمبسطة بهدف إستعمالها ليتعلم ويكشف المجهول، ليعطي خياله الحنان، ويشبع فضوله وحبه للمعرفة حيث يتحدد الموضوعات حسب مراحل نموه النفسي والعقلي.

تبدو هذه التقسيمات التي حددنا بها أنواع ووظائف المقرئية مهمة في حياة الفرد عامة، لكن ما يبدو إجباريا بالنسبة للمتعلم من المراحل الأولى التعليمية إلى طور الجامعة هي تلك لا تكون من إختيار الطالب بوحده، ما من منا لا يتذكر قائمة المراجع التي يقدمها الأساتذة ويطلب منا تصفحها وقراءتها، أثناء بداية الموسم أو أثناء الموسم كاملا.

المتعلم أو بالأحرى الطالب يكون مقيدا ببعض الأنشطة والأعمال التي تطلب منه، أثناء الموسم الدراسي، وهذا لاثرء معلوماته سواء ضمن حصص الأعمال الموجهة أو أثناء البحوث والمقالات، مجموعة هذه النشاطات التي يقوم بها الطالب من تلقاء إجهاده الخاص يرمي هذا العمل إلى التدريب على كيفية الوصول إلى المعلومات وتدققها، كما أنها تسمح له الاعتماد على الذات في تنمية عملية التعلم والتدريب على بعض المشاكل والقضاء على كل الصعوبات التي قد تعترضه.

إن هذه القراءات الموجهة جد مهمة في مراحل إعداد المتعلم وتعد مفتاح النجاح، لأنه مهما إنتقط من معلومات أثناء الدرس النظري التي تعطى داخل قاعات التدريس، إلا أن هذا قد يصبح غير كافي لعصر المعلومات الذي يتغير من لحظة إلى أخرى وبسرعة فائقة.

نجاح الطالب الجامعي لا يكمن في الحصول على النتائج أو النقاط اللازمة التي تسمح له إجتياز المراحل التعليمية، وإنما المهم من كل هذا هو مدى تحصيله على الزاد المعرفي الذي يؤهله بالنجاح في الحياة بشكل عام. هذا لا يعني فقط الشهادة التي يكون قد تحصل عليها، لأن العصر الحديث يتطلب التعلم والتكوين مدى الحياة، لأن العلم والمعرفة في نمو وعدم الاستقرار.

هذا ما يتطلب على المتعلم ببذل بعض المجهودات الفردية خاصة ما يتعلق بالقراءات الموجهة من طرف الأساتذة أثناء القيام بالأنشطة التكميلية أو الإعدادية كالمذكرات أو الرسائل.

التحصيل الجيد و النبيل على حد قول (مغربي . ع) يتطلب على الطالب إتقان اللغات على الأقل ثلاث منها، ويدعونا إلى العودة في كل مرة إلى المقروئية الفردية التي يجب أن تكون إلزاميا أثناء التعليم الجامعي. ونتذكر جيدا القائمة التي لا تعد ولا تحصى من آباء وصناع النظريات والمعارف ويسعنا جيدا أن نعتزف بأهمية هذه النصائح والارشادات والتوجيهات خاصة من مؤطرننا، وكيف أن لا نسميهم مفتاح العلم و المعرفة لولا هم ما شقنا الطريق إلى هذا العمل المتواضع.

القراءات الموجهة، ليس فقط ممارسة يعود إليها لاعداد البحوث والأعمال المطلوبة، إنما أيضا تسمح له بالتعرف على مصادر التعلم وسائلها والتحكم فيها وذلك عن طريق الخدمات المكتيبية والاستخدام الواعي لها، وتتجلى أيضا هدفها في تشجيع المتعلم على الأقبال على المطالعة وغرس عاداتها عند المتعلم وتصبح حاجة ماسة وغذاء مستمرا بعد الانقطاع عن الدراسة.

فالنسبة لهذه القراءات الموجهة من المدرسين إلى المتعلمين يمكن أن نقر أن هناك طريقتين لممارسة أو لتأدية هذه النشاطات وذلك حسب الأهداف، فنجد القراءات الفردية التي يقوم بها المتعلم بمفرده مثلا لاعداد مجموعة من الأعمال المنزلية، ونجد من جهة أخرى ما يسمى بالقراءات الجماعية التي تتطلب، مثلا تقسيم البحوث إلى مجموعات مصغرة مكونة من فردين أو أكثر، ولذا نجد القراءة بالاستماع مثلا أحدهم يقرأ والآخر من يستمع له.

(2/3) المطالعة بناء أم سلوك :

(1-2/3) التدريب على المطالعة منذ المراحل العمرية الصغرى :

إن القراءة هي أساس المعلومة فهي " إحدى مكونات الحياة الاجتماعية بمعنى أنها تؤدي وظيفة الاتصال"⁹⁶. والقراءة هي تفاعل بين النص والقارئ وإن كان هذا التفاعل مرتبط بالناحية العقلية والمعرفية والنفسية من جهة فإنه مرتبط أيضا بنقل قيم معينة وبالتالي فإنها ترتبط بالناحية الاجتماعية وإنطلاقا من هذا يمكن أن نصف المطالعة بأنها التفاعل المنظم بين المتعلم وبين نص الكتاب، وعليه تصبح هذه الأخيرة كذلك وسيلة للتنشئة الاجتماعية وتكون السبيل للأستزادة من المعرفة عن طريق التفاعل و المداومة.

فلا يجب منع الأطفال الذين لم يذهبوا إلى المدرسة بعد من تصفح الكتب مع أفراد العائلة أو إستخدام المكتبة، حقيقة لم يتعلموا القراءة بعد، ولكن يمكن إكتسابهم الخبرات والمهارات مبكرا بالتفاعل مع المواد المطبوعة، التي يمكن أن تكون عاملا هاما في عوامل التهيئة اللغوية والرموزية لهم و تنمي لديهم الاستعداد لعادة المطالعة.

⁹⁶ BELLENGER (lionel) : les méthodes de la lecture, puf – Paris, 1993, P 7

من الميلاد إلى السنة الثانية، أثناء هذه المرحلة، يكتشف الأطفال العالم المادي سواء المتحرك الذي يحيط بهم من خلال حواسهم جميعا كالبصر، والتذوق والشم، والمعالجة اليدوية، وفي هذه المرحلة العمرية يكون الطفل مقبلا على نمو بعض القدرات المعرفية الأساسية، حيث يكتشف أنماطا سلوكية معينة لها نتائج محددة، ومن خلال الممارسات والتجارب التي يمرون بها يتعلمون التفرقة بين الأشياء في محيطهم وتصبح الكلمات رموزا على الأغراض والأشياء.

ومن سن سنتين إلى الرابعة، يدخل الأطفال المنتمون إلى هذه الفترة مرحلة فرعية أخرى أطلق عليها "بياجية" (مرحلة قبل التصورية) وتبدأ من سن الثانية إلى الرابعة، ويكونون متمركزون حول الذات في سلوكهم، يستطيعون استخدام أيديهم، هنا تصبح الرموز والكلمات في إكتشافاتهم للعالم المادي وتشكل الذات أفكارهم، وغالبا ما تسمى هذه المرحلة بمرحلة " كيف " و" لماذا"، حيث أنهم شغورون بالمراد التي تسمع والألوان و الصور التي ترى، وكل هذا يثير فيهم الرغبة في إستعراض المعرفة الجديدة التي اكتسبوها.

من سن الرابعة إلى الخامسة أو إلى السابعة تقريبا وذلك حسب ظروف كل طفل، تعرف هذه الفترة بمرحلة ما قبل العمليات أو تسمى أيضا مرحلة التفكير الحدسي، هنا يزداد وعيهم بالبيئة والعلاقات الانسانية ويصبحون أكثر براعة في إستخدام الرموز وفهمها، وهذا ما يحفزهم بالقيام ببعض الأدوار التي تشغل بالمهم من خلال ما إستمعوه أو تعلموه من خلال اللعب و المعالجة والصورة .

يחס الطفل في هذه المرحلة بأنه قادر على الانخراط مع الجماعة حيث تصبح عضوية الجماعة تشكل قيمة كبيرة لهم. ويبدأ في التفكير في الاندماج مع الأسرة والبيئة حيث تتوافق سلوكهم، يجب الإشارة أنه يجب

إستغلال هذه الفترة التي إكتسب فيها الطفل على هذه القدرات لتقديم عدد من الأنشطة المكتبية التي تنمي مهارته مثل ترديد الكلمة الأخيرة من فقرة مغناة، أو تمثيل قصة من قصص المحببة للأطفال.

وفي موضوع تنمية الطفل الذي شرع الذي شرع فيه المجلس القومي للطفولة والأمومة أصدرت محاولة قيمة أدرجت بعض القضايا والحقائق التي تتصل بتهيئة طفل ما قبل المدرسة للمطالعة وتضمن هذه المحاولة مايلي: إن جميع الأطفال الصغار يستمتعون بها عند سماعهم للقصص و الحكايات.⁹⁷

تعتبر مرحلة ما قبل المدرسة أفضل الفترات من عمر الطفل لزيادة معرفته بالكتب وخلق الشعور بحب المطالعة التي سوف تمثل شيئاً هاماً وحيوياً بالنسبة لتعليم الطفل مستقبلاً عند إلتحاقه بالمدرسة، وتعد الكتب التي تحتوي على صور من أهم أنواع الكتب بالنسبة للطفل في هذا السن، إن إطلاع الطفل على الصورة يهيئه لقراءة الحروف وحب المطالعة.

تعتبر مرحلة ما قبل المدرسة أفضل الفترات من عمر الطفل لزيادة معرفته بالكتب وخلق الشعور بحب المطالعة التي سوف تمثل شيئاً هاماً وحيوياً بالنسبة لتعليم الطفل مستقبلاً عند إلتحاقه بالمدرسة، وتعد الكتب التي تحتوي على صور من أهم أنواع الكتب بالنسبة للطفل في هذا السن، إن إطلاع الطفل على الصورة يهيئه لقراءة الحروف وحب المطالعة.

فعند إلتحاق الطفل بالمدرسة فإما يكون مزوداً بخبرة أولية حول الكتب والعالم المدرسي عموماً عن طريق الروضة التي تزوده بخبرة الكتب ومضمونها وألوانها وصورها، وهو يحمل معلومات عن البيئة إكتسبها من مرحلة التهيئة في دور الحضانة، وهذه الأمور تتوقع من الأطفال الذين

⁹⁷ حسن عبد الشافي: مكتبة الطفل، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري 1995 - ص 18

إلتحقوا بتلك الدور⁹⁸، أو عن طريق المحيط الاجتماعي، فالأطفال الذين لم يلتحقوا برياض الأطفال. يكتسبون معلومات من الأسرة والأصدقاء، أو من وسائل الاعلام وغيرها، وعموما هذه المرحلة مرتبطة بمجموعة من عناصر واليات النمو تتبين في خصائص النمو الاجتماعي الجسمي، اللغوي والمعرفي.

كانت ولا زالت المواد المطبوعة كإنتاج فكري بمعناه الواسع المصدر الدائم للمعلومات موجهة لفئات عمرية مختلفة، و تشكل أهم مادة اتصالية في تنمية العقل والفكر والثقافة ومصدر الراحة و السرور لمن يحسن استخدامها، وتبقى اخذ ألوان المعرفة⁹⁹.

فعللاقة الطفل بالكتاب تكون مرهونة الجملة من عوامل متشابكة منها ما يعود الى فقر البيئة بالكتاب نفسه ومنها ما هو نتيجة للطريقة التي فيها الكبار هذه العلاقة خاصة عندما يكون عياب رغبة مداعية الكتب أو انعدام ثقافة المطالعة في الأوساط الأسرية او الاجتماعية، او تكون هذه العادة ميزة متداولة عند فئة معينة كرفقاء الكتب.

2/3-2) المطالعة سبيل لتوثيق الصلة بالمعرفة :

حظيت التربية المكتبية بإهتمام بالغ بالدول المتقدمة، التي بلغت حدا كبيرا من التقدم والرقي في مجالات الحياة كافة، وفي مجال المعلومات وإسترجاعها بصفة خاصة، واصبحت توليها قدرا من الغاية والعناية والا هتمام ولذا فإن التركيز عليها في المدارس على إختلاف مراحلها، في الكليات والجامعات والمعاهد العليا على إختلاف تخصصها، اصبح من المتطلبات التعليمية والتربوية¹⁰⁰.

⁹⁸ أبو مغلي سميح أو آخرون: دراسات في أدب الأطفال، دار الفكر للنشر و التوزيع عمان ، 1993 ، ص 129.

⁹⁹ أبو رية (جمال): ثقافة الطفل العربي، دار المعارف، القاهرة، د س ن، ص 14.

¹⁰⁰ حسن عبد الشافعي: نفس المرجع السابق، ص 249.

في كل حال التربية المكتبية على إختلاف الأعمار حق للمتعلم، والمطالعة وسيلة تساهم في تمكين المتعلم خاصة الفئة العمرية الصغرى في مواجهة الحياة والتدرب ليس لمعرفة الكون فقط، وإنما لمعرفة ذاته في هذا العالم، وإثارة دوافعه وقدراته ومزيد من الاكتشاف، و" بإختصار التربية على المقروئية تتيح الفرصة كي يتعلم أن يتعلم¹⁰¹ .

كتاب الطفل، أثناء المرحلة الأولى من التربية المكتبية، ليس ذلك الكتاب الحافل والمصبوغ بألوان مبهرة وإنما الذي يحوى الخبرات الانسانية والابداعية والحضارية والمعرفية والذي يمكنه ويدفعه للتواصل و إشباع حاجته الذهنية والذي يغذي عقله بمزيد من النشاط الذي يزرع عادة المطالعة والرغبة فيها.

وإذا كان المنهج الحديث يأخذ بالنظرة المتكاملة للمتعلم على المكتبة الشاملة التي ترتبط بالنشاط المتعدد للمتعلمين الذي يثمر تعلمهم ونموهم في إطار التكامل، فهي المكان المناسب لمتابعة الدروس، فيتعلم المتعلم كيف يعتمد على ذاته في زيادة الفهم والتحصيل، وتتمثل القيمة الحقيقية للتربية المكتبية المكتسبة وإستخدامها إستخداماً فعالاً لأغراض التعلم الذاتي في أنها تعين الفرد كي ينمو، ولذا كانت المكتبة الشاملة والمطالعة سبيلان لتوثيق الصلة بالحياة وجعل الثقافة أسلوب حياة بحق وفتح آفاق التعلم دون الوقوف عند مرحلة محددة أو محدودة، حيث أن العمل إمتزج بالعلم و المعرفة و الحياة.

ومن أهم الخدمات الأساسية التي تسعى إليها الدول هو تقديم الخدمات التعليمية والتنقيفية لتكوين القوى البشرية المؤهلة إلى التقدم والنمو، إن الكفاية البشرية المؤهلة إلى التقدم والنمو هي التي تؤدي بصورة واقعية

¹⁰¹المحم (إسماعيل) : كيف تعتنى بالطفل و أدبه، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1994، ص17.

لتنشئة سليمة خاصة عندما تبدأ بالفئات العمرية الصغرى، وأن تكون كل الظروف مهيئة بالقدر الكافي من العناية والاهتمام، وإذا تيسر للنشء قدر مناسب من الكتب التي يستطيعون قراءتها والاطلاع عليها للمتعة الشخصية ولاكتساب المعارفان عادة المطالعة سوف تترسخ لديهم، حيث أنهم في مرحلة العمر التي تتكون فيها العادات والميول وتكتسب المهارات والخبرات وتتمو القدرات، وإذا تسنى لهم الحصول على الكتب التي يرغبون فيها فإنهم يصبحون من خير المستفيدين من المواد المطبوعة ويكونون مجتمع القراء في المستقبلن أما إذا لم تتيسر هذه الظروف فإن عادة المطالعة لن تكون لديهم، وسيعترضون عنها مما يفقدهم الكثير من الذاتية والمعرفة.

3/3) المقروئية لعصر المعلومات :

3/3-1) يتأثر الكتاب والمطالعة بتطور الامتداد المعرفي :

أخذت المكتبات على طول تاريخها مفهوما واحدا وهو تقديم المعلومات إلى طالبيها مهما اختلفت اعمارهم وتخصصاتهم، وإذا اردنا دراسة تاريخها أن نرجع إلى المصادر التاريخية التي تشرح لنا دور المقروئية (المطالعة) ودور المكتبات في العالم القديم ويستطيع الباحث أن يتفهم موقعها بالنسبة للمجتمع في تلك الأزمان، وأن دورها كانا أساسيا في المجتمع، وكان لزاما على كل فرد في هذا المجتمع القديم أن يشبع رغبته في القراءة و تحقيق المزيد من المعلومات وبناء مقومات ثقافية بزيادة هذه المكتبات¹⁰².

ويتأثر الكتاب والمقروئية، كأى عنصر إجتماعي اخر بالتغيرات العميقة المتكررة، التي تميز العصر الحالي، حتى اننا نرى أن انخفاض نسبة

¹⁰² شرف الدين (عيد التواب) : نفس المرجع السابق ، ص 123.

الأميين، وإزدياد عدد السكان، والتغيير الثوري الذي طرا على فنون الطبع والنشر والتوزيع، و كذلك تكنولوجيا المعلوماتية وغيرها من الأمور الهامة.

كل ذلك يعتبر من العوامل التي تساعد بالفعل على التقدم المستمر للكتاب وبالتالي لدرجة المقروئية وترسم لهما مستقبلا عريضان لا يمكن الاحاطة بمداهما. فإذا إعتبرنا القرن السادس عشر موعدا لانتقال تحول الثقافة الشفهية إلى الثقافة المكتوبة، فهذه الأخيرة ترجع إلى زمن إختراع الكتابة، أي إختراع مجموعة من الرموز تمثل الكلمات، فإنه هناك ثقافات مكتوبة قديما جدا، حتى إنه من الجائز القول بأن هناك مجتمعات كانت تقوم أساسا على نشر النصوص ففي الأمبراطورية الرومانية مثلا كانت هناك ورش للنسخ، تخرج ما بين مائتين وثلاثمائة نسخة، وهذا العدد الذي يعتبر بالنسبة لعدد القراء وذلك العصر، دليلا على السحب الكبير¹⁰³.

صحيح أن المقروئية كانت مميزة في أيدي اقلية معينة من الأفراد، و على حد قول روبر إسكربي - « Robert Escarpit » هذه هي إحدى لغات الكتاب¹⁰⁴. هذا ميراث قديم، إذ أن الكتاب بحسب العرف السائد، لا يهم إلا صفوة المجتمع، وقد كانت تلك النخبة المختارة، هي التي كانت تملك أداة التعبير هذه، طوال فترة كبيرة، ويلاحظ ان الكتاب، أصبح متاحا بالنسبة لقطاع كبير من المجتمع، وكان أداة لأعمال الفكر، عاملا من عوامل الثورة من الناحية الاجتماعية.

مما لا شك فيه أن المجتمع المعاصر فهم دور المعلومات في الحياة العامة، لذا جعلها تمثل امامه الشيء الأساسي الذي يعيش من أجله، يجب ان نؤكد دورها في هذا المجتمع. ونبرره إنطلاقا من بعض الاستقهامات، هل

¹⁰³ رجاء ياقوت (صالح) : نفس المرجع السابق ، ص 9. - حوار سجل مع Robert - Escoupid منقول من نفس الكتاب أعلاه

¹⁰⁴ نفس المرجع السابق ، ص 49.

يمكن لأمة أن تعيش وأن تزدهر بدون فكر وثقافة؟ أو نقول كيف يمكن لفكر - علم ومعرفة أو ثقافة - أن تعيش بدون أساس ومصدر لهما؟ أهل الثقافة والفكر بمعناه الواسع - أن يصبحوا شعار نرفعه. والاجابة البسيطة لكل هذه التساؤلات هو أن الثقافة عمل، والفكر بناء، وبناء لجميع قطاعات أفراد الأمة.

المجتمع بكل فئاته، المتعلم وما أحوج على القراءة ليحصل على المعلومات وكل ما يمت بصلة إلى المجتمع المحيط به، التلميذ بعدما يتخرج لينحر المعلومات التي حصل عليها أثناء دراسة، المواطن الذي لم ينل خطأ من التعليم أو نال حظا لا بأس به، والمواطن الذي يعمل، والموظف الذي يريد أن يحسن اسلوب ادائه للعمل، الطبيب يريد أن يجدد معلوماته الطبية، أو المهندس في مصنعه في عالم يتجدد كل دقيقة بل كل ثانية. كيف السبيل إلى ذلك إذا لم ندرك دور المقروئية وحقيقة موقعها في هذا العالم بل في فضاء الجامعة أولا وقبل كل شيء.

بجتاح اليوم عالمنا الحديث موجة كاسحة من التقدم العلمي والصناعي والتكنولوجي، وليست هذه الموجة الجبارة وليدة السنوات الأخيرة حسب بل إن جذورها تمتد على ما قبل الحرب العالمية الثانية و الحرب العالمية الأولى، ذلك أن الحروب كانت من أقوى أسباب هذا التقدم العظيم¹⁰⁵. ومن مبدأ القوة أن نعترف أن الموضوعية العلمية خداع ما دام العلماء هم في مصلحة الحاجيات المادية وان بعض الشخصيات العلمية تتطور على أساس الحاجيات العسكرية¹⁰⁶.

¹⁰⁵ محمد حسين ال ياسين : التقدم العلمي الصناعي واثره في التخلف الثقافي والروحي في مجتمعنا العربي، مجلة كلية الآداب والتربية - الكويت - 1974، العدد 5، ص 195.

¹⁰⁶ Maherzi Aicha : **Formation pédagogique et didactique des enseignements et autres du superieur** colloque, Alger, mai 2001, P 49.

ويتضح لنا من هذا أن من العوامل الرئيسية التي ساهمت أو قد تزيد في حجم المقروئية عند مستخدميها هو عصر الامتداد والثورة المعلوماتية التي تسير بسرعة مذهلة، مما يستدعي أن يتسم منهج الدراسة على جميع الأطوار خاصة الجامعية منها التي تعتبر المرحلة الحاسمة لاقتناء المعرفة بالتركيز على الأساسيات والهياكل البنائية لمجالات المعرفة الإنسانية، والاهتمام بأساليب التعليم والتعلم التي توصل بها المتعلم خاصة إلى إكتشاف المزيد من الحقائق وتنمية مهارات الطلبة في التعلم الذاتي بالقراءة والفهم والجمع والتلخيص والتطبيق والنقد والاستفادة مما تعلموا مع العمل على تنمية صلة الطالب بمجال دراسته تحقيقا لمبدأ التعلم المستمر.

2-3/3) زيادة المقروئية وتطور أشكالها مع عصر المعلومات :

يمتاز عصر المعلومات بامتداد المعرفة وتجديدها في كل زمن، وهناك معلومات أساسية يحتاجها الطالب على جميع المستويات التعليمية في جمع المعلومات حتى يتمكن من مواجهة المشاكل المختلفة بطرق منطقية وسليمة، وما يهمنا نحن المنشغلين بالفوائد العلمية للكتاب أي المقروئية هو علاقة هذه المستويات بالفيض الكبير من المعرفة والمعلومات المغرقة في التخصص والتعدد والمتضخمة في حجمها والتي تنتشر بلغات عديدة، هذه المشكلة هي التي أدت إلى ما اصطلح تسميته بأزمة المعلومات أو الانفجار الاعلامي، حيث تتضاعف كمية المعلومات كل 12 سنة. وطبقا للحسابات المتواضعة في مجال النشر العلمي فإنه يصدر حوالي من 15 على 20 مليون صفحة مطبوعة في السن¹⁰⁷ أي انه في أكثر المجالات تخصصا فإن الباحث أو العالم يستغرق وقته كله للقراء فقط، ولن يجد الوقت لاجراء بحوثه أو التدريس، أي أن هاتين الوظيفتين أصبحتا تشكلان مشكلة خطيرة بالنسبة

¹⁰⁷ شرف الدين (عبد التواب): المرجع سابق، ص 335.

للعالم في المجال الجامعي و ذلك لأن هدفه ليس مجرد قراءة ما كتبه الباحثون الآخرون، في نفس الوقت لا يستطيع أن يؤدي عمله كما ينبغي إلا بالاحاطة الكاملة بما كتبه أقرانه من الباحثين حتى يساير التقدم العالمي¹⁰⁸.

نشأت نتيجة لهذا الفيض المعلوماتي ما يسمى بأنظمة المعلومات، التي أصبحت بدورها علما من العلوم، ذلك من حيث كونها - المعلومات - عملية تجري من صاحب المعلومة هذا من جهة و متلقي هذه المعلومة من جهة أخرى، و من حيث كونها المعرفة المنظمة مثلما هي تقنية الحصول على هذه المعرفة و معالجتها.

ويجب أن نوضح الفرق بين مختلف المفاهيم في نظام المعلومات إذ ينبغي التمييز وعدم الخلط بين الحقائق والمعطيات والمعلومات والمعرفة وذلك أن الحقيقة قد تبين صدقها عن طريق الملاحظة العلمية بقدر ما تسمح به القدرة الانسانية، وكل مجموعة من الحقائق تشكل ما يعرف عادة بالمعطيات التي يمكن لإستخلاص نتائج منها¹⁰⁹.

أما المعلومات التي نسعى إليها والحصول عليها بواسطة القراءة لها معنيان ،تبعاً للمحتوى والطريقة، فهي من حيث المحتوى رسالة تبث من طرف (المصدر) إلى طرف آخر هو المستلم عن طريق أفتنية معينة وبشكل معين وهي من حيث الطريقة، فعل الاعلام نفسه الذي يركز على عملية البث أو نقل تلك الرسالة. والفرق بين البيانات والمعلومات هو أن الأخيرة هي الأولى بعدها وظيفة وتحويلها إلى إستخدام محتمل، أي بعد معالجتها بطريقة أخرى¹¹⁰.

¹⁰⁸ أحمد بدر: المكتبة العربية و دورها في النهضة العربية، مكتبة الجامعة، الكويت 1972، ص ص 30 - 31.

¹⁰⁹ عبد التواب شرف الدين : مرجع سابق، ص 336.

¹¹⁰ ماتنتين هايمو : التكنولوجيا المعلومات في التخطيط التربوي ، التربية الجديدة، بيروت - 1974 - العدد 22، ص 88.

أصبحت المكتبات تقوم بدور محدد ينحصر في تقديم الكتاب أو المخطوط أو أي وثيقة حين يطلبها الباحث أو القارئ، كما تقوم بعمليات فهرسة وتصنيف محدودة، بينما نجد مراكز المعلومات والبيانات تهتم بتقديم البيانات والمعلومات إلى الباحثين وهم في أماكنهم بغض النظر عن وصولهم إلى هذه المراكز، وذلك في شكل مستخلصات أو ترجمات ببليوغرافيا، أو غير ذلك من العمليات الناقلة للمعلومات بشكلها الواسع.

مما لا شك فيه أن مصادر المعلومات متعددة لهذا يجب تحديدها حتى يمكن للباحثين أو مستخدميها كطلبة أو قارئ في موضوعات تخصصهم الامام ما كتب في مجالاتهم سواء كان مطبوعا أو مخطوطا أو مسجلا على أفلام أو أشرطة صوتية أو اثار، ونتيجة لهذه الثروة الهائلة في مجال المعلومات فقد لجأت كثير من الهيئات العلمية والمكتبات إلى تقديم العموم والارشاد فيما يتعلق بخدمات المعلومات والسيطرة عليها وأفضل الطرق لاستخدامها و تقديمها لمستخدميه.

لذا لا بد من إحداث ثورة جذرية في وسائل إستقاء المعلومات وحفظها ومعالجتها، والحاجة إلى هذه الثروة تشمل حقول العلم والقانون والطب والاقتصاد والمواضيع الواسعة للعلاقات الانسانية وغيرها.

إن المشكلة لا تتعلق بالمكتبات، أو بالمقروئية رغم أهميتها في حياة الفرد عامة والطالب (المتعلم) خاصة، ولكن بكيفية تفكير الرجال المبدعين، كما أنها مسألة مساعدة هؤلاء على التفكير، إنها مشكلة إستيعاب تلك الكمية الهائلة من المعلومات، بحيث تصبح في متناول الفرد، يأخذ منها ما هو بحاجة إليها وبسرعة ودون خطأ، وبحرية مطلقة، إن ترتيب المواد المطبوعة وسرعة الحصول عليها هما العنصران الأساسيان للمشكلة¹¹¹ لهذا

¹¹¹ عيد التواب شرف الدين ، نفس المرجع السابق ، ص 341.

كان لا بد من البدء بتعريف القراء والباحثين وكل مهتم بالتعرف على المعلومات بمصادرها حتى يستطيع مواكبة كل تجديد في مجال تخصصهن وخاصة إذا علمنا أنه نتيجة ما حصل من إنفجار (إمتداد) المعلومات كان على الباحثين أن يواجهوا هذا الموقف بما يشتمل عليه كل الأبعاد تؤدي كلها على عدم إمكانية التعرف على جميع ما ينشر من معلومات.

إن التكنولوجيا الحديثة للمعلومات ضرورية لا يمكن تصورها بغير تكنولوجيا الأدمغة الالكترونية، ولقد تطورت هذه الأدمغة تطورا هائلا من حيث التركيب والاجراء، حيث تساعد على إستفتاء المعلومات ومراجعتها بأقصر سرعة ممكنة.

أصبح إستخدام هذه التقنيات عنصرا أساسيا ومتكاملا في برنامج النهوض بالمكتبات والبرامج التعليمية، حيث تعد مثلا الأقرص المدمجة من أهم أشكال مصادر المعلومات التي شقت طريقها إلى المكتبات وأصبحت في متناول القراء، وغناها بإستطاعتها أن تحوي ما يعادل 250.000 صفحة مطبوعة، أي ما يعادل أيضا 5000 صورة أو 20 ساعة من الصوت.

إلى جانب هذا الابتكار، توجد أيضا الأنترنت التي أصبحت في الوقت الراهن أكبر شبكة الاتصالات والمعلومات، حيث تقدم مصادر حديثة للمعلومات غير متاحة في الأوعية المطبوعة. من المهم أو بمكان ملاحظة تطور وسائل بث المعلومات، بما يكفل ملاءمتها لطبيعة إهتمامات المستفيدين، بحيث تجعلهم على علم بشكل منتظم بالمواد المنشورة في المجالات المتصلة بتخصصاتهم. وفي مجال المقرئية أعصر المعلومات، يجب على الطالب أن يحذو الحذر ويكون متيقظا، لأنه في بعض الحالات ولسوء الحظ نجد أن عددا من الكتب على رفوف المكتبات، سواء العامة أو المدرسية وحتى الجامعية غير ذي فائدة للقراء لأنها قديمة لا تساير العصر،

وفي حالة مادية سيئة، أو أمه غير مناسبة من حيث محتواها الموضوعي، وهذا ما يستلزم باهمية المكتبات ودورها في التنمية والتطوير والتحديث، وهذا ما يواكب العصر الحديث الذي يزداد فيها الامتداد المعرفي التي تستدعي حينها القارئ إلى أخذ جديدها.

الفصل الثالث

الجامعة والجامعيين
واتجاهات مقاصد المعرفة

1) الجامعة ودورها في تنمية الخبرة الانسانية وتحقيق حركية المعرفة

(1/1) الجامعة و المؤسسة الجامعية :

(1-1/1) تحديات الجامعة وتنمية الموارد البشرية :

إن بناء الانسان يتطلب مستوى عاليا من الوعي بأهمية معادلة تنمية الموارد البشرية لدى كل من بينهم الحل والربط من أهل القرار ويتطلب كذلك مستوى ثقافيا وعلميا وإداريا على جانب كبير من الأهمية لدفع الخطط والاستراتيجيات والبرامج القادرة على إدارة التنمية البشرية بصورة فعالة، ويشكل القرار السياسي والارادة السياسية التي تعطي إستراتيجية التنمية الحيز الأول في مجال إهتماماتها، يشكلان حجر الزاوية في هذا المجال.

إن المسألة الشبابية خاصة الجامعة تحتل مكانة رئيسية ضمن المسألة في مختلف دلالاتها وابعادها العامة، وهي ذات أبعاد إجتماعية وتربوية ونفسية وثقافية متعددة، فالشباب الجامعي هم إطارات المستقبل وهم الذين يتحملون مسؤوليات تنمية مجتمعاتهم وبناء حضارتهم وتراثهم هم الوارثون لتركبة الحاضر في شتى المجالات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية وغير ذلك، وهم الذين يبنون المستقبل والذي تتسم معالمه من خلال مستوى إعدادهم وتأهيلهم وتحسينهم وتنشئتهم تنشئة صالحة، مدركة واعية، وتربيتهم على الاعتماد على النفس وعلى التضحية والتعاون والشعور بالانتماء والقيم الانسانية، وعلى قدر ما تصبح للكتلة الجامعية البيئات المعرفية و النفسية والاجتماعية المؤهلة لذلك، على قدر ما يمكن التفاؤل بالغد الموعود الذي تتحقق فيه التنمية الشاملة المتكاملة.

إن مكونات تنمية الكتلة المعرفية للتعليم الجامعي متنوعة ومتشعبة وتشمل العناصر المرتبطة برفع مستوى الجامعي فكريا وثقافيا وإقتصاديا والتي تجعله عضوا إجتماعيا كفؤا على المستويين الفكري والمادي، وقادرا

على تمثل عناصر التنمية الاقتصادية والحضارة وإعادة إنتاجها وإنتاجها إنتاجا مبدعا متجددا، يصون الذاتية الثقافية والعلمية والحضارية وبحميها من عبث الاختراقات الهادفة إلى السيطرة في المجال الثقافي والفكري وبالتالي على وجودنا الاقتصادي والاجتماعي والمعرفي على الأخص.

إن التعليم الجامعي الفعال و الدور المنوط للجامعة هو التعليم من أجل التكيف الناجح هو المستجبات العلمية المستمرة في عالم يشهد إنفجارا في المعرفة، كما أن المحاضرة الجيدة هي المحاضرة المتجددة تلوى الأخرى، لأن الأرضية المعرفية متحركة دائما ولا تهدأ على حال. وأن المعرفة المقدمة للطالب يجب أن تتلائم مع تزويده بالقدرة على التعلم المستمر وعلى حرية الاختيار والاستقلال الفكري وغرس المواقف العقلانية من الحياة و العمل فيه. نحن ونتكلم عن بيئة وصناع الأفكار، نجد حينها " ابن نبي " يقول: " ففي فترات دخول مجتمع ما في التاريخ يكون للأفكار دور وظيفي، و يضيف قائلا: الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة¹¹².

إن الأمة التي تتيح لقواها البشرية من خلال التعليم المنظم الحديث الذي يجعل التعليم التفكير هدفا محوريا وتتيح لها إستغلال طاقاتها وتفتح إمكاناتها وميولها، تستطيع أن تطور وسائل إنتاجه وتتجح في عملية التنمية وتتقدم لأن ثورة العقول هي التي تنبؤ المكان الأول في ثروات الأمم الحقيقية، و أن عملية التربية هي وراء نهوض الأمم أو تخلفها، وأن تكوين الغد هي المهمة الصعبة والشاقة.

إن التحديات الهامة التي تواجه الجامعة كنظام ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين تحديات كبيرة. وإن أية خطة لأصلاحها من أجل مواكبة تطور المعرفة وتسارعها ومواجهة التحديات المحيطة بها، في ظل

¹¹² بني نبي (مالك): مشكلة الأفكار، منشورات ANEP، الجزائر، 1971، ص31

التحولات التي تجعل الأفراد يطلبون دوما مزيدا من الحرية والانفتاح، لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار تلك الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاعلامية والثقافية ضمن إطار شامل، و يجب أن نوفق التربية بين حاجات الانسان النفسية والمادية وحاجات قطاعات المجتمع بشكل عام، وتلعب أنظمة التوجيه المدرسي والمهني والجامعي دورا كبيرا في هذا المجال.

ومعنى هذا أن المؤسسة التعليمية بالمعنى التقليدي لا تستطيع أن تقوم بدورها ولا تستطيع من تأمين التحول المطلوب، من تكوين يقوم على تخزين المعلومات، إلى تكوين يقوم على تطوير روح المسؤولية سواء عند الطالب أو الأستاذ تشجيعهما على الابداع و الاختراع¹¹³.

إن تحديات و هموم التعليم العالي في الوطن العربي كثيرة ومتعددة، نطرحها للقارئ لأعتقدنا الكبير بأنها من الأوليات الملحة¹¹⁴. ومن هنا يمكن القول بأن المجتمع الجديد الذي هو بصدد التشكل لا يمكن أن يطلب من المؤسسة التعليمية أن تعد خريجها لممارسة مهن معينة محددة مسبقا، بل إن المطلوب من الجامعة في ظل التحولات الجارية هو أن تعمل على تكوين إطارات بشرية قادرة على أن تتشط في عالم مختلف، أي قادرة على فهم تعقيدات الأنشطة الانسانية الجديدة و متمكنة من أساليب مواجهتها، مثلما هي قادرة على تحمل حرية إنتقاء المهارات.

ومن هنا يصبح المورد البشري هو المورد النادر و اللازم في الوقت نفسه للنجاح في وضع التصورات الجديدة. أي أن الاحتكام إلى نظام إداري الذي يخضع إلى تخطيط يعتمد على المعطيات فقط يفقد أهميته. وعلى حد قول أحمد طالب الابراهيمى " وأنه علامة دالة أن التعليم العالي يجب أن

¹¹³الميلي (محمد) : نفس المرجع السابق، ص 46.
¹¹⁴ محمد مصطفى الأسعد : مشكلات الشباب و تحديات التنمية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت ، 2000 ، ص 14.

يسير على وتيرة ومستجدات الحاضر الذي يعترف بأن الانسان هو المورد الثمين، وبضيف أيضا، فإذا كانوا هم كثيرون الذين سارعوا بإصلاح الجامعات فهذه علامة دالة بأن التعليم الجامعي يجب أن يتأقلم مع الوقت و الذي يتمثل في ديمقراطته وذلك بالانتقاء الأفراد المؤهلين وهذا من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية لكل فئات المجتمع و ليس لحساب طائفة أو طبقة معينة¹¹⁵.

كما أن الجامعة الحديثة مدعوة الآن إلى أن تعطى مكانة هامة لكل من الطالب والأستاذ ليعرفا على محيطهما، وكل واحد على حد يتدرب على تقييم نفسه بنفسه بدل الاستمرار في الأسلوب المعمول، الذي يدفع من جهة الطالب إلى الاعتماد على الحفظ والحرص على أن يروق في أعين الآخرين، بدل أن يختبر نفسه ويتدرب على فهم ذاته. ومن جهة أخرى، والذي يدفع الأستاذ إلى حصر مهامه في إلقاء الدرس وفق المعنى التقليدي بدل زرع الأرضية المعرفية الهادفة إلى إستقرار الأفكار وإعادة إنتاجها.

ومهما يكن من شيء، فإن التكفل بمواجهة كل التحديات التي تواجه الجامعة، يمر حتما على هضم التعقيدات و فهم المعطيات التي يبدو متناقضة، و ذلك يتطلب وضع بيداغوجية جديدة لتمثل المعلومات، أي أنه يتم إعادة تفكير معمق ليس في مضمون المحتويات - المعلومات في حد ذاتها - فالأمر يتعلق بتطوير القدرة في كيفية إكتساب مهارات جديدة للمعرفة و التحليل، فالأمر يتعلق " بتطوير القدرة على إكتشاف منطق ما هو معروف، من أجل حصر تعقيداته، توصلا إلى إستخدامه وربطه بمعارف و ألوان أخرى من المنطق "¹¹⁶.

¹¹⁵ Ahmed Taleb Ibrahim, **de la décolonisation à la révolution culturelle** (1962-1972), ENED, 1973, P 37

¹¹⁶ Grozier Michel : opcit, P 48

لقد إستطاع مجتمعنا بعد قرابة نصف قرن من الاستقلال أن يتخطى هذه المرحلة محمولا بأمال عريضة، كانت تغذيها مثل عليا أجبها الكفاح ضد الاستعمار، ثم إندفع واتجه بعد ذلك في حركة متفائلة و متحمسة لبناء إقتصادي و فكري جديد.

لكن واقع التغيير السريع الذي عرفه العالم خلال العشرينات الأخيرة خاصة، يطرح قضية تحديث التعليم وأساليبه وكذا وسائله التي يجب أن تكون مستجدة كي نستطيع فهم مصطلحات العولمة التي بإمكانها إختلال الموازين وجعل الأمم القادمة مهددة في كل لحظة وخاصة نحن في عصر الألة التي هي سيدة الموقف. ومن جانبها نجد أن خمس العالم الأكثر غنى يملك أربعة أخماس موارد الثروة العالمية والخمس الشد فقرا لا يملك سوى 0.5 % من تلك الثروة¹¹⁷.

فلم يسبق للانسان أن أستحوذ من الوسائل الفنية والمالية والتكنولوجية وما يملكه الآن، يقول "Alfred Marshall" " ألفرد مارشال" في كتابه " أصول الاقتصاد" أن فئة متعلمة من الانسان لا يمكن أن تعيش فقيرة ذلك أن الانسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والانتاج والقدرة على الخلق والابداع، يستطيع أن يسخر كل قوى الطبيعة ومصادرها وما في باطن الأرض وما فوقها، لصالحه والارتفاع بمستوى معيشته. و توفير الحياة الكريمة له¹¹⁸. ولعل أحسن مثال على الفيض المعرفي والثورة العلمية وما تابعها من تطور إقتصادي وفكري هو بلد اليابان الذي إستطاع أن يصبح دولة عظمى في أسرع وقت.

وعلى الصعيد الوطني، يجب أن يناقش مصائرنا الممكنة والاختيارات التي نواجهها، أي الأوليات التي يجب الاهتمام به وهذا يقتضي

¹¹⁷ الميلي (محمد) : نفس المرجع السابق ، ص 71.
¹¹⁸ مصدق جميل الحبيب : التعليم و التنمية الاقتصادية، دار الرشيد للنشر، العراق 1981، ص 15.

في المعنى والمغزى، أكثر من التفكير في الوسائل ويتطلب أن نتبوا المكانة اللاتقة في مشروعنا العلمي والمعرفي والذي من خلاله تسترجع القيم والأخلاق العلمية مكانتها الأولى.

الأمر قد تختلف بانسبة للوضع الراهن الذي تعيشه الرأسمالية عن سابقتها التجارية، التي تسعى إلى الهيمنة بصفة مباشرة أو غير مباشرة ليس فقط في المجال الصناعي أو الزراعي، لكن أيضا على الخصوص عالم المعرفة والعلم والابداع، حيث أن سلع هذه الرأسمالية تمثل مواد معقدة من البحوث العلمية والتقنية والاستثمارية المادية وغير المادية، كما تمثل منتوجات وكفاءات.

وهكذا فإن قضية النهوض بالجامعة أضحت من أهم القضايا وأكثرها إلحاحا بإعتبارها العملية الضرورية لتحريك وصياغة الكفاءات وتنمية العقول والتنمية البشرية في جوانبها العلمية والعملية والفنية والابداعية. فهي وسيلة تعليمية تمد الانسان بمعارف أو معلومات أو مبادئ أو ثقافات أو فلسفات تزيد من طاقته على العمل والانتاج، وهي أيضا وسيلة تدريبية تزوده بالطرق العلمية والأساليب المتطورة أو المسالك المتباينة في الأداء الأمثل، فهي إذن عملية ضخمة لاعادة تشكيل الانسان على نطاق واسع و على نحو أكثر إيجابية¹¹⁹.

وبصفة عامة فإن الاهتمام بالتعليم والجامعة لم يكن بالأمر السهل وقد تبدو مهمة الجامعة ناقصة إذا إكتفت فقط بتكوين الاطارات لكن يجب أن تندفع كي تصبح سنة تلوى الأخرى بالمخبر الحقيقي لتفجير الثقافة والعلوم

¹¹⁹ منصور أحمد منصور : قراءات في تنمية الموارد البشرية، منشورات وكالة المطبوعات الكويتية (دار غريب للطباعة)، 1976، ص 206

حيث يكون البحث الحقيقي والمنسق توافيقا مع البحث التطبيقي الانشغال الرئيسي للأستاذة وكذا للطلبة¹²⁰.

« mais la mission de l'université serait incomplète, si elle se limitait à la formation des cadres. Elle se veut, et s'efforcera de devenir, un peu chaque année un véritable foyer de fermentation intellectuelle et scientifique ou la recherche pure combinée harmonieusement des enseignants autant que les étudiants »

1-1-2) النهوض بالجامعة يتطلب اصلاح ذو ابعاد مستقبلية :

فكل نظام تعليمي جامعي يشتمل على غائية يحرص على بلوغها ويهيئ البرامج ويكفيها لخدمتها ويؤدي في نهاية الأمر إلى إنتاج نموذج يفترض فيه أن يخدم النظام الذي خططه، وأن ينتج مواطنا بمقياس مجتمع المبادئ والقيم التي يستند إليها النظام، ولكن تحديد الغائية إذا كان سهلا فيما مضى من الأزمنة فإنه يصطدم الآن بتعقيدات ناجمة عن مجموع التحديات التي تسفر عنها تحولات سريعة في العالم كله، لذا لا يجب أن نستغرب عندما نجد أن النقد الذي نلاحظه هنا أو هناك ضد نظام التعليم الجامعي، حيث نجد ما يقابلها حتى في البلدان الغربية التي تعاني هي الأخرى من هذا النقد، ولكننا يجب تشخيص ظواهره وأعراضه محاولين معالجته¹²¹.

نحن و نتكلم عن النظام التعليمي الجامعي، يسوق بنا النقاش مرة أخرى لنتكلم عن أهمية التنظيم والاعداد الجيد داخل هذا النظام، إنه ليس كافيا أن نتحدث عن نوعية الأستاذ أو إعادة الاعتبار له فقط، دون الاهتمام بهذا التنظيم.

وعلى حد قول وزير التربية الفرنسية في هذا الصدد، نفهم أن التنظيم وحده لا أهمية له، فالشيء الوحيد الذي ينبغي أن يحظى ويضيق مفندا هذا الرأي بأنه هناك شركات إستطاعت أن تنتج أحسن المواد الالكترونية في

¹²⁰ Ahmed Taleb Ibrahimy , opcit , P 69

¹²¹ Roger Faroux ; "revue d'ébat" n° 92 nov, dec, 1996 pp 9 -13

العالم، بالاعتماد على إطارات عادية، في حين التربية الوطنية الفرنسية يوجد لديها أساتذة بارعون و موارد بشرية خارقة لكن نتائج عملهم هزيلة، و هنا يضيف كذلك أن التنظيم عندما يكون صفرا فلا تتفع كفاءة الرجال بالغة ما بلغت¹²².

(1) يلعب القطاع الجامعي دورا أساسيا و بارزا في إعداد الطاقة البشرية العاملة المؤهلة الخبرة اللازمة لتسير عجلة الاقتصادية والاجتماعية.

(2) توفير إمكانية الاستفادة من البحث العلمي و تطبيق نتائجه في الحياة العامة.

(3) كما تقع على عاتق الجامعة مهمة المساهمة في النمو الاقتصادي.

(4) كذلك فإن المهام المركزية للجامعة هي مهمة إعداد المكونين والأساتذة تلك الحاجة الأبدية التي لا تزول بل تزداد يوما بعد يوم مع تقدم العصر وإتساع رقعة التعليم.

(5) كما ينهض هذا القطاع بالعديد من المهام الاجتماعية ذات البعد الاجتماعي الايجابي الذي يكسب التنمية زخما حضاريا و يمنحها القدرة على الاستمرار والتطور، كتفتيح ذهنية الأفراد و توجيهها الاتجاه العلمي العقلاني و خلق الطموح و ترسيخ السعي و المثابرة، وكذلك دورها (الجامعة) في عملية التحرك والانتقال الاجتماعي والانتقال المهني وكذلك عن طريق تقرب أنماط الحياة إلى بعضها البعض وذلك برفع الأنماط التقليدية أو البدائية إلى مستوى الأنماط المتطورة، ومن المهام الاجتماعية للجامعة دورها الطلائعي في تحطيم الهياكل الاجتماعية البالية والقيم السلوكية المتهرئة، من خلال تهذيب السلوك الاجتماعي، ودورها الفعال في تطوير المرأة ودخولها مجال العمل و مساهمتها الحقيقية في البناء و التقدم.

¹²² Roger Fauroux, opcit, PP 9 – 13

الجامعة، من أجل تسيير شؤونها وتنفيذ مهامها وبرامجها وبالتالي تحقيق أهدافها، يتطلب الجهاز التعليمي الجامعي توفير الكثير الكثير من الموارد الاقتصادية والعينية المباشرة أو غير مباشرة.

وتوفير هذه الموارد ووضعها في خدمة أهداف الجامعة والتعليم العالي هو يطلق عليه التمويل، فهو يدل على كل ما تستطيع أن تعبئه من إمكانيات لخدمة أغراض الجامعة و أجهزة التعليم.

إن نفقات الجامعة تتزايد مع تزايد عدد الطلبة وزيادة رواتب الأساتذة وارتفاع أسعار الخدمات والوسائل والتجهيزات وغيرها من الأمور التي تزداد مع التطورات في مستوى الأسعار وإتساع الخدمات الملحقة بالجامعة الحديثة. إن مسألة النفقات مسألة مهمة جدا، يجب أن تحظى بها الجامعة كي تكون حديثة ومستحدثة مع المجريات والسرعة الكبيرة التي يسير بها عالمنا اليوم، فأسباب تزايد الانفاق في قطاع الجامعة يمكن تصنيفها بالشكل الآتي:

(أ) زيادة أعداد الملحقين بالتعليم بمرور الزمن إنسجاما مع ديمقراطية التعليم و مع خط التطور العام المتصاعد على الدوام وإستجابة للأتساع في إتاحة الفرص التعليمية لكل الجماهير.

(ب) التطور النوعي لنظم التعليم وتحديث الأساليب والمناهج التعليمية الأمر الذي يستلزم تكاليف متنوعة وباهضة.

(ج) ضرورة تطوير تعليم الفروع العلمية، تلك الضرورة الموضوعية التي يفرضها التقدم الحضاري.

(د) ضرورة تنوع ميادين ومجالات الفروع، تلك الضرورة التي يفرضها تطور الحياة، ولم يعد الامكان الاكتفاء بالفروع التقليدية بل النهوض بالفروع الجديدة المتخصصة.

ه) زيادة الخدمات والنفقات الملحقة بالجامعة كنفقات النقل، الصحة، الاطعام، نفقات تمويل البعثات والمنح والمساعدات للطلبة كالخدمات الاجتماعية.

و) نفقات الدراسات المتخصصة النظرية منها والتطبيقية مما تستلزم أموالا كثيفة، و تحتاج في إدارتها إلى نفقات دورية مكلفة.

في هذا الصدد، لا بد أن نميز بين نوعين من النفقات، هناك نفقات دورية و يقصد بها النفقات المتكررة كرواتب وأجور الهيئات التدريسية، وخدمات الكهرباء، والماء والهاتف، وغيره من الموارد واللوازم الأخرى، إلى جانب النفقات الدورية هناك أيضا النفقات الثابتة كنفقات الصيانة، نفقات البناء، توفير وسائل عامة، كتب أو غير ذلك.

وإنطلاقا من هذا التقسيم يمكننا أن نتطرق إلى جانب مهم وهو ميزانية أو تمويل الجامعة.

وللتمويل أهمية بالغة في إقتصاديات التربية والتعليم بشكل عام لكونه يرتبط بتأثير متبادل مع النظام التعليمي فهو بشكل عام لكونه يرتبط بتأثير متبادل مع النظام التعليمي فهو من جهة يحدد بنى وإستراتيجية التعليم وهياكله ويميزه بطابع خاص وتمويل الجامعة يتم من خلال مجموعة من المصادر، يمكن أن نحصرها في خمس أقسام :

1) المصادر العامة : ويعني ما يقدمه المجتمع ككل من موارد أو ما يسمى بالتمويل عن طريق الحكومة المركزية، لا شك أن هذا النمط بصفة عامة يأخذ على عاتقه إدارة وتوجيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويستند في ذلك على فلسفة معينة في السياسة والاقتصاد فالاتجاه الايديولوجي الذي يعتبر التعليم أمرا يهم كل المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته لكونه حق للمجتمع لا بد أن يوفر تكافؤ الفرص التعليمية وبالتالي لا بد من

إدارة توجيه التعليم من خلال نظمه نفسها وأجهزة الرقابة الحكومية، فإلى جانب التمويل عن طريق الحكومة المركزية، هناك ما يأتي به السلطات الإقليمية كالولايات إنسجاماً مع مخططات التنمية الشاملة.

(2) المصادر الخاصة : يعني تمويل التعليم من خلال المصادر الخاصة كالأقساط التي تدفعها الطلبة، أو تلك المدفوعة من قبل المؤسسات الصناعية أو التجارية في برامج التعليم والتدريب المهني التي تعدها المؤسسات الجامعية، وإلى جانب هذا يوجد موارد البحوث العلمية التي تقدمها مراكز البحوث التابعة للجامعات كخدمات للمؤسسات والشركات الأخرى.

(3) مصادر التمويل الخارجية:

تتمثل هذه المصادر في المساعدات أو المنح الخارجية التي تقدمها الجهات الدولية والإقليمية والوطنية أو الهيئات أو المؤسسات الخاصة، وقد تكون هذه المساعدات فنية فتتضمن خدمات أو منح دراسية أو مؤتمرات علمية أو ندوات وحلقات دراسية، أو تكون مبالغ مالية كمنح أو معدات أو أجهزة.

(4) مصادر التمويل الذاتية:

حيث تمول بعض المعاهد أو الجامعات الخاصة في الدول الغربية المتقدمة نفسها ذاتياً من خلال بيع مواردها المتأتية من بيع منتجاتها الخاصة والخدمات التي تقدمها، لكن مثل هذا النوع لا يوجد في بلادنا أو حتى البلاد العربية.

إن تحليل أوضاع المنتسبين إلى الجامعات ومعاهد التعليم العالي والمدارس العليا المتخصصة قد يكشف عن مجموعة غير منتهية من

الاهتمامات التي تتطلب دراسة معمقة، ويقود بنا النقاس إلى إستقلالية الجامعة وحريتها في تنظيم هياكلها التعليمية، وينبغي أن تكون حرة التصرف فيما تتمحه من مخصصات مالية،

أي أن يكون لها حرية التصرف في الغلاف المالي الممنوح من طرف الدولة، بما يشمل حرية إختيار الأساتذة و الباحثين الذين تتوفر فيهم شروط الامتياز مع السهر طبعا على التقويم الدوري لكفاءتهم البداغوجية.

وفي هذا الاطار، يمكن أن نقول أن التغيير الحقيقي في المجتمع هو الذي يتم عبر تغيير الانسان، والناس لا يتغيرون إلا إذا تبين لهم الدليل على وجود نموذج فكري متفق¹²³. ويعني هذا الممارسات المعهودة التي تحصر مهام الجامعة في أرقام وجداول لا تتفع، بل إن إصلاحها و تغييرها لا بد أن يكون نحو الأفضل بإستمرارية مرتبطة بظهور نموذج جديد في التفكير و المنطق بدل تقديم تحليلات و أرقام أو حلول ترضى النظام أو تقديم تبريرات التي يحتاجها النظام.

2/1) حركية المعرفة من خلال مؤسستها :

1-2/ 1) خصوصيات الحركة المعرفية ما قبل الاستعمار :

لا تكاد المؤسسات ذات الطابع الثقافي والتعليمي في العهد العثماني تتجاوز إطار المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة، فأغلبية هذه المؤسسات كانت تنشر التعليم أكثر مما كانت سندا ثقافيا بمفهومها اليوم، ولم يكن من بين هذه المؤسسات جامعة أو معهدا عال، رغم أن بعض المساجد والمدارس والزوايا كانت تبتث تعليما ذا مستوى عال... ولم تكن الجزائر آنذاك تعرف

¹²³ Michel Grozier, opcit, P 33

نشاطا مسرحيا ... أما الصحافة فلم تكن موجودة قبل العهد الفرنسي وكذلك المطبعة¹²⁴.

لا يمكن طي الصفحة الثقافية في الفترة العثمانية، دون التطرق إلى موضوع التعليم وهو الأشد إرتباط بالانتاج الفكري بل بالثقافة عموما وحتى سيالسة التعليم لأي مجتمع التي هي جزء من السياسة الثقافية له، غير أن التعليم في الجزائر ضمن الفترة نفسها كان ذا خصوصية حيث لم يكن للسلطة العثمانية في الجزائر سياسة للتعليم، ولعل الصحيح في هذا الصدد أن نقول أنه كان لهذه السلطة سياسة، وهي التدخل في شؤون التعليم، فإذا إنتشر التعليم، فالأمر لا يعينها وإذا تقلص فالأمر كذلك لا يعينها¹²⁵.

كان التعليم في هذه الفترة خاصة يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، ومهما كان فإن الأسرة الجزائرية المسلمة هي التي كانت تتحمل أعمال التعليم، فالآباء ولو كانوا فقراء، كانوا حريصين على إرسال أبنائهم إلى التعلم ... وكانت الأوقاف والصدقات والنفقات الخاصة هي التي تتكفل بتغذية التعليم وليس ميزانية الدولة¹²⁶.

على العموم، فقد شهد القرن 12 هجري الموافق لـ 18 واولئ القرن 13 هجري الموافق لـ 19 ميلادي، حركة علمية قوية في صفوف العلماء و العناية بالتعليم وكثرة التأليف، حيث بدأت نهضة فكرية شملت تشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء والكتب.

فقبل الاستعمار الفرنسي، كانت الجزائر من ناحية المعرفة والعلوم والثقافة تحظى بنفس مرتبة ومستوى العالم العربي الإسلامي المعاصر¹²⁷.

¹²⁴ سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي (القرن 16 إلى 20 ميلادي)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 223.

¹²⁵ سعد الله (أبو القاسم) : المرجع نفسه ، ص 316.

¹²⁶ السليماني (أحمد) : تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 71.

¹²⁷ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit, P 53.

الخصوصية الثانية، تتمثل في أن أساس التعليم هو الدين فحفظ القرآن كان عمدة التعليم الابتدائي، و معرفة بعض علوم القرآن كان عمدة التعليم الثانوي و العالي أيضا و لم يكن تعلم القراءة و الكتابة إلا تبعا لحفظ القرآن¹²⁸.

لعل الخصوصية الجوهرية التي كان يتمتع بها الجزائريون،لوعدنا إلى تاريخنا الماضي، فمن جانب المعرفة و العلوم، نجد أنه أثناء العهد الأغلبي (Aghlabides) نجد من طلبنا من أصل الجنوب الشرقي للجزائر،كانوا يزاولون دراستهم في مكان إقامتهم، ثم بعدها يتوجهون إلى " دار الحكمة" بالقروان لمتابعة دراستهم العليا، حيث يتعلمون العلوم الدقيقة والرياضيات و من هذه الجامعة تخرجوا علماء وأطباء وخير مثال على ذلك "ابن الجزائر"¹²⁹.

والجزائر من شرقها إلى غربها كانت تحظى بمكانة هامة في المجال الثقافي وفي المعرفة والعلوم، فنجد مثلا في غرب الجزائر أثناء العهد الرستمي عددا معتبرا من العلماء ورجال الأدب ومن بينهم قریش التيهوني الذي أسس قواعد النحو المقارن، وهذا الاستحقاق يعود بدون شك إلى الثقافة المغاربية وليس إلى الفرنسيين، وهذا ما قد برهنه المؤرخ التونسي عثمان الكعك¹³⁰.

أما في شرق الجزائر، نجد أن مدينة بجاية كانت تشكل مهد النهضة وهمزة وصل بين إسبانيا المسلمة والمشرق، والأندلسيون كانوا يتوجهون إلى هذه الأماكن لمتابعة الدروس والتعليم التي كانت تعطى من قبل علماءها،

¹²⁸ سعد الله (أبو القاسم) : نفس المرجع السابق، ص 317.

¹²⁹ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit,P 53.

¹³⁰ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit,P 54

وهذا ما يفسر بأن تاريخ الجزائر الثقافي والفكري كان مشعا في القرون الماضية لعهد ما قبل الاستعمار الفرنسي.

لكن النقطة السوداء التي كانت تتميز بها ما قبل الاستعمار الفرنسي بالنسبة لمؤرخي الحياة الثقافية إلى يومنا هذا هو نقص المراجع باللغة العربية التي تتناول هذه الفترة بالذات¹³¹. وعلى العموم، فقد شهدت فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي حركة علمية قوية، وعرفت تشجيع العلوم في كل أقطار الجزائر، وهذا ما إعترف عليه بعض المؤرخين الفرنسيين أنه في المؤسسات التعليمية العليا، يدرس في الجزائر إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية والدينية، بعض العلوم الأخرى، كالهندسة والفلك والفيزياء، والكثير من هذه المعاهد لديها شهرة خاصة في مدن الجزائر، تلمسان بجاية، قسنطينة، سيدي عقبة، مسيلة، البرج، بوسعادة، وبعض المناطق الأخرى كمنطقة جرجرة و مزاب¹³².

الخصوصية الثقافية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري، كما رأينا هي التي جعلت من الاستعمار الفرنسي الذي إحتل البلاد أكثر خصوصية في الجزائر من باقي النظم الاستعمارية الأخرى. تتمظهر خصوصية الاستعمار الفرنسي بالدرجة الأولى، في أنه مشروع شامل يمس كل مقاومات الشخصية الجزائرية، فبعد إستطلاع مسبق وتمحيص مسبق، وبالتالي فقد غزا الفرنسيون الجزائر بالسلاح والعلم، فحققا الاحتلال والاستعمار والاستيطان بالسلاح والجيوش ونشروا لغتهم ودينهم وصحافتهم ومطبعاتهم ومسرحهم... إلخ بالعلم وبالاختراع، وإذا كان الاستعمار شرا كله، فإن بعض الشر أهون من بعض، وذلك أن وجود بعض المخترعات التي كانت مفقودة في الجزائر قبل

¹³¹ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit, P 55.

¹³² Ahmed Taleb Ibrahim, opcit, PP 55 – 56

الاستعمار فوائدها الهامة على المدى البعيد ومن ذلك المطبعة والصحافة والعلوم المتطورة¹³³.

لم تقتصر المقاومة ضد الفرنسيين على السلاح فقط بل تعدت ذلك إلى مجالات أخرى خاصة مع رجال العلم والفكر منذ الوهلة الأولى، فالاعتماد الذي يحدد بأن المقاومة بدأت بالشرق العربي خاطئ، كانت رغبة هؤلاء العلماء هو إخراج البلاد والمجتمع من حالة اللا انتظام المؤسساتي ومن أجل المقاومة، ولذلك برزت في تلك الفترة عدة شخصيات عرفت بإجتهاداتها في الكتابة والتأليف، فإلى جانب الأمير عبد القادر، كانت شخصية العالم الأباضي محمد إفتشان، أحد الأعلام البارزين بغزارة إنتاجه والذي فاق 300 مؤلف خلال مدة حياته. وهذه المؤلفات التي أحصى منها العالم الفرنسي « Phillipe cuperly » 103 مؤلفات تتطرق إلى مواضيع مختلفة من أدب و تاريخ وحقوق و فلسفة وعلوم دينية¹³⁴.

لكن بعض معارضة السلطات الفرنسية لنشاط هذه الحركات الفكرية والثقافية والاجتماعية والصلبية، بدأت مساحات الأمية تنتشر في الأوساط الشعبية، وبدأ ما يعرف بالتشرد الثقافي والذي هو نتيجة عكسية حيث بدأ يظهر نوعا جديدا من المقاومة الفكرية والعلمية والأدبية إستوحت خطتها من العدة، كالكتابة الصحفية، والدراسات التاريخية وأنواع أدبية أخرى جديدة¹³⁵.

نؤكد على غرار ما قدمناه سابقا، أن مشروع الاستعمار الفرنسي وخصوصيته في الجزائر والتي تتمثل في الشمول والتبادل الثقافي بالقوة والقهر، ذلك عن طريق تحطيم بنى القائمة في المجتمع لأصلي وإستبدالها ببنى أخرى من إقرار الاستعمار نفسه، وفي هذا الاطار، تدخل السياسة

¹³³سعد الله (أبو القاسم) : نفس المرجع السابق ، ص 81.

¹³⁴ Djaghoul Abdelkader : *Eléments d'histoire culturelle de l'Algérie*, ENAL, 1994, P 15

¹³⁵ ibid, P 15

الثقافية الموصولة بالتعليم حيث التركيز على المدرسة الفرنسية، كبديل قهري عن المؤسسات التعليمية الجزائرية الأصلية، بعد تحطيمها وفرض سياسة تجهيل الفرد الجزائري الذي أصبح لا يرى بديلا عن التعليم الفرنسي، يوم كانت للمجتمع الجزائري ثقافة يعتز بها (وقوامها علوم اللسان وعلوم الدين وفنون الأدب) ... فقد قابل بشيء من الرفض المساعي لأرسال أبنائه إلى المدارس الفرنسية¹³⁶. هنا يدرك الاستعمار الفرنسي دور المدرسة والتعليم بكل أطواره، كونهم يمكن أن يكونوا عوامل ودعائم لكيان الشخصية القومية للجماعة فإنهم يمكن أن يكونوا عكس ذلك، أي عامل تفكيك لمقومات هذه الشخصية، فقد جعلت فرنسا مثلا التعليم سلاحا ماضيا لتحطيم الشخصية الوطنية الجزائرية ومحاولة القضاء على مقاومتها الأساسية التي هي اللغة العربية والتاريخ والدين والوطنية الجزائرية وكذلك لنشر الأمية والجهل في أفراد المجتمع.

كان الاستعماران انجليزي والفرنسي يوجهان التعليم في مستعمرتهما توجيهها يخدم أهدافهما، ولكن كل واحد منهما بطريقته الخاصة المتميزة، فإنجلترا لا تشجع التعليم الحديث في مستعمراتها، وإنما تحضر أهالي المستعمرات في دائرة ثقافتهم التقليدية، قصد إبقائهم تحت سيطرتها وإبعادهم عن المعرفة و التثور و التيارات الحديثة.

أما الاستعمار الفرنسي تصدى لثقافة المقاومة في مستعمراته وفرض على أهلها اللغة الفرنسية والمدينة الفرنسية قصد جعلهم فرنسيين لحما ودما حتى يندمجوا فيها ويكونوا جزءا من فرنسا، وهذا المؤشر يؤكد مرة أخرى على خصوصية الاستعمار الفرنسي.

¹³⁶الأشرف مضطفي، الجزائر الأمة و المجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص414

وفي محاولة تحطيم البنى القاعدية للثقافة والتعليم الجزائري أُنذاك، لقد حاولت السلطات الفرنسية في إتصال مع العلامة عبد الحميد إبن باديس، حيث عرضت عليه إستبدال التدريس من اللغة العربية إلى الفرنسية، وفي الجواب نفسه و لأهمية الرد عليهم الذي كان رائعا، إنه يستحق أن نجرده كاملا : ليس من الممكن أن نترك المجال حرا للغة الفرنسية ونطارد اللغة العربية لمدرسة أنشأتها ميزانية أفراد المجتمع والتي كان هدفها تعليم هذه اللغة، و يضيف قائلا : العربية لا تخرج من هذه المدرسة إلا عندما تخرج الروح من جسدي¹³⁷.

« L'arabe ne sortira pas de cette médersa que
lorsque mon âme sortira de mon corps »

هذه السياسة الاستعمارية المفروضة على الجزائريين أدت إلى ضعف عدد المتعلمين في كل أطواره للمسلمين الجزائريين مقابل الكثافة السكانية، و أيضا مقابل عدد المتعلمين الفرنسيين الذين كانوا يمثلون أقلية في الجزائر، و طبيعة البرامج والمناهج الدراسية تختلف بين المتعلمين لأبناء المستعمر ومتعلمي أبناء الأهالي، وكذلك الأمر حتى بالنسبة للمدرسين، إن فرص التعليم في الثانوية بالنسبة للجزائريين كانت قليلة أما بالنسبة للجامعيين فأقل بكثير، و لا يسمح به إلا لأبناء موظفي السلطة وأبناء المهنيين الأحرار و أيضا لأبناء كبار التجار الجزائريين.

مما يلاحظ حول سياسة الاستعمار التعليمية هو عدم التوازن الكمي الذي سيؤدي لا محالة إلى عدم التوازن الكلي بين ثقافة الغالب وثقافة المغلوب والذي سيؤدي بدوره إلى تكريس تبعية المغلوب للغالب بطريقة تلقائية وكلية ودائمة، بحيث يصبح المغلوب أكثر تماثلا لثقافة الغالب، وحتى هذا الأخير يحرص في الوقت نفسه على تضيق وحصر عملية التمثل حتى

¹³⁷ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit , P 58

لا يرتفع المستوى الفكري لدى الفئات المستعمرة، الذي تصبح أمامه و خلفه سوى سياسة إستعمارية فتاكة.

إن الهدف الذي كان يرمي إليه المستعمر، من خلال التعليم هو تلقين الفرد الجزائري عادات جديدة في التفكير والذوق الاستعماري، وإنه واضح جدا بأنهم يفضلون تطبيق نظريتهم المفضلة، حيث أن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب المستعمرة وجعلهم أكثر ولاء واخلص في خدمتهم لمشاريعهم، هو أن تقوم تنشئة الأهالي منذ الطفولة وأن تتيح لهم الفرصة لمعاشرتهم باستمرار وبذلك يتأثرون بعادتنا الفكرية وتقاليدنا فالمقصود إذن بإختصار هو أن تفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسب ما نريد¹³⁸.

ويتبين مما سبق أن الهدف الذي كان يرمي إليه الاستعمار من خلال سياسته التعليمية هو تكوين هذه الفئة التي أتاحت لها الفرصة، حيث يصبحون متأثرين بالثقافة الفرنسية ومتفاعلين معها إلى حد التمثل وينقطعون عن مجتمعهم وثقافتهم شيئا فشيئا، بحيث يشعر أولئك المتثقفون أو المتعلمون بأنهم غريباء عن ذويهم فتقطع صلتهم وينكرون العادات والتقاليد و لا يجدون أمامهم إلا النموذج الفرنسي.

للتذكير، فإن الاستعمار الفرنسي، إستهدف الانسان الجزائري وذلك من خلال تحطيم مقاومات شخصيته، وأيضا بنيته الثقافية والفكرية وهنا يعاد التأكيد على طرح فكرة إستقلال الذات الوطنية التي لا إستقلال تام وكامل بدونها، حيث يعتبر هذا النوع من الاستقلال صعب المنال في البداية كون الاستعمار كان يعمل على ترسيخ وتكريس أنظمتها في عمق الجزائر فكيف لا تتعرض الثقافة الوطنية والكتلة المعرفية خاصة منها الجامعية للتغيير أو التشويه أو حتى الانحراف من جراء إنتشار النمط الفرنسي الذي كان يمثل

¹³⁸ (George Harolg : **une conquette morale, l'enseignement en A.O.F . A colin**, Paris , 1919 ,p17

جزءا هاما، داخل النطاق الحضاري للدول العظمى؟ ولقد ظهرت اليوم حضارة تتميز بأنها خالية من الثقافة والفكر العلمي وخاضعة للضائع التقنية و موجهة نحو الاستهلاك.

1 / 2 / -2) تقوية بنية المعرفة عماد التنمية الشاملة :

ويبقى التأكيد على أنه ما من سيطرة ولو كانت من نوع السيطرة الاقتصادية أو التكنولوجية، إلا وتحمل في طياتها بذور الامبريالية الثقافية، وبناء على ذلك، فلا بد من الحذر واليقظة لكي لا يؤدي التعاون التقني والثقافي وإستيراد التجهيزات والضائع إلى فرض من التنمية لا يناسب البلاد أو إلى فتح مجال السيطرة للغة من اللغات أو دفع الكفاءات أو الزج بالبلاد في تبعية جديدة بدعوى أن التعاون مع الدول الأجنبية والسيطرة في ميادين تعتبر على جانب كبير من الخطورة، كالأعلام والسينما والتأليف والنشر وهي الميادين التي تتراوح فيه نسبة المستهلكين في العالم الثالث بين 90-95 % في حين أن نسبة المنتجين فيها ضئيلة جدا¹³⁹.

إن التخلف الكبير، الذي خلفه الاستعمار في ميدان التعليم و خاصة في المناطق الريفية، حيث لا تتوفر أدنى شروط الحياة أحيانا تجعل هذه المهمة صعبة، لذلك أعتبر التعليم و التربية بعد الاستقلال من القطاعات الاستراتيجية ذات الأولوية في مختلف المشاريع والمخططات التنموية، حيث بذلت جهودا معتبرة، فقد أثمرت إنجازات ومكاسب قامت بالدرجة الأولى على مجانية التعليم والزاميته، وما صاحبه من تكوين عشرات من الأساتذة، وبناء آلاف المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات، دون أن ننسى مئات الآلاف من الخريجين و الاطارات في مختلف الميادين و الشخصيات.

¹³⁹الأبراهيمي (أحمد طالب) : " الأمبريالية الثقافية، السم في الدسم" مجلة الثقافة ، الجزائر، العدد 41، أكتوبر 1976 ، ص 8.

نظام التعليم عامة والجامعي خاصة، عاملان من عوامل نقل تصورات التنمية إلى الأفراد وكذلك ربطها بالأهداف العامة للتنمية، هذا فضلا على تزويد الأفراد بالمهارات الفنية أو التقنية، بالإضافة إلى إعداد قادة التحول في مختلف المستويات النسق الاجتماعي، بأبعاده السياسية والاقتصادية.

كما أن الجامعة نظريا على الأقل - تساعد على إكتشاف وتنمية قدرات الأفراد وموهبهم، وتهيئ لهم سبيل التفكير الموضوعي في مختلف الوسائل وتجعل العقول والنفوس أكثر إستعدادا لتقبل التغيير والرغبة فيه، وهي تدفعهم إلى الصعود في السلم الاجتماعي كما أنها تعتبر أداة من أدوات الاتصال.

فالدول المتقدمة، ذات الموارد الكبيرة، ترى من التعليم بشكله الواسع وسيلة لتأكيد نهضتها وتدعيمها، كما ترى فيه الدول النامية، مجالا للتنمية و تقوية شخصيتهم وبالتالي لتوفير الانتاج وتحسينه. فالجزائر كباقي الدول المستقلة حديثا، رغم كل ما خلفه الاستعمار إلا أنها مباشرة بعد الاستقلال لم تنسى المجال العلمي والثقافي والذي أعطي له الاهتمام الكافي واللازم. فالهدف الذي وضعت معالمه من أجل التعليم والثقافة، يتجلى من جهة في العودة إلى منابع الثقافة العربية، و من جهة أخرى في إستدراك التأثير من أجل مواكبة الدول المتقدمة التي لها حضارة علمية وثقافية عالية، وعلى هذا الأساس وضع مخطط إجرائي في المجال التعليمي والثقافي وهذا المخطط يسعى إلى تحقيق ثلاث أهداف :¹⁴⁰.

- ديمقراطية التعليم.
- تعريب التعليم

¹⁴⁰ Ahmed Taleb Ibrahim : opcit ,

- أولية البحث العلمي و التقني.

فالجامعة واحد من أهم الوسائل، التي يمكن عن طريقها تحويل قوى المجتمع الكامنة وغير المتجانسة إلى قوة واحدة، وهذا عن طريق بث لغة واحدة، وإنماء الجامعي قد أخذ على عاتقه، مهمة القيام بالغيرة والتخصيص، ذلك أن ينجزه الفرد في الجامعة فضلا عن نمط الدروس التي يختارها غالبا ما تحدد مستقبله ووظيفته ودخله فضلا عن مكانته الاجتماعية، وتعتبر الجامعة الألية المركزية التي تعمل على توجيه وتسهيل الحراك الاجتماعي عبر الأجيال، كما وظيفة التخصيص تهدف إلى وضع النظام التعليمي في حالة تنسيق محكم مع المصالح الحكومية ومع الصناعة وغيرها من المجالات. ويتجلى لنا واضحا أن المهمة الأساسية للجامعة التي تريد أن تكون فنية وحيوية(ديناميكية) ومتفتحة لمشاكل اليوم والمستقبل، أن تسعى إلى إعداد الاطارات اللازمة لكل قطاعات النشاطات الوطنية، وإلى المبدعين إلى إستبدال البنى الاقتصادية للبلاد و كذا إلى الفاعلين في تميمته¹⁴¹.

لكن الشيء الذي حدث، هو بقاء كل هذه المعاني على مستوى التصور و النظرية، و بشكل عام فإن المؤسسات التعليمية الرسمية خلال هذه الفترات أسهمت بالدرجة الأولى في إحداث حراك إجتماعي كمي فقط. و يتضح لنا، أن أهم ميزة عرفها التعليم العالي هو الزيادة السريعة في الأعداد الهائلة التي تتدفق خلال كل سنة مع بداية الثمنيات و كذلك بنايات الجامعات، و في سنة 1962 كان هناك ثلاث مدن جامعية و اصبح عددها ما يقارب ب 32 مدينة جامعية في سنة 2000.¹⁴²

بصفة عامة، يتضح أن معظم بلدان العالم الثالث التي إستوردت نظم تعليمية بان فشلها، مثلما هو الحال بالضبط في عالم الاقتصاد، والنظم

¹⁴¹ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit, P 69.

¹⁴² Les, cahiers du créad, n° 70, 4ème trimestre 2004, P 88.

التربوية الموروثة عن الاستعمار لم توضع لمقابلة حاجة الأغلبية المطلوب تعليمها اليوم، وإنما وضعت أساسا لسعد حاجات أقلية حاكمة أو متعاملة مع الحكم.

وهكذا فإن معظم سكان العالم الثالث، وجدوا أنفسهم ضمن الأنماط التعليمية للشمال، نظم موجهة لخدمة الاقتصاد الخارجي، نظم تمهل الريفية رغم أن معظم مجتمعات العالم الثالث مجتمعات ريفية، إن النظام التعليمي المستورد أعطى مفهوما خاصا للعلاقة بين العلم و العمل. وكان من أهم عوامل التخلف الذهني و الاجتماعي هو تلك النزعة الموروثة من عهود الركود الاستعماري الفرنسي و التي تفصل بين العلم والعمل، وترسيخ في الأذهان أن العلم يعني الحصول على الشهادات فقط وهي تؤدي بدورها إلى الوقاية من العمل ... وإلى جماعة من النخبة الذين لا تتسخ أيديهم¹⁴³. و هكذا فإن أهم ما ميز هذه الأنماط المستوردة هي أنها بتركيزها على التعليم الجامعي جعلت منه قوة مضادة أو بتعبير أدق، قوة غير تنموية.

والمتمتع لقراءة سيرورة الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، يتضح أنه بالرغم من كل الإصلاحات التي بذلتها الدولة في هذا المسعى، إلا أنه توجد نقائص كبيرة، وكان إلزاما على الدولة أن تعزز سلم القيم الضائعة، و ليس المزح بالعلم، وهذه القيم هي التي تشكل العامل الوحيد للتنمية المستمرة للبلاد¹⁴⁴.

تأخرنا كبير بالنظر إلى بعض البلدان الأخرى، ولكنه يزداد يوم بعد يوم، السياسة الواضحة، الميزانيات الضخمة، وتحمل المسؤوليات من طرف الدولة إزاء البحث الجامعي، كل هذا يسمح لنا أكيدا من الخروج من الأزمة

¹⁴³ ولد خليفة (محمد العربي) : " الجامعة الجزائرية و صورها في التنمية الخبرة الوطنية " مجلة الثقافة، العدد 41 ، أكتوبر 1977 ، ص 73.

¹⁴⁴ Laouisset (Djamel eddine) : opcit, P 11.

الحالية. وبالتالي بتطور كمنونا العلمي نساعد على تعدد فروع البحث ومجالاته. الجامعة التي تعد النواة القاعدية للتنمية وعلى جميع أشكالها و مستوياتها، نجد نفسها مع كل الشروط المتوفرة واللازمة العامل الحاسم في المشاركة الفعلية في تحولات المجتمع، كما أنها تضمن لنفسها ترقيتها¹⁴⁵.

(3/1) الجامعة بين التوجيه السياسي ومصير الانسان:

(1-3/1) الارادة السياسية واصلاح الجامعة :

إن جميع الأمم تعتبر الجامعة ومصير الانسان المعاصر من أصعب المشاكل، وأصبح هذا الموضوع في العديد من المناسبات من المواضيع الرئيسية ليس فقط على الصعيد الوطني بل أصبح له أبعادا عالمية، لأن كل الدول أمنة بأن كل تقدم في أي ميدان إلا وصاحبه التقدم والتطور العلمي لذلك البلد.

لقد ظهرت مشكلات عويصة في البلدان التي وضعت نظامها التربوي أو الجامعي حديثا أو صاغته على منوال الأنظمة الأجنبية وهذا هو الشأن في الأقطار النامية، فبلدان العالم الثالث ما كادت تتخلص من عهد الاستعمار حتى أخذت تغوض معركة حاسمة ضد الجهل لأنها إعتبرت وهي في ذلك صواب أن القضاء على الجهل هو الشرط الأساسي للتحرر الدائم و الطريق الوحيد للرقى والازدهار، وكان ما من يعتقد أن هذا كله يكفي لتحقيق هذا الأمر كله، أي أن تنزع من يد المستعمرين سلاح التفوق التقني. وبعدها تفتنت البعض منها، أو بدأت تلاحظ أن تلك الأنظمة المستعارة وفي بلدها الأصلي أنظمة سائدة، لا تتماشى مع حاجيتها

¹⁴⁵ Ahmed Taleb Ibrahim, opcit P 158

ومشاكلها، وإذا نظرنا إلى مشاريعها الأنمائية في مجال التربية والتعليم فإنها تجد أنها تتنافى مع إمكانياتها المالية، حتى أن عدد المتخرجين من الجامعات والمعاهد أعلى من أن تستوعبهم مجالات العمل، مما أدى إلى نوع من البطالة الخاصة التي لا تقتصر مساوئها على ضعف المردود، بل تتجلى عواقبها على الصعيد النفسي والاجتماعي. وبما أن المجتمعات النامية لا يمكنها على كل حال أن تتخلى عن الطموحات الأساسية التي بذلت من أجلها التضحيات الجسام، فلا بد من مراجعة الحالة ولو كلفها ذلك ما كلفها. والملاحظ أن بعض الدول راضية إلى حد ما بأنظمتها التربوية أو حتى الجامعية، ولا تعترف لأحد بحق حكم الصواب أو الخطأ، وربما كانت هذه الدول واقعة في الوهم، ولا تدرك بأن الوضع يتفاقم من القاعدة وأن أعراض تلك الحالة السيئة لا تبدو لمن يكتفي بالملاحظة السطحية وأنه يأتي وقت من الزمن تنتبه فيه الدول عن غفلتها كما حدث لفرنسا شهر ماي 1968.¹⁴⁶ ومن الممكن أيضا أن تلك الدول موقفة مع مساعيها لمعالجة الأوضاع الجديدة، بفضل إدارتها الحازمة وبفضل الظروف المواتية لها، في حين أن دولاً أخرى فشلت في معالجة الوضع، وبطبيعة الحال، هذا هو وضع الدول على إختلاف درجتها وتفتحها وتفتننها للمسألة.

على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن الدول الحديثة الراقية لا تعرف المشاكل والصعاب، بسبب إستقرار الوضع فيها وعدم تعرضها للآزمات والاضطرابات، بل هي على العكس تولى أهمية كبرى لتطوير مؤسساتها، وطرائقها بإستمرار، ولا تتخوف من إستخدام الأساليب الجديدة لأنها أدركت أن التقدم أصبح ممكنا بل مرغوبا، وإنه لا بد من أن يتوصل أكبر عدد ذوي المعرفة والدراية إلى أعلى درجات العلم، ومن جهة أخرى، لا يخفي على تلك

¹⁴⁶ إيدجار فور و آخرون : نفس المرجع السابق، ص 20

الدول أن تطور الاكتشافات العلمية والابداعات سوف يحتم هذا الاتجاه، وسوف يفسح المجال إلى ميادين واسعة للعمل.

مهما أن تكون الاتجاهات السياسية نحو الجامعة كمؤسسة وعن مصير الانسان الذي أصبح أكثر تفتحاً للعلم والمعرفة وأنه بدراية تامة بكل تقدم في أي مجال كان سواء إجتماعي أم إقتصادي أو فكري إلا وكان بتطور أليات المعرفة والتقدم الذي أحرزته الجامعة من إبداع وإكتشاف. ويقول البعض أن الوضعية التي نواجهها اليوم جديدة كل الجدة ولم يسبق لها مثيل، حيث نرى السباق بين المجتمعات المتقدمة الأمنة بأن أحسن إستثمار هو إستثمار المورد البشري وبالأخص الاستثمار في التعليم العالي الذي يعتبر لهم بالأبدي الذي لا ينهار أو بالعكس المحرك الفعال في كل أليات المجتمع. وهذه الدول بالأخص، أمنة أن التغيرات الكبرى التي يمكن أن تطرأ على الجامعة وأليتها ليس مجرد ظاهرة تتعلق بالزيادة في الكم وفي بناء المنشئات والتوسع في المراكز، بل الأمر يتعلق بظاهرة الكيف، بحيث أصبح من البديهي أن الانسان بالذات قد تغير في خصائصه العميقة وإزدادت إمكانياته إلى حد بعيد.

وكي نكون في تمام الوضوح، خاصة إذا إستدرجنا النقاش حول هذه المسألة فيما يخص وطننا، هذا لا ينبغي مع كل إفتتاح لسنة جامعية أو إختتامها، يسرد علينا المسؤولون سبلا من الأرقام عن الانجازات الكبرى، مقاعد بيداغوجية جديدة، عدد الطلاب الاجمالي والطلاب الجدد، عدد الخريجين، الأساتذة المؤطرين، كل هذا جيد ومشجع، ودليل على المجهود الذي تبذله الدولة في القطاع، لكن لا حديث عن المستوى العلمي، الذي ينبغي أن تكون عليه الجامعة مع المقارنة بالجامعات الكبرى في العالم، وفي هذا السياق وعن تقرير صادر عن مؤسسة وبومتركس ورلد راتكنغ الجامعية

المختصة في متابعة النشاطات العلمية و البداغوجية عبر جامعات مختلف القارات، و يذكر أنه في الترتيب العالمي لم يظهر إسم أي جامعة جزائرية ضمن تصنيف 1000 جامعة عبر القارات الخمس¹⁴⁷.

وإذا قسنا هذه المقارنة على الصعيد القاري، فإنها كارثة أخرى، حيث يشير التقرير، أن جامعتين فقط (تلمسان في المرتبة 39، وتليها جامعة باتنة في المرتبة 48 من ضمن 100 جامعة مصنفة إفريقيا¹⁴⁸. وهذا في مجال إنتاج البحوث وفعاليتها ومردوديتها في مختلف المجالات العلمية ودورها في ترقية البحث العلمي المفيد في التنمية المحلية والعلمية.

حتى لا نبقي منعزلين عن التحولات التي تطرأ في العالم الذي يسير بسرعة كبيرة، ونبقى جنبا إلى جنب مع الركب الحضاري والعلمي والمعرفي، يجب أن تكون التوجهات السياسية للبلاد تراعي هذه الأمور، حيث يتم إسناد هذه المهمات إلى رجال الميدان الذين يشغلهم هذا الأمر، وإذ يجب مراعاة مستوى خريجي الجامعات، وعن المقاييس والشروط المطبقة في الجامعات الحديثة، وعن التقييم الدوري الذي تقوم به جامعات العالم، لنعرف موقعنا بالنسبة للتقدم العلمي والتكنولوجي والمستوى الفكري والفلسفي، العمل الثقافي المتميز، علاقة الجامعة بالتنمية بكل أشكالها، لمعرفة وظيفتها في مصير الانسان وإنشاء مجتمع متعلم.

كل هذه التساؤلات وغيرها يجب أن تبقى منوطة بالتوجيهات السياسية للبلاد، وكي تبقى الجامعة تؤدي بدورها الفعال في تشكيل القواعد الصحية لهيكله مجتمع بناء و كامل على كل المستويات، يجب إسناد هذه المهمات إلى الأخصائين في هذا الميدان إذا ما أصبح معيار التهميش

¹⁴⁷ جريدة الخبر " لا وجود للجامعات الجزائرية في المراتب الألف عالميا" العدد 5034 ، تاريخ

07/06/09 ، ص 27.

¹⁴⁸ جريدة الخبر، نفس المرجع السابق ، ص 27.

والاقتصاد واردة، فإنه لأمل أن نحلم بجامعة هادفة أو مستهدفة التطور والتقدم الذي يخدم مصلحة الفرد و المجتمع

إن جامعتنا في حاجة مستعجلة إلى مشروع كبير للنهوض بها بإعادة الاعتبار لها مؤسسة لها طابع الأولوية، وإعطائها من الإمكانيات المادية التي تحتاج إليها، الجامعة في حاجة إلى وقفة كبيرة، مثل تلك الوقفة التي وقفناها في مطلع السبعينات و التي أفضت إلى المشروع الوطني الكبير لأصلاح التعليم العالي، و كذلك وضع الأسس لنظام شامل للبحث العلمي، لغرض تحويل الجزائر إلى قوة علمية تكنولوجية عصرية.

ومشكلة جامعتنا اليوم هي تلك العتبات التي إصطدم بها ذلك المشروع الكبير، الذي يجعل من الجامعة المحرك الرئيسي لتقدم البلاد في كل الميادين، فقد بنى الاصلاح على رؤية إستراتيجية كبيرة توصلنا إلى الهدف بربط المفاصل السياسية للتنمية الوطنية، و تطوير المجتمع، وتحقيق مشروع المعرفة، وكان الاصلاح بهذه الرؤية الاستراتيجية يحتاج إلى إمكانيات هائلة للجامعة إبتداءا من تكوين هيئة تدريس مناسبة عددا وكفاءة، و كان هذا هو هدف البعثات إلى الخارج، لكن الذي وقع منذ مطلع الثمانيات هو إدخال الجامعة في متاهات تغلب عليها البروقراطية، والمظاهر الخارجية، والمشاكل البيداغوجية الروتينية والاصلاحات المرتجلة و المصالح السياسية الفتية¹⁴⁹.

الجامعة في حاجة اليوم و بصفة مستعجلة للنهوض بكل المشاكل العالقة في مقدمتها مشاكل هيئة التدريس، فمن غير المعقول أن يكون راتب الأستاذ الجامعي أقل من نظيره في المغرب وتونس، وهي بلدان مجاورة وليس لها من الامكانيات التي لدينا، بل أدنى من مرتب الأستاذ في غزة .

¹⁴⁹ محمد سعدي: جريدة الخير: مقال بعنوان "جامعتنا.. إلى أين" العدد 4865، 2006/11/22، ص29.

وهذا يعني من جهة أخرى أن تغيير سلم الرواتب يقتضي كذلك تغيير في المقاييس والشروط التي تتوفر في هيمنة التدريس توظيفا وتسييرا للمسار العلمي الشخصي، وكذلك إعادة تنظيم البعثات إلى الخارج بحسب الكفاءة والشفافية، وبالمسابقات العلنية والإشراف عليها بصفة جدية، كذا إختيار الجامعات الكبرى للتسجيل، إختيار التخصصات التي نحتاج إليها. وليس هذا فقط، وإنما أيضا إشراك علمائنا وباحثينا وأساتذتنا في الخارج في عملية التكوين الكبرى، إيجاد صيغة مقبولة لإعادة هجرتنا العلمية، والاستفادة من الذين يستقرون هناك.

2-3/1) مصير الانسان مرتبط بترقيات الجامعة :

و حتى لا نبقي منعزلين عن التحولات التي تطرأ على الجامعة في الساحة العالمية، يجب أيضا أن تخطى تجارب البلدان الأخرى، وهذا لا يعني التقليد، و إنما الاستفادة من كل شيء إيجابي من تجاربهم، وعلى سبيل الذكر، نقترح مثال التجربة الهندية في هذا الشأن، لقد إختارت الهند نظاما تربويا مرنا في الأجور لتشجيع الأساتذة الأكفاء و الأكثر قدرة على الأنتاج العلمي، و في السنوات الأخيرة إسترجعت الهند أكثر من 20 ألف عالما من الغرب، و كذلك التجربة الصينية التي تغرق جامعات الغرب الكبرى بالبعثات الطلابية و العلمية¹⁵⁰.

جامعتنا، بحاجة عاجلة لتوظيف قدرات علمية ناجعة، إن النهوض بالجامعة فتح نقاش علمي واسع داخل الجامعات ومراكز البحث، ونقاش على مستوى الدولة والرأي العام السياسي الوطني، وتقديم المقترحات العلمية في البرمجة والتنظيم، وتحديد الأهداف الكبرى لجامعتنا وفق للاستراتيجية التي تحددها لبناء عصري قوي ومستمر، دون جامعة قوية سيصبح مشروع

¹⁵⁰(محمد) سعيدي: جريدة الخبر، نفس المرجع السابق / ص 29.

التقدم والدولة العصرية مجرد رواية، لا ننسى في أن واحد ، أنه مهما كانت طموحات و مجهودات وأهل الاختصاص في هذا الميدان والأفراد والمجتمع إلا أن كل هذا يتحقق بفضل الإرادة والتوجيهات السياسية الأمانة بالتحول والتغيير الذي قد لا يكون أو يتحقق إلا بفضل تحولات الجامعة.

ومن ناحية أخرى، فإن الجامعة تستدعي، على المدى البعيد وجوب التطور الاجتماعي والسياسي والتطور الفني والاقتصادي، فتقترن بذل التطور وتدعمه. وعندئذ، فإن المثقفين يحاولون إثبات شخصيتهم كمواطنين، وإذا تكاثرت عددهم فإنهم يتشجعون للمطالبة بالحقوق الديمقراطية.

(2) دور وإسهامات الجامعة في تحقيق التنمية الشاملة :

(1/2) الجامعة : دور العلم والتكنولوجيا في التنمية الاقتصادية

والاجتماعية :

(1-1/2) العلم والتكنولوجيا القاسم المشترك الأكبر لعمليات

التنمية :

نشأة العلم و تطوره وهو بذلك مرتبط بكل مراحل الانسان البشري، بإعتباره نتيجة طبيعية لممارسته الحياتية أو العملية لا سيما في عملية الانتاج المادي، ذلك أن النشاط وعمل الانسان مارسا ومازالا يمارسان تأثيرا محددًا على تطوره الجسدي والفكري، تلك الممارسة التي لا بد أن يكون العلم وثيق الارتباط بها على أنه أبعد من أن يكون محض إبداع ملكة الفهم.

وبفضل الاكتشافات الجغرافية وتطور الصناعة منذ الحروب الصليبية وظهور جملة من الوقائع الجديدة على صعيد الميكانيك والكيمياء والفيزياء وتطور العلم النظري سيما بعد القرون الوسطى ونما نموا سريعا، الأمر الذي يثبت حقيقة أن العلوم تنشأ وتتطور من حاجيات الممارسة العملية وكمعم لها، وعلى هذا الصعيد نكتفي بشرح هذه النقطة بإدراج هذا

المثال، كأننا نقول أن الذي أوجد علم الفلك في البداية هو إحتياجات التجارة والملاحة، وقد نشأت فروع الفيزياء لسد حاجيات تقنيات الانتاج المتنامي، كما أنشأ عصر البخار الدراسات المتعلقة بالحرارة، فيما تطلب الانتقال إلى المحركات الكهربائية دراسة تفصيلية لنظرية الكهرباء.

وهكذا نصل أن العلوم إنما نشأت و تطورت بإعتبارها جزء من مستلزمات الانتاج¹⁵¹.

فمن خلال تطور الانتاج أصبحت المعرفة العلمية محتواة في مجمل العمل الاجتماعي، الأمر الذي قاد بالضرورة لأن يصبح العلم عنصرا مباشرا في الانتاج وواحد من قواه الجبارة التي تتطور بفعل الربط المباشر ما بين العلم و الانتاج و العلاقة الجدلية المتبادلة بينهما¹⁵².

إن هذه العلاقة المتبادلة بين العلم والانتاج - لا نكتفي فقط بالانتاج الاقتصادي الموجه نحو المادة وإنما أيضا الانتاج الاجتماعي الموجه للنشاطات الانسانية - تكتسب في ظروف التطور العلمي والتكنولوجي، أي يتطور التعليم والبحث العلمي، حيث أن التفاعل بينهما يعد في هذه الظروف شرطا جوهريا للتطور السريع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، على أن يبقى العلم جزءا من العمل الاجتماعي يعتمد عليه ويتقدم بواسطته، ولا ينفصل عنه بالرغم من عظم دوره وقيادته للعمليات الاجتماعية.

وتفسير كل هذا، هو أن هذه العلاقة المباشرة بينهما لا تصح ممكنة وكفاءة إلا بالعمق في معرفة قوانين الطبيعة والمجتمع وتطوير أنظمة الانتاج وأساليب تقنية جديدة في عملية الانتاج والادارة العلمية للأنتاج وتكييف واع للعلاقات الاجتماعية.

¹⁵¹ فؤاد مرعي و أخرون : المادية الديالكتيكية، منشورات دار المعارف - دمشق، 1973، ص369.

¹⁵² مصدق جميل الحبيب : نفس المرجع السابق ، ص 34.

بالشكل الذي يجعل العلم والتكنولوجيا القاسم المشترك الأكبر لمختلف عمليات التنمية وأحد المقاومات الرئيسية في تسارع النمو الاقتصادي والاجتماعي والحضاري لمختلف البلدان، والعالم الذي يتطور اليوم يستند إلى قاعدة مفادها أن الذي لا يسير إلى الأمام فإنه يتراجع إلى الوراء و أن تحدي المؤسسات مرتبط، أساسا بالامتياز في التسيير¹⁵³.

إن العلاقة بين العلم والانتاج قد مرت بسلسلة من المراحل التطورية، بحيث اصبح العلم والتكنولوجيا قوة إنتاجية وعنصرا من عناصر الانتاج، فبعد أن كانت العلاقة بين المعرفة العلمية وتطور الانتاج علاقة عامة و محدودة، لم تستخدم خلالها المعرفة العلمية النظرية على تطوير الانتاج بقدر ما كان التركيز على خلق الآلات و المعدات الانتاجية، تحولت إلى علاقة وثيقة و مميزة بعد أن إستطاع العلم أن يمتلك إستقلالية ضمن قوى الانتاج المتمثلة بفصله المباشر عن العمل الانساني، كونه قوة مستقلة و مباشرة لا ترتبط مباشرة بعمل الانسان، فالعامل الذي يمارس عمله على آلة ما، تعتمد إنتاجية هذه الآلة (الكمية والنوعية) على إنتاجية وكفاءة العامل، إما إذا كان الانتاج مؤقتا، فإن العمل الانساني الفصلي المباشر يسقط نهائيا و يكون مستوى الانتاجية مرتبطا بالأتمية التي تعكس المعرفة الانسانية.

رغم أننا تطرقنا إلى هذه الأسطر التي جاء بها ألفرد مارشال - « Alfred - Marshall » في كتابه " أصول الاقتصاد"، ولكن إعادتها وتكرارها أصبح من الضروري حتى يتسنى لقارئ هذا البحث فهما جيدا، لأن الكلام بهذا المعيار وبهذا المستوى أصبح نظرية تعتمد عليها البلدان الأمانة بالمشروع الهام الذي بإمكان الجامعة أي العلم والمعرفة - أن تمده إلى كل

¹⁵³ Laouisset Djamel eddine, opcit , P 87

ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، حيث يقول : إن فئة متعلمة من الانسان لا يمكن أن تعيش فقيرة وذلك أن الانسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والانتاج والقدرة على الخلق والابداع، يستطيع أن يسخر كل قوة الطبيعة ومصادرها وما في باطن الأرض وما فوقها لصالحه والارتفاع بمستوى معيشة وتوفير الحياة الكريمة له¹⁵⁴.

الجامعة بإعتبارها المكان الذي ينتج أهل الاختصاص في البحث والمد من العلوم وإبداع الأفكار وتطوير أساليب العلم والتكنولوجيا، كانت ولازالت المقر الرئيسي لانتاج ونشر العلوم والمعرفة لجيل تلوى الأخر، ومن هنا يصبح العلم جزءا مهما من تاريخ المجتمع في نشاطه من أجل تحقيق التقدم والتطور، وإستنادا إلى هذا، نستخلص أن من المهام الرئيسية للجامعة هو تنظيم لمعرفة الواقع بطريقة منتظمة ومنهجية وكل هذا ينبت ويتطور على أساس المعرفة الاجتماعية.

في خضم تشابك التطورات العلمية والتكنولوجية وتعقدها في عصرنا الحالي ومن خلال إعتبار عملية التنمية الاقتصادية العملية الديناميكية المحركة والفاعلة في مجمل قطاعات الاقتصاد، يحتل فيها العلم والتكنولوجيا المكانة الأولى والرئيسية بإعتبارها المحرك الأساسي لتسريع هذه العملية ودفع عجلة تطورها إلى الأمام الأمر الذي يجعل تبني الجامعة المبعث الرئيسي للعلم والتكنولوجيا وما يتبعه ما يترتب عليه من طرق إنتاجية وأساليب ووسائل علمية ومعارف فنية وتطبيقية لحل المعضلات التي تثور خلال مسيرة التنمية أمرا بالغ الأهمية بالنسبة للبلدان النامية.

فحاجات المجتمع المتطورة والمتنامية بإستمرار على الصعيدين الكمي والنوعي يستطيع البحث العلمي والتكنولوجي أن يساهم مساهمة فعالة

¹⁵⁴ مصدق جميل الحبيب ، مرجع سابق ، ص 15.

في تلبيتها و سد قسم كبير بسبب تأثيره في الانتاج كونه الشرط الأساسي لزيادة إنتاج السلع و الخدمات النافعة للبشر¹⁵⁵ وعلى حد القول بعض المنظرين، فالجامعة من زاوية أخرى يمكن إعتبارها مؤسسة وأنها أيضا تعتنى بالمرودية والنجاح¹⁵⁶.

وإذا أشرنا إلى المرودية والنجاح خاصة فيما يخص التنمية الشاملة للبلاد، تشير الدراسات والأبحاث التي أجريت حول موضوع تقدير مهام الجامعة و تأثيرات العلم و التكنولوجيا في التطور الاقتصادي، فمثلا في الولايات المتحدة أعلنت هذه البحوث أن مساهمة التقدم التقني في زيادة إنتاجية العمل تتراوح ما بين 80 إلى 90%، وأثبتت الدراسة نفسها بفضل هذه المقارنة التي أجريت لنفس الهدف أن الزيادة المنسوبة إلى زيادة رأس المال لا تتعدى 10 - 20 % .

كي يتبين لنا الدور الذي بإمكانه الجامعة أن تقوم به في تحقيق التنمية وأن تصبح فعلا مشروعا مستقبليا لأي بلد كان، ضمن خلال البحث العلمي في الطب والبيولوجي والكيمياء والفيزياء والصيدلة يمكن تحسين الرعاية الاجتماعية للأنسان وتحسين ظروف العمل والسكن والنقل والمواصلات والصحة، ومكافحة تلوث البيئة من خلال زيادة السيطرة على الشروط المادية المحكومة بزيادة و تطور المعرفة العلمية .

إستنتاجا لكل هذا، نستطيع أن نفهم من خلال الدور المنوط بالجامعة من خلال تطورها للبحث العلمي والتكنولوجي وتطور الفكر بكل مقاصده وفلسفاته، أن يخلق المتطلبات الضرورية لتحقيق التنمية وتطوير متطلبات التنمية، الأمر أو السبيل الذي يجعل من القوى الدافعة الأساسية في عملية التطور الاقتصادي والاجتماعي مساهما فعالا في خلق الظروف

¹⁵⁵مصنق جميل الحبيب : مرجع سابق ، ص 40 - 41.

¹⁵⁶ Ahmed Taleb Ibrahimy opcit, P 110.

التي تضمنم للأنسانية شروط وجودها من خلال كون العلوم أساس الحضارة المادية، لأنها تهيئ الفرص للسيطرة على الطبيعة و استثمارها لصالح المجتمع.

2-1/2) الاستثمار في البحث العلمي مصدر التطور السريع :

لا يخفى على أحد أن أحسن استثمار هو الاستثمار في المورد البشري ولن يتأتى هذا إلا بإصلاح وإعادة النظر في ميدان والتعليم بأشكاله المختلفة، قد لا ننسى في أن واحدا ما حققته الصين و اليابان في النصف الثاني من القرن العشرين ولعل أهم سبيل سمح لهما تحقيق ذلك هو الاستثمار في الميدان العلمي وبفضل الثورة الثقافية الموجهة بالدرجة الأولى نحو المعرفة التي ساهمت بشكل ملحوظ في تحسين كل الآليات ودفع عجلة التنمية والابداع والابتكار، ومن شأنها أيضا ساهمت بزرع روح التحدي والمنافسة والخوض في معركة السيطرة على مستجات العصر.

ومن هنا نرى ما توليه البلدان المتقدمة لهذا الموضوع بالذات من إهتمام، فهي تخصص ميزانيات ضخمة من دخلها العام على البحوث العلمية، وتزيد باستمرار في عدد العاملين في هذه الدراسات من باحثين علميين وتقنيين ومهندسين كما يتزايد لديها باستمرار إنشاء المكتبات العلمية ومختبرات للبحوث و إنتاج الكتب و الوسائل العلمية المتعددة.

وإذا أردنا أن ندرك السبب الذي يجعل ذلك البلد يحقق أحسن النتائج عن ذلك فإنه من الأجدر معرفة العوامل والأسس التي تؤدي إلى ذلك. ولا شك فيه، أن هذه الأسس هي كل الجهود التي تبذلها الجهات المعنية من وسائل وإمكانيات وميزانية من إعتبار للجامعة. ونفهم من جهة أخرى، أن الانفاق على البحوث العلمية والتقنية والاهتمام بالجامعة كالأرضية الخصبة التي تعد اللبنة الوحيدة التي تساعد وتساهم في التنمية بكل أنواعها وعلى

جميع مستوياتها، وينبغي أن تسير مسارا متصاعدا يوما بعد يوم، ذلك أن البحوث العلمية بإعتبارها المجال الخصب لاكتشاف وتطوير الطرق والوسائل الجديدة ذات الكفاءة العالية، وربما الكلفة الأقل تساهم مساهمة كبيرة في التأثيرات على المؤشرات التي بإمكان أن تجعل الجامعة الحقل الذي يثري كل ميدان ينادي إليها و على صعيد تأثير أهمية الانفاق في مجال البحث العلمي وأداء الجامعة بدورها الحقيقي، قد توصل الباحث السوفياتي الأكاديمي " تيرابزينكوف" إلى إستثمار روبل واحد في البحوث العلمية وتطبيقاتها يؤدي إلى زيادة في الدخل القومي مقدارها 1.39 روبلا، بينما إذا إستثمر هذا الروبل إلى زيادة وسائل الانتاج من معدات وألات فإنه لا يؤدي إلا زيادة مقدارها يعادل ربع الزيادة الأولى¹⁵⁷. لا نستطيع أن نتكلم عن الجامعة دون ربطها بالهدف الحقيقي الذي أنشأت من أجلها، أي تلقين العلوم و المعرفة و مساهمتها في تطوير البحث العلمي و التكنولوجيا الذي بدوره يؤدي بوظيفة هامة في تطوير كل أليات المجتمع من إقتصاد، إجتماع، ثقافة و فن ... إلخ، دون أن ننسى الوظيفة التي يؤديها ذلك البحث من أجلها، أي بخلق الظروف والأساليب التي تجعل الميدان الذي تجري فيها كل المختبرات سواء على الصعيد الاجتماعي أي ما يخص نشاطات الانسان، أو الموجه نحو المادة والتي تصبح من الحاجيات الضرورية التي يقنتيها المجتمع و ينبغي أن لا يخفى علينا ما قد ينشأ من علاقة متبادلة بين هذين العالمين أي العالم المادي والانساني¹⁵⁸، فإن أي تطور عن هذه العلاقة المتبادلة تساهم في التطور العلمي والتكنولوجي الذي جاءت بها المجتمعات المعاصرة، وذلك بظهور إهتمامات جديدة وفروع مختلفة سواء

¹⁵⁷ Louiset Djamel eddine, opcit , P 69

¹⁵⁸ عقل إطنابوس : أهمية البحث العلمي وتنظيمه وربطه بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية - مطبعة دمشق - 1971، ص128.

في تنظيم العمل وتخصص المهن و غيرها من الأمور، هكذا نفهم أن التطور العلمي والمعرفة ساهما في ظهور فروع علمية جديدة و هذا نتيجة إتساع نطاق المعرفة النظرية وتشعب مجالاتها وتعدد فروعها، مثلا الانتقال أو تقدم الفيزياء الفلكية الذي يجمع بين الفيزياء و الفلك، أو الكيمياء، الفيزيائية الذي يجمع بين الفيزياء والكيمياء، ضيف إلى ذلك فروع أخرى نتيجة للتزاوج بين العلوم الطبيعية والاجتماعية مثل: علم الطب الكوني، علم النفس للقضاء الخارجي، وأن متطلبات العصر الحديث وتطور البحث العلمي ساهم أيضا تحت ضرورة حل المشكلات الحياتية الكبرى إلى إلتحام مجموعة مختلفة من العلوم كما حدث أيضا في نشوء مجموعة علوم "البراكسية والسيبرنتيك" في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

وعلى صعيد آخر، فإن التطور يكون مرتبط بتطور المجتمع، وكلما تفرعت إهتمامات المجتمع في المجال الاقتصادي والاجتماعي زاد إهتمام العلماء والباحثين تحقيق هذا التوازن ما بين متطلبات المجتمع وما تتجزه الجامعة من إسهامات لتحقيقها، إذن فتعدد الفروع العلمية وظهور فروع جديدة لا بد أن يؤدي إلى ظهور فروع صناعية جديدة، فظهرت مثلا الصناعات الالكترونية التي اصبحت العامل المشترك لمجموع الصناعات الحديثة في الوقت الحاضر، وأخذت نسبة مساهمتها تزداد بإضطراد في التجهيزات الخاصة بالصناعات الكيماوية والمولدات والموصلات وغيرها.

ومن السمات الهامة للثورة العلمية والتكنولوجية التي لا تأتي إلا بفضل مجهودات الجامعة من اساتذة وباحثين وتقنيين، وهذه السرعة القياسية لمسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي التي تزداد يوما بعد يوم، الأمر الذي أدى إلى تقليص الفجوة الزمنية الفاصلة بين المعرفة النظرية أو الاكتشاف العلمي وبين تطبيقه التكنولوجي و تحقيقه على الصعيد العملي.

إذا تناولنا أهمية ما تحققه الجامعة من خلال البحث العلمي والتكنولوجي في الميدان الاقتصادي فإن هذا الأخير يكون أيضا مرتبطا بالجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع. لذا فإن أي تطور في ميدان الاقتصاد يساهم حتما في تطور الجانب الاجتماعي، فمثلا الفروع الجديدة للصناعات التي تخلق هنا وهناك فإنها تتطلب حتما الكفاءات البشرية الكافية سواء من ناحية الكم أو الكيف، فمن ناحية الكم فإنها تقلص من البطالة وتعمل لأمتصاص فئة من الأفراد سواء من الذين لديهم الكفاءة العلمية أو من اليد العاملة الأخرى.

• السبيرنتيك (Cybernetique) : نقصد بها فن التوجيه و يعني هذا المصطلح كعلم الرقابة و الادارة و هو كفرع علمي معاصر أسسه " نوبرت فينر - Nobert winer « عام 1948 يهتم بالدراسة التجريدية للأنظمة المكونة من عناصر يؤثر بعضها على البعض تأثيرا متبادلا، فيشرح هذه الارتباطات إلى سلاسل من العلة والمعلومات ويصوغ العلاقات الرياضية بينهما ويبحث في السلسلة السببية لتشكيل العمليات الواقعة في هذه الأنظمة ولقد نمت هذا العلم نموا متصلا نتطور للأتمتة في الصناعة الحديثة وفي القوات المسلحة ومنطق النشاط العقلي كعلم مساعد لمجموعة علوم البراكسية (Praxie) التي يراد بها علوم الفعالية و الألعاب الاستراتيجية و نظرية الأعلام.

• نشأ السبرنتيك والبراكسية خلال الحرب العالمية الثانية لحل المعضلات العسكرية التي فرضتها ظروف الحرب، كذلك وجد السبرنتيك تطبيقه كعلم مساعد أيضا لعلم الاقتصاد، السياسي في حل مشاكل تنظيم التجهيزات والنقل وتنسيق الإنتاج وتخطيط الأستثمار وتحليل شروط التوازن لإعادة الإنتاج .

- شروحات و أفكار مأخوذة من الأنترنت.

كل ما يحققه الجانب الاقتصادي من تقدم ورفاهية يساهم بالقسط الأوفر لفك الأزمات وحل المشاكل الاجتماعية ومساعدة المجتمع بالنهوض وسير إلى الأمام، و تعتبر هذه الاسهامات إنجازات كبرى، سواء في قطاع السكن أو الصحة، المواصلات، النقل... إلخ، ولكن ما يجب أن لا ننساها، فإن البحث العلمي يتدخل في كل جوانب الحياة الداخلية او الخارجية، أي ما يعني الطبيعة والفرد والعلاقة المتبادلة بينهما.

والأهم من كل هذا، فإن التقدم العلمي و التكنولوجي أي الاستثمار المتزايد والمتواصل في الجامعة أصبح منذ زمن سببا ونتيجة لتقدم التربية والتعليم، فارتبط التقدم العلمي والتكنولوجي بهما بعلاقة وطيدة ومتبادلة جعلته يطورهما ويتطور عنهما، وهما يميز الثورة العلمية والامتداد المعرفي المعاصر أيضا أنه لا يعتمد على جهود فردية تعود لفئة ضيقة ولا يتعلق باكتشافات يقوم بها أفراد قلائل من الباحثين والعباقرة المنعزلين في مختبرات ومراكز علمية صغيرة كما كان يحدث في القرون الماضية، بل اصبح يعتمد على تعاون مجاميع متعددة من العلماء ومعاونيهم من ذوي الاختصاصات المختلفة الذين قد ينتمون لمختلف الأقطار أحيانا، واصبحت الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحث التجريبي ومحطات أبحاث الدولية والمعامل وكل المراكز التي يرتبط عملها بالانتاج بدلا من مؤسسات البحث الخاصة وازدادت إعداد شغيلة العلم لتصبح مئات وربما مئات الألاف من الناس في جميع أنحاء العالم يعملون في البحث العلمي بدلا من إقتصاره على أقلية من المتخصصين و المتفرغين.

إن ظاهرة التعاون العلمي الدولي ذات آثار إقتصادية وإجتماعية وثقافية على جانب كبير من الأهمية لما تساهم بالاسراع في رفع وتأثر النمو

الاقتصادي والاجتماعي سواء عن طريق نقل المعرفة النظرية والتكنولوجية أو التعاون الثقافي والعلمي وتركيز الجهود المشتركة لحل بعض المشكلات الأمر الذي يزيد من إحتياطي المعرفة و يطور الرأي والأخر. زيادة على هذا، فإن حتى على الصعيد الثقافي هذه المبادلات العلمية بين الدول، كثيرا ما تصبح عاملا لنشر الثقافات وأنها تقلص المسافات بين الحدود، وتزيد في التعاون والسلم والديمقراطية وغيرها من الأمور.

(2/2) تنوع التخصصات لأسواق عمل غير مبرمجة:

(1-2/2) مهمة الجامعة والربط المحكم بين التعليم والاقتصاد :

إن مسؤولية الجامعات في تراجع الثقافة العامة واضحة مثلما هي واضحة عند النهوض بأحد أدوارها الأساسية في الربط المحكم بين التعليم والاقتصاد، أو كما يسمى ببعض تخصصات التعليم و سوق العمل المتوفر في مجتمعنا، و نلاحظ في البلدان العربية أن ظاهرة إنتشار البطالة السافرة أو الممتعة بين الخريجين الجامعيين أصبحت مشكلة مزمنة¹⁵⁹ يشكل هذا الجانب خسارة كبيرة للتنمية والمجتمع من خلال خسارة العنصر البشري نتيجة عدم إستغلال طاقاته وقدرات، أو إختصاصه وقابلياته إستغلالا علميا سليما بالشكل الذي يجعله يعطي أقصى مردود إقتصادي وإجتماعي، إن هذه الخسارة هي حصيلة للنظام التعليم غير الكفؤ الذي لا يعتمد على الربط بين محتوى التعليم ومستواه بين الحاجات الفعلية للتنمية من جهة، وبينه وبين رغبات وقابليات وميول الطلبة وإستعدادهم لمجال تعليمي محدد من جهة أخرى.

¹⁵⁹ميلي (محمد) : مرجع سابق ، ص 55.

ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، أهمها عدم التوافق بين بنية الاختصاصات في التعليم العالي وبين سوق العمل المتجددة وفقدان التنسيق بين توزيع الطلاب على التخصصات المختلفة وبين حاجات العمالة، فتختلف المنهج والأساليب التعليمية وقصور النظام التعليمي ككل يؤدي بالضرورة إلى عدم قيام هذا النظام بدوره المطلوب في تنشئة القيم العلمية التقدمية، وهذا ما يعني أن ضعف مستوى الخريجين في بعض الأحيان في مجال إختصاصهم نتيجة لضعف مستوى التعليم وكفايته الداخلية وتركيز الأعداد في التعليم العالي على التخصصات الثابتة ذات البعد الواحد. وعدم الأخذ بالاختصاصات ذات الأبعاد المختلفة، و على تقديم دراسات مترابطة بين عدد من مواد الدراسة، وعدم إستعداد التعليم العالي لأستقبال من يدعون بالزيائن الجدد من الراشدين الذين يعودون إلى الدراسة أو يلجأون إلى التناوب بين الدراسة والعمل، أو يدرسون بعض الوقت، أن يحضرون دورات ودراسات تطول مدتها وتقتصر تبعاً للحاجة، وبوجه عام ضعف الترابط بين التعليم العالي ومحتواه وسياسة القبول فيه، وبين بنية القوى العاملة وحاجاتها، المتجددة وعدم الأخذ بنظام عال ومرن ومتجدد، تجدد المهن وحاجاتها وتجدد وسائل الانتاج وتقنياته وتجدد مطالب التنمية الشاملة.

ولا يخفى لنا أن المجتمعات المتقدمة أو التي هي بصدد التشكل الآن تفرض على جامعة المستقبل أن تعد خريجين جامعين قادرين على التكيف مع متطلبات عالم محكوم بتحولات مستمرة، إضافة إلى عدم اعتماد نظام التعليم العالي تحديد الاختصاصات حسب القابليات والكفاءات سيؤدي إلى زج آلاف الجامعيين بدراسات لا تتسجم مع تكوينهم النفسي والاجتماعي وبالتالي تخرجهم في فروع بعيدة كل البعد عنهم، ولا تمت لرغباتهم بأدنى

صلة مما يؤدي على خسارة فادحة في حالة النجاح فضلا عما يؤديه الفشل من خسارة مضاعفة.

وقد نفسر هذا بأن ملائمة الاختصاصات التعليمية مع حاجات التنمية أولا، ومع رغبات وميول الطلبة ثانيا يؤدي إلى إختلال بنية وبالتالي إلى خسارة أكثر خطورة، تلك هي إضطرار إلى ممارسة أعمال أو وظائف أخرى ليست في إختصاصهم¹⁶⁰.

وأول شيء يمكن أن نستخلصه من عدم مطابقة ميول الطلبة مع إختيار تخصصهم هو إختلال الموازين سلبيا، سواء إتجاه الطالب أو إتجاه الجامعة التي تفقد من عناصره، وهنا تبرز ظاهرة التخلي عن الدراسات الجامعية (Abondon universitaire)، وأظهرت الدراسات أن هناك ثلاث أنواع التخلي عن الدراسة الجامعية، وأول ذلك قد يبدو أقل خطورة والذي يتمثل في عدم الرضا في الاختصاص وبالتالي يلجأ الطالب في الأخير إلى إعادة إندماجه أو إنخراطه من جديد في جامعات أو معاهد أخرى، و يسمى هذا النوع بالتخلي المفتح أو الايجابي (Abondo positif) - كونه لا يرتبط بالميول الفردية : النفسية، الاجتماعية، الثقافية لأختصاصه، أما النوع الثاني يسمى بالتخلي السلبي و يتجلى في عدم ملائمة الاختصاص مع رغبات وميول الطالب، و يؤدي إلى فقدان روح التعليم مما يؤثر على الطالب للتخلي عن الدراسة لمدة معينة قد تطول أو تقتصر وفي النهاية يعيد تسجيله في جامعة أخرى، و منهم من ينقطع عن الدراسة نهائيا ويسمى هذا النوع بالحيادي (Abondo neutre)¹⁶¹ هذا ما يفسر أن الطلبة الذين يعبرون عن مواقف

¹⁶⁰ دق جميل الحبيب : نفس المرجع السابق ، ص 84.

¹⁶¹ Pol du pont et Marcelo Ossando, opcit, P 24.

متناقضة وعديمة الاهتمام إتجاه بنية الجامعة بصفة عامة، فإنهم بالتالي يتكونها نهائياً .

2/2-2) عالم الشغل مرتبط بالاستراتيجية الجامعية :

إن تراجع مكانة الجامعة و عدم قيامها بدورها المطلوب في تنشئة القيم العلمية والتقدمية، حتى في حالة النجاح الشكلي وتمكن الطالب من التخرج وظيفيا من دراسته، لا تعني مطلقا النجاح بمعناه الأمتل حينما ينهى الطالب دراسته التي أحبها و إندفع إليها، مما يفضى بالضرورة إلى قتل روح الابداع لدى الطالب، الأمر الذي يتراكم شيئا فشيئا ليؤول إلى ما يسمى بالبطالة المقنعة للخريجين مادام هناك إفراط في عدم زرع روح الابداع و الاخلاص للمعرفة، ودفع مستوى المهارات، مما قد يجعله عاملا أقرب إلى خدمة التخلف وإختلال الموازن منه إلى التنمية السريعة والشاملة.

ومن جهة أخرى، نجد أن سوق العمل المتوفر في مجتمعنا في أغلب الأحيان، يطلب من الجامعيين الخبرة في المهنة، وقد يؤدي بنا هذا المطلب إلى إعادة إعتبار سياسة التخصصات وربطها بالتريصات التي يجب أن تقام بالموافقة مع الشركات أو الهيئات المستخدمة العمومية أو الخاصة، إن ربط التخصص بالتريص قد يساعد الطالب بإحتكاكه على عالم الشغل أو المهنة وهذا ما يجعله يختبر نفسه ويختبر جل المعارف النظرية التي إكتسبها في الجامعة، والشيء الذي يزوده بنوع من الخبرة ولو بشكل سطحي، وقد نجد أن بعض الاختصاصات تستدعي بالضرورة من الطالب على حسابه أن يلتجأ إلى تريص مع إحدى الهيئات المستخدمة، خاصة مع نهاية الدراسة أثناء إعداد المذكرات، ولكن هذه التريصات لا تنطبق على جميع التخصصات وحتى ربما على كافة طلبة الاختصاص الواحد، و نجد منهم من ينشغل كل يوم للحصول على هذا التريص، والذي لم يسعفه الحظ،

فإنه يلتجأ في الأخير إلى إعداد مشروع نهاية الدراسة بطريقة الموضوع النظري (Sujet théorique) ، وهذا الكلام ينطبق بنفس الكيفية سواء على تخصصات العلوم الدقيقة (التطبيقية) أو العلوم الانسانية (الاجتماعية).

وخضم تشابك التطورات العلمية والمعرفية والتكنولوجيا وتعقدتها في عصرنا الحالي، ومن خلال إعتبار التنمية الاقتصادية العملية الديناميكية المحركة لمجمل قطاعات الاقتصاد، ويحتل العلم والجامعة المكانة الأولى بإعتبارها المحرك لتنشيط وتسريع هه العملية ودفع عجلة تطورها إلى الأمام، الأمر الذي يجعل تبني العلم والتعليم وما يتبعه ويترتب عليه من طرق وأساليب ووسائل عملية ومعارف فنية وتطبيقية لحل المعضلات التي تثار خلال مسيرة التنمية أمرا بالغ الأهمية لكل البلدان النامية.

لو كان هناك تنسيق كامل وشامل بين السياسة المنتهجة من طرف السلطة وسياسة الجامعة، ومدى مسؤوليتهما في التنمية الاقتصادية الشاملة، فحاجات المجتمع المتنامية بإستمرار على الصعيدين الكمي والنوعي يستطيع البحث العلمي أن يساهم مساهمة فعالة و كبيرة في تلبيتها وسد قسم كبير منها بسبب تأثيره في الانتاج كونه الشرط الأول لزيادة إنتاج السلع و الخدمات النافعة للبشر، حيث تشير الدراسات أن ربع إقتصاد الولايات المتحدة يعود فضله إلى العلم وخمس إقتصادها يعود إلى تطور المعرفة¹⁶².

وإذا كانت المعالم واضحة بالنسبة لتوزيع التخصصات لأسواق العمل مبرمجة ومتوفرة لخريجي الجامعة هذا من جهة، وبالنسبة إلى إسترجاع الجامعة مكانتها المرتبطة بالتحصيل النوعي والكيفي السليم هذا من جهة أخرى، فإن كل هذا، يخلق القوى الدافعة لعملية التطور الاقتصادي والاجتماعي، ومساهما فعالا في خلق الظروف التي تضمن لمجتمعنا شروط

¹⁶² Ahmed Taleb Ibrahim, opcit

وجوده كون العلوم أساس الحضارة المادية لأنها تهيئ الفرص للسيطرة على الطبيعة وإستثمارها لصالح الانسانية، وتشير الدراسات ان تطور العلم و التكنولوجيا ساهمت في زيادة إنتاجية العمل في الولايات المتحدة الأمريكية تساوي 80 إلى 90% في التطور الاقتصادي¹⁶³ و خلاصة القول ألا يكفي لأن نقول أن الحضارة هي نتاج العلوم¹⁶⁴.

فمؤسسات التعليم الجامعية مدعوة كي تضم فروعاً علمية تجري فيها تربيّات، وتكون الطالب ميدانياً، يكتشف فيه من خبرات قد لا يتحصل عليها من خلال الدراسة النظرية الصرفة، إن العمل بهذه القاعدة لكي يكون مفيداً، يجب أن يشتمل كل التخصصات ولا تقتصر على ذاك الفرع أو الأخر فحسب، فمثلاً تدريس الحقوق يمكن أن يعزز بتدريب عملي في مكتب موثق أو محام، أو في مصلحة الإستثمارات القانونية لشركة، وبنفس الكيفية حتى أن تشمل جميع الاختصاصات، وبهذا تكون الجامعة محكوماً عليها أن تؤمن لكل الطلبة التكوين العام والفني والتكنولوجي الذي يجعلهم مؤهلين لعالم الشغل بإستمرار في أكثر من مجال.

(3/2) الجامعة و الاتجاه الانساني العلمي :

(1-3/2) ربط نظام التعليم العالي بالتحصيل العلمي وغاياته

الجامعة :

إن جهود الجامعة تتدرج كلها في عمل موحد يؤدي إلى تحقيق أهداف معينة، و تلك الأهداف خاضعة لغايات عليا، و هذه الغايات بدورها خاضعة لإدارة المجتمع.

عن معطيات الواقع الموضوعي هي التي تتحكم في تحديد الغايات لكل قطر من الأقطار، لكن هذه الغايات تعكس في نفس الوقت إرادة

¹⁶³ مصدق جميل الحبيب ، نفس المرجع السابق ، ص 41.

¹⁶⁴ Malek bennabi, *La colonisabilité*, édition dar el hadhara Alger, 2003 , P 27.

العاملين في حقل الجامعة والمعرفة ومقاصدهم، كما أنها منبثقة من الأهداف العامة التي يرمي إليها المجتمع، ولذلك، فإن تحديد غاية من الغايات لا تعني أننا حددنا لها وظيفة معينة بل يعني أن الوظائف الخاصة بها ترمي إلى تحقيق الغايات التي تسمو فوق كل إعتبار.

فالجامعة يمكن أن تظل مدة طويلة من الزمن نسخة مطابقة لما عليه المجتمع أو سباقه إلى الأمام، و بذلك تساعد في تطور المجتمع وتدفع به إلى الأمام، ومن جهة أخرى فلا ينبغي أن ننظر على تلك العوامل المؤثرة نظرة سطحية فحينما نقول بأن التربية تعكس حاجة المجتمع، فإننا نعني أنها تعكس حقائق متعددة.

ومن الخطأ أن نعتبر المدارس والجامعات والأنظمة التابعة لها مجرد مؤسسات تعكس السلطة السائدة في المجتمع كدولة أو الخرب الذي بيده مقاليد السلطة، بل لا بد أن ندخل في الحساب أيضا العوامل الاجتماعية الأخرى المتكاملة أو المستقلة عن بعضها أو المتصارعة، والحقيقة أن ميدان التربية والتعليم وعلى الأخص الجامعة من الميادين التي لا ينقطع حولها الجدل، بل هو ميدان حافل بالنقاش والصراع، مما له أثر عميق في تحقيق أو تحديد الغايات.

هذا لا يعني بأن تلك العوامل الاجتماعية تنفرد دون غيرها بالتأثير في الغايات، فالأفراد سواء منهم المتعلمون أو المعلمون أو غير هؤلاء كلهم يؤثرون بصورة محسوسة أو غير محسوسة في تلك الغايات أو في تحديدها أو تعديله، بالإضافة إلى هذا، فإن الفكر البداغوجي والفلسفة ونظرية التربية وعلومها والفكر المذهبي على وجه العموم، كل ذلك له أثره الخاص في تحديد الغايات.

إن الجامعة كنظام تربوي جديد ينبغي أن يقوم على أساس التكوين العلمي والتقني والمعرفة، وهذا التكوين يعد من المقاومات الأساسية للأتجاه الانساني العلمي، إنه جدير بالذكر بأن هذا الأخير ينبذ أية فكرة مسبقة عن الانسان، سواء كانت ذاتية أو تجريدية، فالمقصود بالانسان هنا، هو ذلك الكائن الذي يعيش في الواقع المحسوس في فترة زمنية محددة ويتعلق مستقبله بمقدار ما يحصله من المعرفة و هذه الأخيرة لا بد من توجيهها نحو العمل الصالح الذي يعود بالمنفعة على الانسان نفسه.

إن العالم الذي نعيش فيه قد تغير، سواء أردنا أو لم نرد، فإن في كلا الأمرين نقضي حياتنا في بيئة متشعبة بالعلم، وهذا الامر يتعلق بالفلاح المجدد في مزرعته كما يصدق على العامل في مصنعه أو التقني في المخبر، نفهم من كل هذا أن الانسان المنتمي إلى الحضارة الحديثة لا يستطيع أن يساهم في البناء أو الانتاج.

إلا إذا كان قادرا على فهم الطرائق العلمية، عوضا من أن يقتصر على مجرد التطبيق، بالإضافة إلى هذا، لا يجب أن نبقى غافلين بأن على قدر ما تتفتح أماننا أبواب المعرفة ندرك البيئة التي تحتظننا ونفهم أسرارها ولا شك أن إكتساب الفكر العلمي وإتقان لغة العلوم التي منبعها هي الجامعة، لا يقل كل منهما أهمية عن إكتساب وسائل التفكير والتعبير الأخرى وإتقانها.

ويعتبر البعض أن الجامعة من حيث الأساس تعتبر عاملا في تكوين الشخصية و في تحقيق مطاميحها، فالعلم لا يعني إختزان المعلومات والأدوات الفكرية وضمها إلى ما فطر عليه الانسان من عادات وسلوكات نمطية، وإذا نظرنا إلى هذه المسألة من هذه الزاوية، فإن الموضوعية هي المعيار الصحيح الذي ينبغي مراعاته خلاف للذاتية التي يجب أن تزول في

مجال العلم والمعرفة لكي تتفتح على الوجه الأكمل في كل المجالات الخرى التي تخصها، ولاشك أن العلاقات الانسانية سوف تتحسن عندما يصبح المعيار الذي يؤمن به كل باحث هو قبول الواقع كما هو و تغليب الحقيقة الموضوعية على العواطف الذاتية المنتكرة أحيانا في ثوب البراهين العقلية. ومن المؤكد أن أبواب المعرفة لا تتفتح إلا بعد التغلب على السلوك النمطي وعلى الجهود والأفكار المسبقة والصور الراسخة في الذهن، وكذلك بعد إزالة ما يكتنف الحقائق الموضوعية من تعقد وغموض، وينبغي أن لا ننسى أن كل شوط نقطعه في طلب العلم إنما هي نقطة لمزيد من البحث، كما يجب أن نقر بفضل السلف علينا في ما توصلنا إليه من معرفة وأن نتسلح بالارادة القوية في العقول والعمل، وأن لا نحكم بالخطأ أو الصواب إلا بعد التحقق، وهذا ما يقضي به الفكر العلمي خلافا للتفكير المتحجراً والمقيد بالعقلية العيبية.

لا بد أن يهتم نظام التعليم بالربط بين تحصيل المعرفة في المدرسة أو الجامعة وتطبيق تلك المعرفة في المجالات العملية فلا ينبغي الاقتصار على الطريقة في الشرح النظري والحفظ بل لا بد أيضا من التحقيق في المسائل ولا بد من فهمه أيضا ومثل هذه الطريقة التي يجب أن تكون منوطة بمهام الجامعة قلما تغرس في روح المتعلم روح الابداع و الحدس والخيال والحماس والشك المنهجي، وغير ذلك من الصفات التي يجب توفرها في النشاط العلمي للجامعة بالأخص، و لا يجب أن يستأثر العلماء وحدهم بالقدرة على الملاحظة والاستقراء والتصنيف وإستخلاص النتائج، إذ يجب الدعوة إلى تصحيح نظرة الناس إلى العلوم، وتبسيط العلوم لتقريبها إلى أفهام الجماهير، لا نحط من قدر العلم بشيء بل نعتقد أن هذا هو الاتجاه السليم للتربية العلمية.

مما لا يناع فيه أحد أن التنمية التي تقر جميع البلدان بضرورتها تستلزم بالعقلية والعلم، ولا يخفى لأحد أن للجامعة دور فعال، وأنه بفضل الجامعة أتى العلم والمعرفة بالبرهان الحقيقي على ما يتمتع كل منهما من سلطان ومن إمكانيات واسعة في هذا العصر الذي يتميز بوثبة عظمى إلى الأمام في مجال المعرفة.

وبإهتمام المسؤولين بالبحث العلمي والابداع، كما أنه يتميز بالتغير المتسارع و بتزايد عدد العلماء والباحثين حتى أن أكثر من 90% من العلماء المخترعين الذين ظهوروا في تاريخ البشرية كلهم يعيشون في عصرنا الحالي¹⁶⁵.

2/3-2) الجامعة هي التي تحدد الكفاءات :

فالثقافات الوطنية لا يمكنها أن تتجدد إلا إذا إستفادت من العلم ومن التراث المعرفي العالمي، إستفادة لا تضطرها للتفكر لتراثها الخاص، وهكذا تبقى الجامعة المشعل الذي لا ينطفئ إذا ما لا اسئى إليها وتبقى المحرك الفعال في كل أليات المجتمع سواء منها الاجتماعية، الاقتصادية، الفكرية وغيرها. والثقافة لا تبقى إلا إذا كانت جذورها راسخة في أعماق المجتمع وعلى المجتمع الذي يعتمد على منبر الجامعة، ومن جهة اخرى، لا تبقى الثقافة إلا إذا كانت قابلة للتغير وهذا بفضل الاتجاه الانساني العلمي الذي أنشاته الجامعة وعودته على التفنن و الابداع و الابتكار والسير قدوما إلى الأمام، ومهما كان المقصود بكلمة تقدم، سواء كانت تقيد المعنى الأصلي لها أو معنى التفاؤل أو التشاؤم بالمستقبل، فإن مصير الانسان مرتبط على كل حال بصورة حتمية، بتقدم العلوم وتطور الجامعة والانسان المعاصر محتار اشد الحيرة عندما يلاحظ أن الأمور تتغير احيانا بصورة

¹⁶⁵ إيدجار فور و اخرون ، نفس المرجع السابق ، ص 141.

مستقلة عن نشيئته لأنها تجري على سننها الخاصة وهذه السنن خارجة عن نطاق الانسان، رغم أن الانسان هو الذي يرتب عمليات التغيير ويراقب كل مرحلة من مراحلها وكل عنصر من عناصره من البداية الى النهاية.

بالأمس القريب كان الانسان بحكم جهله أو عجزه لا يستطيع أن يستجيب الاستجابة الملائمة لتحدي الظروف المناوئة سواء كان صادر عن الطبيعة وعن إنسان آخر، أو عن المجتمع بصورة عامة. أما الانسان المعاصر، فإنه يدرك العالم و يعرفه على حقيقته و يفهمه. وفي هذا المقام يقول ألبير إينشتاين - Albert einstein- إن الشيء الذي اتعجب له من أمر هذه الدنيا، هو أن كل ما فيها يمكن أن يفهم، قد توفرت للإنسان كل التقنيات الضرورية للتأثير على البيئة بكيفية ملائمة تعود عليه بالنفع، كما أنه استطاع بفضل ما إكتسبه من معرفة و علم أن يضيف إلى هذا العالم كنوزا جديدة مما أنتجه من سلع مادية، و ما اسسه من منتجات، و لاشك أن جميع هذه العوامل تعني أن الانسان أصبح نظريا سيد مصيره، وقد تصبح غاية العلم و المعرفة أي الجامعة دون منفعة ما لم تسعى إلى تحقيق موضوعا مهما في عالمنا اليوم وهو السلام و الحرية لكافة المجتمعات، وإن قلنا أن الانسان سيد مصيره، لأن هذا لا يتحقق إلا عندما تزول الأسباب التي تدفع إلى العنف و التناحر.

بفضل الجامعة تتأتى أبعاد الانسان المتكامل، على أن هذا يعني أن إكتساب وسائل المعرفة والبحث مهما لتكوين عقل الانسان فالانسان مفطور على التعجب من اسرار الطبيعة والحياة، وهذا التعجب هو منبع خصاله الحميدة ومبعث نشاطه في الحياة، ولذلك نجده يقوم بالملاحظة المنهجية ويعمد على التجريب وتصنيف أنواع الخبرة وترتيب المعلومات والتعبير عن ذاته، والاستماع إلى أقوال الآخرين.

أي قابلية الحوار، وتدريب ذهنه على الشك، وإتقان فن القراءة ومحاولة فهم أسرار الكون بطريقة تجمع بين روح العلمية والخيال، أليس كل هذا من مهام التربية والمدرسة والجامعة بالأخص؟

زيادة على هذا، تعمل الجامعة على تكوين الفرد من الناحية الشخصية ونموه نموًا سليمًا، وتشجعه على مواجهة المواقف الصعبة والاعتماد على النفس، ومن جهة أخرى تعمل الجامعة على تنمية الجوانب العاطفية كي تزداد علاقة الفرد بالآخرين، ولاشك أن الجامعة التي تتعامل مع الأعمار تتعدى المراهقة تساهم أو تعتبر عاملاً للتنشئة الصحيحة التي تساعد الفرد على الاتصال بالغير والتعاون معه في الأعمال المشتركة والتعاون بين المجتمعات.

وبعبارة واحدة، فإن مهام الجامعة في تكوين الإنسان العلمي يتضح بأكثر رؤية من خلال هذه المقولة : خلق الإنسان ليكون ناجحًا في حياته، وخلق العالم لتمكينه من النجاح.

وبالإضافة إلى هذا، فإن مهام الجامعة لا ينحصر في هذه الحدود فقط، بل يتعداه، وقد يتبدل لأن العالم يتغير مهما يكن النظام الذي نقيمه والمشروع أو المشاريع الوطنية التي نسعى إليها، مهما كانت الاستراتيجية التي نحددها، كل ذلك يتوقف على بناء صرح جامعي علمي عصري قوي، لأن الجامعة هي التي تعد الأطارات الكفاءة القادرة على تأطير المجتمع وقيادته، أو كما يقال حول مستوى الكفاءات التي تتخرج من الجامعة، إن المستوى الذي يتخرج به الطالب يتحكم في مستوى البلاد أربعين سنة مستقبلاً أي المدة التي يمارس فيها الطالب المتخرج مهنته.

ويبدو لنا واضحًا، أن الجامعة هي التي تحدد الكفاءة وهي حجر الزاوية في مسارنا الوطني، وفي التغيرات الحاسمة التي نحدثها لتطویر بلدنا،

أي في سياسة البلاد و بناء الدولة وطبيعة الحكم، أو في الاقتصاد أو في الثقافة، في تماسك المجتمع وتحديد هويته، وفي قدرته¹⁶⁶ على إستيعاب معطيات العصرن وعلى إدارة الحوار داخله بقواه المتعددة والمتنوعة، و مع العالم الخارجي، وفي زحمه، في تغيراته وتقلباته. وهكذا تصبح الجامعة مضخة القلب في جسم الأمة، إذا صلحت صلح الجسد كله، إذا فسدت فسد الجسد كله، وبهذه الأهمية ينبغي أن تكون الجامعة مركزا الثقل في إهتماماتنا الوطنية، وأن تكون موضوعا مفتوحا للنقاش.

(3) أهمية الكتاب وضرورة تعدد النشر لرفع إنتاجية المعرفة والمستوى الجامعي :

3 / 1) ميلاد الكتاب الجامعي و ضرورة تعدد دور النشر :

3 / 1-1) الكتاب ظاهرة عالمية واصل كل العلوم :

إنتاج الكتب صناعة قائمة في حد ذاتها، تبدأ بإنشاء المطابع، فتأسس دور النشر والتوزيع وتنتهي لدى القارئ سواء عن طريق المكتبات العمومية أو المدرسية أو الجامعية أو الخاصة.

الكتاب في مفهومه سياسة قائمة، أنه صناعة كبرى تتطلب من الدولة مجهودا كبيرا أن يفوق كل المجهودات، الاهتمام بالكتاب هو رفع مستوى التعليم، رفع الانتاجية، خلق الوطنية والغيرة على الوطن.

ترسيخ الثقة بين المواطنين، المحافظة على التضامن الوطني، خلق النقد البناء، وتأسيس الثقافة الثورية، من هنا كان لابد من الالاحاح على الانتاج المحلي للكتاب وضرورة التشجيع على البشر في كل الميادين والتقليل من الاستراد ماعدا الضروري قصد خلق ثقافة وطنية وثورة علمية و فكرية خاصة ما يتعلق الأمر بالمعاهد العليا والجامعات.

¹⁶⁶ محمد سعدي، نفس المرجع السابق، ص 29.

إن الكتاب لا يعني القراءة فحسب، وإنما ظاهرة عالمية تفرض نفسها كحقيقة وكضرورة حياتية لأستمرار البشرية ككل، إنه الحياة المعاصرة التي لا تستقيم بدونه، فالأمم المتطورة فهمت هذا منذ أمر بعيد، فراحت تخصص الميزانيات الضخمة لإنتاج الكتاب ونشره. نفهم من كل هذا أن تطور الدول والشعوب يقاس بما لديها من مكتبات بكل أنواعها المختلفة التي تخدم قطاعات المعرفة الانسانية، ولذا تتبارى الدول في أمريكا وأوروبا في إنشاء وإقامة المكتبات في كل مدينة وفي كل قرية، وتتفاخر فيما بينها بمقدار ما تتفق من مال على هذه المكتبات¹⁶⁷

لقد شهدت الجزائر تبعية في مجال صناعة الكتب تتجاوز 90%¹⁶⁸. وكان تحرك المسؤولين بعد الاستقلال محدودا في هذا الاطار، ذكرت مجلة الثورة الافريقية في عددها 833 لجانفي 1980 في تحقيقها الشامل حول وضع الكتاب: مهما كانت المشاكل، فإن نصيب التهاون كبير، و إلا كيف يمكننا تفسير عدم تصدير الكتب الجزائرية التي نالت روجا على المستوى الوطني.

إذ تشير الأرقام في هذه الفترة بالذات، أي سنتين ما قبل، بلغ في سنة 1978 مقدار الاستيراد 25.966.688.00 دج ومعظم البلدان التي تستورد منها "شونت" هي البلدان الأوروبية والاتحاد السوفياتي سابقا وإفريقيا والمشرق خاصة لبنان وأمريكا الشمالية¹⁶⁹.

يتبين من كل هذا، أن الجزائر عاشت فعلا أزمة الكتاب أو بالأحرى النشر، وهذا العنصر الضروري أهمل بشكل كبير في مخططاتنا السابقة، في جميع الميادين، لعل أغلبها الميدان الثقافي بوضعه البوتقة التي تنصهر فيه

¹⁶⁷ (محمد) السيد حلاوة : نفس المرجع السابق ، ص 9.

¹⁶⁸ خلاص (جيلالي) ، نفس المرجع السابق، ص 27.

¹⁶⁹ نفس المرجع السابق، ص 27

كل الميادين البشرية، فمن دون الاهتمام بالانسان، لن يرتفع أي إنتاج، ولن يتأتى أي تقدم لا عن قريب ولا عن بعيد، الانسان أصل الشيء، والانسان يطلب ثقافة في هذا العصر، وإلا عجز عن كل إنتاج، أي أنه في حاجة إلى الكتاب، وفي هذا السياق نقول: رأيتم آلة تسير في هذا العصر دون كتاب، أي دون إنسان مثقف ومتعلم وبحسن قراءة الفهرس التابع لتلك الآلة على الأقل¹⁷⁰.

1/3-2) الالاحاح على تعدد دور النشر والكتاب :

ظهر ميلاد الكتاب التربوي أو الجامعي بتأسيس المعهد التربوي الوطني IPE بموجب الأمر 62-66 المؤرخ في 01 ديسمبر 1962، وتم إعادة تنظيمه سنة 1968 بموجب الأمر الصادر في 9 جويلية 1968. وهي مؤسسة عمومية ذات طابع إداري عوض أغراض تجارية وهي تحت وصاية التربية الوطنية.

ومن بين مهام المعهد الوطني التربوي نشر الكتب المدرسية لمراحل الابتدائي والمتوسط والثانوي وأيضا تمويل المدارس وحتى الجامعات بالوثائق البداغوجية العلمية، ويعتبر بذلك هذا المعهد تحت أمر وزارة التربية الوطنية حيث تقوم من خلاله بدراسة وتجربة واختيار منهج ووسائل التعليم والتكوين لأبناء المجتمع الجزائري جراء التعليم بتعويض الكتب التي أنجزت في الخارج بكتب جزائرية الصنع والمحتوى وتقوم بترجمة بعض النصوص والكتب العلمية والتقنية حتى تساهم في تعريب فروعها، ومدامت القراءة إلزام لا بد منه بالنسبة لكل تلميذ وطالب وبالتالي يكون توفير الكتاب إلزاما يتجاوز إلزام الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التي تقتصر الانتاج بالنسبة إليها على مدى الطلب و مدى الريح¹⁷¹.

¹⁷⁰ نفس المرجع السابق، ص 27.

¹⁷¹ نفس المرجع السابق، ص 30.

لكن هذه المؤسسة (IPN) ، مثلها مثل باقي المطبوعات الأخرى، عرفت هي الأخرى مشاكل عديدة في الطباعة لدرجة أنها تلجأ لصنع الكثير من إنتاجها في الخارج، ويهمنا الأمر أن لا نقف عند هذا الحد، بل نتعداها إلى مشاكلها الخاصة تلك المتعلقة بمضامين الكتب ومحتواها أو حتى نقائصها.

إن العاملين أو الأخصائيين في وزارة التربية الوطنية كالمعلمين والأساتذة يشكون من عدم ملائمة مضامين الكتب والحال أن شكاوهم مبررة لأسباب عدة ومنها:

- فقدان النصوص لكتاب جزائريين.
 - سوء إختيار المواضيع
 - سذاجة بعض المواضيع
 - إنعدام الصالة و الثقافة الوطنية في المحتويات
 - إغراقها في القديم و عدم ضبط المعاصرة في معظم المواضيع.
- ومن هنا، يمكن ربط هذه النقائص التي تتمثل في جهل التلاميذ وأساتذتهم بالمواضيع القديمة التي لا تتماشى مع سرعة التغيير التي تعرفه المدرسة والتعليم من جهة وسرعة التغيير الذي يشهده العالم من جهة أخرى بالعواقيب الوخيمة التي تظهر في المستوى الجامعي¹⁷²
- إعادة النظر في مهام ودور النشر ضرورة ملحة إذا أردنا أن تكون المدرسة والجامعة وجهان مشرقان لجزائر اليوم ولجيل الغد، وأن تقوم إستشارة واسعة تخص كل صنف على حدى: الابتدائي، والمتوسط، والثانوي وأخيرا الجامعي، ودعوة المثقفين، الأساتذة القادرين على التأليف، والأساتذة

¹⁷² نفس المرجع ، ص 33.

البارزون والمختصون وفيها تناقش الندوات واللقاءات الدورية وعنها تنبثق لجان بحث ولجان تأليف ترعاها الهيئات المعنية ماديا ومعنويا.

وفي نفس المسار، جاء قرار تأسيس ديوان المطبوعات الجامعية (OPU) للتخفيف من السيطرة الخاصة بالنشر لـ Hachette خاصة في مجال الكتب المدرسية و التعليمية ماعدا الجامعية، غير أنها لم تستطع تحقيق أغراضها حيث أن الكتب المنتجة باللغة الفرنسية أو العربية لم تكن مرتبطة إرتباطا واسعا بالمجتمع كما أنها عانت مشاكل في الطباعة¹⁷³ إذن من منطلق هذه الأوضاع، وضع الحجر الأساسي لإنشاء ديوان المطبوعات الجامعية (OPU) بمقتضى الأمر الرئاسي رقم 73/60، المؤرخ في 21 نوفمبر 1973، وهي مؤسسة عمومية ذات طابع ثقافي وعلمي، ووضعت تحت وصاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، حيث كانت أول إنطلاقة في ميدان النشر سنة 1975. إذ لهذا الأخير أسندت مهمة توفير الكتاب الجامعي محليا وتنظيم الاستيراد حسب حاجة الطلبة وتوزيع المطبوعات وترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية والكتب العلمية ذات الطابع الأجنبي، تجدر الإشارة أن المعاهد العليا والجامعات، قبل ظهور المطبوعات الجامعية كانت تتكفل بنفسها طبع الدروس وأيضا بعض الرسائل الجامعية و الوثائق الرسمية بوسائل مادية و بشرية محدودة¹⁷⁴.

غير أن مؤلفات ديوان المطبوعات الجامعية كانت في الفترة الأولى موضوع نقد أكثر من مرة لأنعدام الدقة وعدم صلاحية الطباعة إلى جانب فقدان العنصر الجزائري حيث كان بمقدور الوزارة مثلا أن تفكر في تكوين لجانها الجزائرية للتأليف والبرمجة والترجمة وإستقطاب الخريجين الجزائريين

¹⁷³سعد الله (أبو القاسم) : *منطلقات فكرية*، الدار العربية للكتاب ، ط1 1976 ، ص 148.

¹⁷⁴ Olivier COHEN – STEINER : *L'enseignement au USA prise universitaire* Nancy, 1993, P 206.

- الجامعيين - المتفوقين وتشجيعهم على التأليف مع إختيار أحسن الرسائل الجامعية و إعادة طبعها في كل المجالات.

ديوان المطبوعات الجزائرية، هو الآخر كان يعاني في البدايات الأولى ما عانتته الشركات الأخرى للطبع و النشر، ولم ينطلق فعلا إلا في بداية السنوات الثمانيات حين جدد مسؤولوه، أما في السنوات الأخيرة، فقد إنخفض دعم الوزارة الوصية، الشيء الذي فرض عليه طائفة مالية أثرت على مطبوعاته بشكل محسوس، لكن في حالة ما قارنا وضع الجامعات الجزائرية في مجال الطباعة لنظيرتها في الدول الغربية، نجد في هذه الدول جامعات لها مطابعها الخاصة، وهي التي تتكفل بطبع ونشر كل ما يتعلق بأعمالها ونشاطها، من كتب ومجالات علمية، أو دوريات ... إلخ ولدينا من الأرقام التي تثير الدهشة، وإذا وضعنا المقارنة في هذا الاطار، فإنه لا مجال ذلك مع وضع مطبوعتنا الجزائرية حيث يشير هذا الجدول أسفله أن الجامعات الأمريكية هي التي تنتج كتبها ومناشرها، ودورياتها.

Nombre de livres en microfilmes, abonnement (89 – 90)

Etablissement	Nombre de volume en millions	Nombre de titre en micro – mille	Abonnement à des périodiques
Université de Harvard	11	3	100.000
Université de Berkels	09	2	56.046
Université de Columbia	7,2	3	93.913

وهذه الأرقام من جهة أخرى، توضح دور وإهتمام الجامعات والوزارة الوصية بأمر المطبوعات الجامعية، لأن إنعدام هذا الجانب يعتبر بإنعدام الارادة لبعث الجامعة إلى الأمام لمزيد من البحث والتطلع، والقيام بدورها بشكل يجعل من الجامعة المبعث و المنبع للعلم والمعرفة وللتنمية والتطور.

(2/3) هل توجد أزمة جامعية ذات علاقة بالكتاب؟

(1-2/3) الكتاب اهم قطاعات المعرفة :

كانت ولا زالت الكتب هي المصدر الدائم للمعلومات وأيضا للراحة والسرور لمن يحسن إستخدامها، وهذا القول الصحيح للمتعلم سواء أكان صغيرا أم كبيرا. فالكتب تزود صاحبها بالمعلومات بشكل مبسط و منظم. و تقدم للمتعلم الصور الذهنية و الفكرية و تفسر له المعاني التي تتكون في خاطر المتعلم، و تترجم له التصورات في شكل كلمات أو رموز أو رسوم مطبوعة لتصبح أخلد وأبقى ألوان المعرفة¹⁷⁵.

وهكذا أصبحت المطبوعة إنتاجا فكريا وعلميا موجها لفئات عمرية مختلفة لكونها أهم مادة إتصالية في تنمية العقل والفكر والثقافة بشكل أوسع. لو أعدنا النظر في سيرورة الجامعة وعلاقتها بميلاد الكتاب الجامعي، لوجدنا أن هناك عدة وقفات تتطلب من التحليل و الدراسة. وأول ملاحظة يمكن أن نقدمها ليس فقط تأخر ميلاد الكتاب الجامعي الذي جاء إلا في بداية السبعينات وإنما أيضا غياب وزارة التعليم العالي، وكان علينا أن نترقب سنة 1971 أين تم لإنشاء وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، أي تقريبا عشرة سنوات كاملة بعد الاستقلال، وأثناء هذه المدة كانت الجامعات تحت وصاية وزارة التربية الوطنية.

وثاني ملاحظة هي الانطلاقة أو البداية التي لم تكن ناجمة بالنسبة لدور النشر ولدور ديوان المطبوعات الجامعية، حيث بدأت تظهر العراقيل وإن أغلب ما يطبعه ديوان المطبوعات الجامعية ليس سوى نسخ محسوبة

¹⁷⁵ أبو رية (جمال) ، نفس المرجع السابق ، ص 36.

على آلة أستانسيل، و كانت مؤلفات هذا الأخير موضوع نقد أكثر من مرة لأنعدام الدقة و عدم صلاحية الطباعة¹⁷⁶.

لقد أشارنا سابقا بأن الكتاب في مفهومه الحديث سياسة قائمة وإنه صناعة كبرى تتطلب من الدولة مجهودا كبيرا يفوق بكثير كل المجهودات، وهذا ما يوضح أن تطور الأمم والمجتمعات يقاس بما لديها من مكتبات بأنواعها المختلفة تخدم قطاعات المعرفة الانسانية، ولذا تتبارى الدول الغربية وتتفاخر فيما بينها بمقدار ما تنفق من مال على هذه المكتبات¹⁷⁷. ومن هنا نفهم أنه إذا كان الكتاب مصدر المعلومة فإن المكتبة هي المكان المخصص لحفظ هذا المصدر.

ففي السنوات الأولى من الاستقلال، أخذت السلطات الجزائرية، شيئا فشيئا أن تتخلص من جراثيم ما خلفه الاستعمار من تخلف، وحاولت حينها أن تعيد إعتبار مكانة الجامعة كمشروع ديمقراطي وشامل في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ورغم كل شعارات الإصلاح وإعادة الإصلاح التي كانت تتادي بها الدولة إلا أن ضعف الوسائل الموضوعة لحساب الجامعة الجزائرية إنعكست سلبيا على الانتاج العلمي لمجتمعنا¹⁷⁸ وهذه الوضعية بدورها أثرت على وضعية الكتاب والنشر، خاصة بما فيه الجامعي.

وفي سنة 1975، تم إنشاء المجالس التقنية للكتاب الجامعي (CTLU) الذي طالما أكد أن الكتاب هو حامل المعارف، ولذا يجب وضعه في متناول جميع الطلبة والأساتذة والباحثين، ومن بين المهام الرئيسية التي كانت تنص عليها هذه المجالس نجد :

¹⁷⁶ خلاص جيلالي ، نفس المرجع السابق ، ص 36.

¹⁷⁷ محمد السيد حلاوة : نفس المرجع السابق ، ص 9.

¹⁷⁸ Ali pacha Fatima Zohra , cahiers du CREAD, chapitre : les bibliothèques dans l'enseignement supérieur Algérien, état des lieux. Inp : CREAD, n° 70/04 P 87.

- توضيح مهام ديوان المطبوعات الاجتماعية وكذا مهام المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع.
- تشجيع الانتاج الوطني.
- ضرورة البحث عن إستقرار التوازن بين ما يجب أن يطبع في الوطن و بين ما يجب أن نستورده.
- إعداد قوائم المراجع الضرورية أو الهامة لطور الجذع المشترك لكل التخصصات.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، شهدت أدبية العلوم تزيادا كبيرا، ومن بين التفسيرات لذلك، نجد التطور الهام و الارتفاع المحسوس والمستمر لمجتمع الطلبة و الباحثين، و كذا تكثيف سياسات البحث. و دون شك، أن أهم إرتفاع، هو تزايد النشر على شكل سلاسل أو دوريات، ومقابل هذا، شهدت الجامعة الجزائرية هي الأخرى، مع بداية الثمانيات إرتفاعا سريعا في أعداد الطلبة المسجلين في الجامعات، قبلما كانت هناك 3 مدن جامعية مع بداية الستينات أي عام 1962، أصبحت هناك 32 ولاية جامعية في سنة 2000¹⁷⁹ مع هذا التزايد، أصبحت الجهات المعنية غير قابلة لتلبية حاجيات الطلبة سواء من حيث الاستقبال أو التوجيه أو التأطير أو حتى في المرافق و التجهيزات.

32-2) مكانة الكتاب ووصعية المكتبات في المؤسسة الجامعية :

ومع جراء هذا، وكننتيجة أولى، أن المكتبات الجامعية، رغم أن السلطات المعنية إحتفظت بنفس ميزانيتها، إلا إنها أصبحت عاجزة على تلبية حاجيات الكتب والمراجع، بل المراجع العالمية أخذت تتراجع، خاصة مع تزايد إرتفاع الأسعار¹⁸⁰ ولو أخذنا على سبيل المثال، الدراسة التي قامت

¹⁷⁹ Ali pacha Fatma Zohra et autres, opcit, P 88

¹⁸⁰ Ali pacha fatma zohra et autres, opcit, P 88.

بها مديرية المتاحف والاعلام العلمي و التقني الفرنسي (DMIST)* في سنة 1985، نجد أن بين الفترة الممتدة بين 1981 - 1986 ، شهدت نسب إرتفاع الأسعار بالنسبة للكتب (monographie) ب 7%، و 16% بالنسبة للدوريات المنشورة في فرنسا، و 19% للدوريات المنشورة في الخارج، و أمام هذه الأرقام، فماذا عن وضعية الكتاب في الجزائر، مادام أن كمية كبيرة من الكتب العلمية مستوردة من فرنسا¹⁸¹ خاصة مع إنخفاض قيمة الدينار، أستطيع أن نتسأل عن المبلغ الذي تدفعه الجامعة الجزائرية بالعملة الصعبة. إلى جانب إرتفاع الأسعار، خاصة منها المستوردة من الخارج، نجد مقابل هذا إزدياد عدد المسجلين في كل مرة وسنة تلو الأخرى. ضف إلى ذلك مشكلة التأطير و التنظيم التي كانت تعاني منها الجامعات أوالمكتبات، وحتى على رأس الوزارة الوصية، لم نجد أي مديرية مخصصة لهذا القطاع الحساس، كان علينا أن ننتظر سنة 1991 أي عشرون سنة بعد إنشاء الوزارة أو بعد 103 عام من إنشاء أقدم **DMIST** : Direction des nusées et de information scientifique et technique en France. وأفريقية حيث تم إنشاء مديرية التوثيق والتوجيه في الوزارة المعنية. وأمام الظروف الاقتصادية التي شهدتها الجزائر منذ سنة 1989 و إلى جانب تعليمات الصندوق النقد الدولي FMI، فإن هذه المديرية قد سعت على تقليص حجم أو كمية المراجع التي كان بإمكانها الحصول عليها.

الكتاب الجامعي لم يشهد فقط النقص العددي، وإنما أيضا مشاكل أخرى لا سيما من جانب التأطير والتنظيم، ولو نقيس جل الاصلاحات التي شهدتها الجامعات من جهة، والكتاب والمكتبات من جهة أخرى، نستطيع أن نقول أنه كانت إنجازات هامة في هذا القطاع، ولكننا لو قارناها مع المعطيات

¹⁸¹ Ali pacha fatma zohra et autres, opcit, P 88.

العالمية، نجد أن هناك نقص كمي وكيفي يجب التفكير فيه. فالنقص الأول الذي يمكن أن نشير إليه هو نقص المرافق القاعدية، المكتبات الجامعية من ناحية البنايات والتجهيزات يمكن أن نقسمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى تبدأ من الاستقلال إلى فترة الإصلاحات الجامعية لسنة 1975¹⁸² حيث كانت أغلبية بنايات المكتبات الجامعية من إرث الاستعمار، كالمكتبة الجامعية المركزية، ومكتبة العلوم الاقتصادية، والمرحلة الثانية تبدأ بعد هذه السنة مباشرة حيث تم بناء وإنشاء مرافق ومكتبات في العديد من المدن الجامعية.

والنقص الثاني يكمن أيضا في الموارد البشرية المخصصة لهذا القطاع، نجد أن هناك نقص ملحوظا في عدد الموظفين الذي تتوفر فيهم الشروط الكافية من الشهادات، بمعناه، لم يكونوا من خريجي معهد علم المكتبات، كما أن هذا العدد المتوفر لم يكن يلبي حاجيات الطلبة، ونجد مثلا في جامعات الوسط عون واحد لـ 705 طالب، وفي جامعات الشرق عون واحد لـ 220 طالب، أحدا في جامعات الغرب معدل عون واحد لـ 393 طالب، إن هذه الأرقام بالمقارنة مع الجامعات الغربية تصبح غير جاهزة لتلبية الحاجيات المكتبية، في حين المقاييس الدولية تنص على سبيل المثال في الولايات المتحدة أنه إلزاميا أن يكون عونا واحدا لكل 200 طالب، أما في ألمانيا نجد عونا واحدا لكل 115 طالب¹⁸³

أما بالنسبة المساحة المخصصة لكل طالب، فلو وضعنا مجالا للمقارنة مع المقاييس العالمية، فإنه نجد تجانسا أو تشابها إلى حد ما. على

¹⁸² Dahmane Madjid : **documentation et université, contribution à l'étude de la problématique du livre dans l'enseignement supérieur**, mémoire de licence, bibliothéconomie, Alger, 1986, P 47

¹⁸³ Ali pacha Fatma Zohra, opcit, P57

المستوى الوطني نجد معدل يتراوح ما بين 1.13 إلى 1.72 متر مربع لكل طالب، مقابل المعدل العام الدولي المقدر بـ 1.5 متر مربع¹⁸⁴ جملة العراقيل التي تحيط الطالب الجامعي جراء هذه المعطيات السابقة الذكر، نجد أيضا صعوبة الاعارة ومدة الانتظار التي تمتد أن تصبح كل مرة طويلة للحصول على المراجع التي يحتاجها الطالب. أمام خطورة هذه الأرقام، والوضعية التي يعاني منها الطالب الجامعي خاصة في ميدان المكتبات والمراجع، فإنه من الضروري التفكير الجاد في إسراع وإيجاد الحلول المناسبة كتوسيع قاعات المكتبات، وإنشاء المرافق والتجهيزات، تشجيع النشر و الاستيراد، خفض الأسعار، وإلغاء الضرائب الجمركية و غيرها من الأمور التي يجب مراعاتها.

3/3 مكانة الكتاب في التعليم الجامعي:

3/3-1) الكتاب مصدر اكتساب الخبرة العلمية :

كثيرا ما نقرأ عن التغيرات الهامة في تاريخ البشرية، خاصة في أيامنا الحالية، فنقرأ عن الفيضان الهائل في المعلومات وتضخم حجم الانتاج الفكري مما أدى إلى التفجر أو الامتداد المعرفي وإستلزم ذلك إستخدام عدة تقنيات، ونقرأ عن الزيادات الحالية في عدد السكان والتخصصات الدقيقة وفي المهارات، تغيرات كثيرة دفعت بالكثير إلى طرح التساؤل الذي مفاده يتجلى في الكتلة المعرفية للتعليم الجامعي أو بالأحرى عن الوسائل والامكانيات اللازمة لها لتصدى هذا الامتداد المعرفي والتمكن من مسابته. مهما كانت الوظيفة التي يقدمها الكتاب إلى مستعمليه، سواء كانت ترفيهية، أو تكوينية أو بيئية أو غيرها، إلا أن يبقى على طول التاريخ يأخذ مفهوما واحدا، وهو تقديم المعلومات إلى طالبيها، وهذا مهما اختلفت

¹⁸⁴ Ali pacha Fatma Zohra, opcit, P57

الأعمار أو التخصصات. وإذا كانت وظيفة الكتاب بالنسبة للطالب (المتعلم) تزويده بالمعلومات، فإن التعليم الجامعي يقصد به إعداد الفرد إعدادا متكاملًا، بغية استثمار طاقته و إستغلال قدراته، و تنمية مواهبه وهو عملية متطورة ومستمرة تعمل عملها داخل الانسان بإستمرار مستعينة في ذلك بعوامل نابغة من الانسان نفسه، أو بعوامل محيطية به ومؤثرة عليه، إن الجامعة تمثل منبع الانسان وطريقة بناء ذاته، والعمل على تكوين أفراد لهم خصائص ذاتية وإجتماعية تؤهلهم لتكوين مجتمع متقدم و بناء.

وبناء على هذا، يتضح لنا أن وظيفة التربية على كافة مستوياتها، اليوم هي العمل على تعديل السلوك وفق مطالب نمو المتعلمين، وحاجات المجتمع و فلسفة تربوية سليمة، عن طريق إعادة بناء خبرات الفرد وتعديله و إثراءها، وتحقيق هذه الاتجاهات نموه في الاتجاهات المناسبة، سد الحاجات الحاضر ومتطلبات المستقبل، ومن هذا المنطلق إنتهجت الادارة السياسية والجامعية على تحقيق أو توفير بعض الامكانيات والوسائل و الظروف التي تسمح بتحقيق هدف التعليم و الجامعة، فتتضمن جميع ما تقدمه المؤسسات التعليمية إلى طلابها تحقيقا لرسالتها الكبرى في بناء البشر وفق أهداف تربوية محددة و خطة عملية سليمة، بما يساعد على تحقيق نموهم الشامل، إذ أن من مسلمات التربية أن سلوك الانسان لا يمكن تعديلها عن طريق تزويدهم بالعلم و المعرفة فحسب¹⁸⁵. لذا ينبغي إعادة النظر في تنظيم أساليب الدراسة بحيث توفر للطلبة من خلال تدريس كل مادة علمية في الوقت المناسب لمزاولة جوانب النشاط المكتبي، والتمدرس بمهارتهم وإلتزام الممارسة الجادة التي تكسبهم الاحساس بقيمة الكتاب والتعامل المباشر مع مصادر المعرفة من الناس والأحداث والأشياء والأفكار وكذا

¹⁸⁵ درمداش (سرحان): المناهج المعاصرة، ط2 مكتبة الفلاح، الكويت 1979، ص 15-14

التعاون مع الغير والتزود المستمر بالدراسات واكتساب الخبرات العلمية والعملية الكثيرة التي تعاونهم ليس في المدرسة فحسب بل في الحياة العملية أيضا¹⁸⁶

وهنا نؤكد أنه لكي يمكننا تعليم الطالب كيف ينسخ بعض ما تعلمه ليتعلم من جديد، على الطالب أن يعرف كيف يستخدم المراجع والكتب والمجلات وكيف يناقش في الندوات الثقافية وكيف يحرر مقالا وكيف يجهز معلومات لذلك، و هنا لا بد من تعليمه المهارات المكتبية¹⁸⁷.

وتعريفه بقيمة الكتاب والمراجع في ذلك من شأنها أن تصبح الحافز المشجع لتنمية مهارته المعرفية وإحساسه بقيمة الكتاب خاصة أثناء المرحلة الجامعية، حيث أن العمل كله يقوم به الطالب بمجرد إيمانه بهذه القيمة التي يمكن أن نسميها بالثوابت.

وأن المعلومات التي تقدمها الجامعة للطلاب اليوم قد تصبح خلال سنوات قليلة معلومات قديمة قد عفا عليها الدهر، ويصبح على الطلبة اليوم أن يعتمدوا على أنفسهم في عالم الغد، ليحصلوا على المعلومات الجديدة المتطورة في عالم سريع ومتجدد ومتطور. ومن هذا ما ينبهنا بأن الكتاب المتجدد في كل مرحلة مهما في حياة الطالب والمدرس على حد سواء، وهذا ما يتطلب من الجامعة أن تراعي هذه النقطة وبإهتمام بالغ الأهمية في تجديد الخدمات المكتبية و توفير الجديد في كل ما ينشر هنا وهناك.

المعلومات أو الأفكار التي يتلقاها الطالب داخل قاعات التدريس قد تصبح غير كافية بالنظر إلى الحجم المعرفي المتزايد في كل مرة فههدف التعليم الجامعي ينبغي أن يكون في تنمية قدرات الطالب على البحث والوصول إلى المعرفة التي يحتاجها من جراء طاقته وذاته، وهذا لا يعني

¹⁸⁶ عبد التواب (شرف الدين) مرجع سابق، ص 241.

¹⁸⁷ عبد التواب (شرف الدين)، مرجع سابق، ص 241.

حشو أذهان الطالب بالمعلومات التي سرعان ما ينساها. هذه الميزة قد تتطابق مع المثل الذي يقول: فإنك إذا أعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة، و لكنك إذا علمته صيد السمك بنفسه تغذى كل أيام حياته، فما أوجبنا أن نتعلم كيف نصل إلى المعرفة بأنفسنا لنتخذ من هذه المعرفة زادا على مدى الحياة¹⁸⁸.

والمكتبة يجب أن تحظى بالاهتمام الكافي في النظام التعليمي الجامعي لأنها تعتبر المنبع الرئيسي للمعرفة في هذا العالم الحديث، الكتاب والمصادر الأخرى التي يستعملها الطالب في تزويده كل أشكال المعرفة والقيام بكل نشاطاته اليومية تستهدفان تنشئة مواطن الغد الذي يستطيع مواجهة هذه الثروة من التقدم العلمي في مجالات المعرفة مستخدما مصادر المعرفة وأساليب البحث العلمي، محبا للقراءة، متقنا فنونها، مغرما بالكتب، عارفا بقدرها و قيمتها¹⁸⁹ لكن ما يجب أن نشير إليه، هو أمام تزايد عدد الطلبة كل سنة وتعدد التخصصات، يجب على الإدارة الوصية بهذا الجانب أن تتفطن لهذا الأمر، وإنه من دواعي الواجب إقتناء العدد الكافي من المراجع خاصة الأساسية منها، لكي يتمكن الجميع الحصول عليها ومن جهة أخرى، لا يجب على إدارة أو مسؤولي المكتبات بإقتناء أو ما يسمى تمويل الكتب بوحدها، و أنه من الضروري إشراك أو إنشاء لجنة من الأساتذة ، أو من الخلايا العلمية للتعليم الجامعي لأنهم هم العارفون إلى ما يحتاجه الأستاذ و الطالب معا، و هم بدراية كاملة بمستجدات العلم و ما تتطلبه موادهم التعليمية.

¹⁸⁸ أحمد بدر ، نفس المرجع السابق ، ص 31.

¹⁸⁹ مدحت كاظم نجيب ، التربية المكتبية، جمعيات المكتبات المدرسية، القاهرة، 1974، ص 1 - 2.

ما قد يسيئ نظرة الكتاب أو ما يقلل من مكانته هو عدم وفرته أو صعوبة الحصول عليه، و أن العدد القليل منه قد لا يعطى الفرصة للطالب من إقتناؤه. و لهذا يجب على إدارة المكتبات أن تبذل قصارى مع اللجان العلمية في نسخ هذه الكتب المرجعية أو الأساسية لكل التخصصات. أو على الأقل أن تتكفل بالاعارة الخارجية حتى يتمكن الجميع بنسخ (تصوير) ما قد يفيد في نشاطاته أو أعماله البحثية أو المرجعية أو حتى لمجرد الاستطلاع عليه.

2-3/3) الكتاب انتاج فكري والجامعة مسؤولة عن تطوره :

لقد أصبح حقيقة واضحة بأن الاعتراف بسرعة البحث العلمي وفعاليتيه يمكن زيادتهما عن طريق الأمام الواعي بما تم نشره من إنجازات فكرية أو ما تم تسجيله من الانتاج الفكري، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي للوطن، و مهما يكن من شيء فإن التعاون بين المكتبات أصبح ظاهرة واضحة للسيطرة على الامتداد المعرفي في التعليم الجامعي و في عالم المعلومات، على المستوى العالمي أو على المستوى العربي ظهرت عدة نوايا و نقاشات في هذا المنوال، كلها حثت على عملية التعاون العلمي وما يشمله من تخصصات وأنشأت ما يسمى

« La coopération scientifique et l'internationalisation de la recherche »

إن مؤسسات التعليم العالي في موضعها اللائق لأخذ مكانتها في بوتقة العولمة وهذا للقضاء على أزمة المعرفة وإثراء الحوار بين الأمم والثقافات، والتعاون بين رجال العلم لنفس التخصص تجاوز الحدود الوطنية، ويشكل الأداة الفعالة لعولمة البحث والتكنولوجيا، وكذا التصورات والمواقف والنشاطات¹⁹⁰ فعلا بدأ التعاون بين المكتبات على أشكال أنماط متعددة وذلك من خلال الآعارة بينها، ومشاريع الاستساخ، وإعداد الببليوغرافيات

¹⁹⁰ Marinor, opcit, P 92.

والمستخلصات، والتبادل في مجال المطبوعات ونشر المعلومات وغيرها من التبادلات الأخرى¹⁹¹

وإذا كنا في مجال الكتاب نوصي أو نطالب بأنماط التعاون بين المؤسسات التعليمية، وهذا على الصعيد العالمي، فإننا أيضا نطالب أن يمتد هذا التعاون بين جامعات الوطن العربي أو داخل جامعات البلد الواحد. ومهم أيضا، أن ننظم داخل المؤسسات الجامعية معرض للكتب، وتكون المساهمة من الجميع سواء من الادارة المركزية أو من الشركاء الاقتصاديين بنسب التخفيض، و هذا ما يشكل حافزا أمام الصعوبات التي تواجه أو بالأحرى تعرقل الطالب لاقتناء بعض الكتب، و من شأنها أن تساهم هذه العملية بإزدواجية وظيفية، بدءا بإعادة مكانة الكتاب في المؤسسة الجامعية إلى تحفيزه على القراءة و بالتالي حصوله على المعرفة.

إن إنتاج الكتب صناعة قائمة، فالدول المتطورة فهمت هذا منذ أمد بعيد، فنحن من جهتنا نفهم أيضا أن دور الجامعة لا يقاس بعدد المتخرجين كل سنة و إنما أيضا بما لديها من إنتاج علمي وفكري من تلقاء مهام أعضائها، من طلبة، ومن أساتذة، ومن مطبعة، ومن باحث... إلخ، أصبح من الضروري أن ترتقي المؤسسات الجامعية إلى هذا الصف و إلى هذه الدرجة، بحيث تصبح ذات إستقلالية تامة في تزويد التعليم الجامعي على كافة التخصصات بالقدر الكافي واللازم من الكتب والمطبوعات لاثرءاء رفوف المكتبات، وبالتالي إشباع الحاجات المعرفية للمتعلم، بدلا التخلي عن مهمتها، وتفشى الفشل والرداءة المعرفية التي في نهايتها تنتج الرداءة.

وهذا لن يتحقق إن لم تكن الارادة السياسية للبلاد واعية بهذا الأمر، وتحت تأطير الوزارة المستكلفة بهذا القطاع، وربما بإشراكها الوزارات أو

¹⁹¹التواب شرف الدين ، نفس المرجع السابق ، ص 258.

القطاعات الأخرى كالثقافة بتوفير أشكال أخرى لنشر المعرفة، حيث تكون تدابير مشتركة من شأنها مثلا أن ترفع أو أن تخفض من القيمة الجمركية لاستيراد الكتب أو المراجع النادرة أو المكتوبة باللغات الأجنبية.

إن كل هذه الأمور، من شأنها، إذا كانت كافية ومتوفرة فتصبح في النهاية المناسبة والفرصة لإعادة إعتبار مكانة الكتاب داخل المؤسسة التعليمية، وتصبح الحافز لانماء أو زرع رغبة وثقافة المطالعة، التي تصبح فيما بعد المنبع الرئيسي العقل وهندسته حسب متطلبات العصر الحديث ويكون متكيفاً مع عصر المعلومات الذي ما فتئ يتحرك بسرعة فائقة. وهكذا نوصي بالكتاب، و الكتاب ثم الكتاب.

3 / 4) من ينتج المعرفة و من يستهلكها :

3 / 4- 1) الروح العلمية وضرورة الابداع في الطرق البيداغوجية:

ما يجب أن نشير إليه في هذا السياق، هو ذلك الاختلاف الموجود بين طريقة التلقين التقليدية و طريقة التلقين الحديثة، و تتمثل الطريقة التقليدية المعروفة في النظام الكلاسيكي القائم على التلقين العمودي - أي من الأعلى إلى الأسفل - حيث يتمركز المعلم أو المدرس في أعلى الهرم و المتعلم في أسفل القاعدة، و بقي ذات المعلم المصدر أو الهيئة الرسمية التي تحظى بالاحترام و بالمكانة الأعلى في نسق التعليم، و في بعض الأحيان حتى خارجه، و هو أيضا المصدر الوحيد للمعلومات و المعرفة التي يلقنها للمتعلمين دون إستشارتهم أو مشاورتهم أو حتى أي نقد من طرفهم، يشكل المتعلم الوعاء الذي تصب فيه المعلومات و في معظم الحالات دون مراعاة خصوصياتهم أو حتى مراعاة الجوانب النفسية أو الاستعدادية للمتعلمين، و الجدير بالذكر هنا، غالبا ما يراعي إذا هضمت المعلومات أو تم فعلا

إستيعابها وفهمها بالشكل المطلوب، وفي هذه الطريقة يشكل المعلم المصدر والمنتج الوحيد للمعرفة، والمتعلم يصبح مستهلكا لها.

لكن كثيرا ما أصبحت هذه الطريقة محل نقد من طرف علماء التربية والبدagogية، وأيضا من قبل علماء النفس وعلماء الاجتماع، منها تعددت وتنوعت الدراسات والبحوث في هذا المضمار، حيث ظهرت تجارب وإسهامات هامة سمحت بوضع المقارنات وإستبيان النتائج، وبالتالي أدرجت تعديلات حول هذه الطريقة التقليدية وضبطها بشكل أصبح فيها كل من المعلم والمتعلم على حد سواء طرفا المعرفة والابداع فيها.

على أن تبقى هذه البحوث والاسهامات في مجال المعرفة والتحصيل العلمي والانتاج الفكري مرتبطة بعدة جوانب، لا سيما التغيرات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي ألحت بضرورة تغيير وتطوير كل أليات المجتمع، بما فيها ألية المعرفة حيث أصبحت جميع البلدان أمنة بأنه لا مجال لتطوير أليات وعصرنة الحياة الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية دون ربطها بتطور العلم والمعرفة.

لذا سعت كل هذه الدول خاصة المجتمعات المتقدمة تعطى كل ثقلها لعصرنة وتطوير أليات المعرفة من الداخل ومن الخارج، ومن جهة أخرى، ونظرا إلى ما أتت إليه الأوضاع بظهور محاولات تجديد طرق التفقيه وما حققته علوم التربية من إبداع وإبتكار، حيث أخذت الهيئات المنوطة بهذا الدور تشعر و تحس بالنتائج المحققة من وراء هذا الانجاز، ولذا إستدعت الضرورة أن ننظم هذه الهيئات من الداخل وتأخذ أشكالا جديدة، وكلها سعت إلى عصرنة وإعادة هيكلة النظام التربوي والمعرفي على جميع المستويات.

لا ننسى إلى جانب هذا، الدور الذي لعبه القطاع الاقتصادي، في تحديد آليات المعرفة، وينبغي أن نشير أن التطور السريع الذي حققه المجال الاقتصادي أصبح عنصرا فعالا وهاما في تفعيل حركية المعرفة والعلم داخل الجامعات والمعاهد العليا، التي أصبحت تشعر أن متطلبات الاقتصاد والحياة العصرية يتحتم عليها أن تواكب مستجدات العصر وهكذا نجد أن الجامعات تسعى محاولة لتكييف الانتاج العلمي والمعرفي والاستزادة من البحث مع ما يشترطه الواقع بكل مكوناته.

زيادة إلى هذا، نجد أيضا، الدور الذي تقوم به الثقافة، حيث أصبح المحيط الاجتماعي والاحتكاك بين الأفراد والجماعات يعتبر أيضا عاملا في تحريك عجلة المعرفة إلى الأمام، لأنه كلما أصبحت المجتمعات واعية ومتعلمة كلما زاد الطلب على العلم والمعرفة والانتاج الفكري، حيث نجد كل من العائلة و المحيط الاجتماعي، والمجتمعات وغيرها من الهيئات الرسمية أو غير الرسمية تشكل أيضا عنصرا هاما، في تفعيل حركية المعرفة و مسانبتها أو مشاركتها في تفجير المعرفة، و هذا ما يسمح لكل الفئات دون تمييز الأعمار أو الجنس أن تساهم في تطوير المعرفة وإعطائها قيمتها الحقيقية و فهم دورها في المجتمع.

3 /4-2) زرع ثقافة المعرفة ونتاجية العلوم :

وتفطنت العديد من الدول من أن أحسن إستثمار يتمثل في إستثمار في مجال العلم والمعرفة، حيث أصبحت المجتمعات تشعر أن الوقود والطاقة الذي يحرك الاقتصاد والاجتماع، وغيرها من الأمور، هو العلم والمعرفة و حدهما.

إذن كل هذه العوامل هي التي كانت وراء تحديث البداغوجيا وتطوير طرق التعليم و التعلم ، حيث أصبح الأخصائيون يشعرون خاصة مع عصر

الامتداد المعرفي أن الاشكال لا يكمن في طريقة الحصول على المعلومة وإنما في طريقة نشرها إلى الغير، وهذا ما دفع هؤلاء من خلال إعداد البحوث والتجارب بإعادة تحديث آليات التعليم والتلقين والتعلم، سواء من حيث إعادة تكوين المكلفين على هذا النظام، أو تنظيم ملتقيات، أو إرسال بعثات إلى الخارج لأستفادة من تجارب الآخرين.

بعدما كانت طريقة التلقين التي تعتمد أساسا على الطريقة العمودية، ألحت الضرورة إلى تطور البداغوجيا التي دعت بضرورة مشاركة كل من المعلم والمتعلم في إنتاج المعرفة، حيث تتطلب هذه الحالة بيعث العمل الفوجي والجماعي للطلبة، أصبحوا هم الذين يقومون بتحضير الدرس، أي البحث عن مصادر المعلومات و جمعها، ومناقشتها، وأصبح المعلم (المدرس) مثله مثل الطالب يشارك في تحضير الدرس وأثناء الدرس.

وعلى غرار هذا، أصبح المدرس هو المؤطر، المنظم، المرشد، المصحح، والذي يتدخل كلما إستدعت الضرورة بإستكمال النقائص، أو تقديم التوضيحات، أو الشروع في إضافات أكثر و أوسع.

صحيح أن هذه الطريقة، هي أيضا لم تخل من الانتقادات في بداية المطاف، لكن سرعان ما إتضحت النتائج المحققة، وأخذ يشعر هذا أو ذاك عن الهدف المنجز من وراء هذا العمل ولو أشرنا إلى بعض الأعمال التي إنجزت في هذا الميدان، لما إتضحت الرؤية أكثر، لا سيما بذكر المحاولة الجادة التي كانت السبابة في طريقة العمل الفوجية "التلقين الجماعي" في المدرسة العليا للتربية البدنية والرياضة (ENSEPS) للبنات ب (- Chtenay Malabry) بفرنسا ولعل أهم شيء يمكن أن نستخلصه من خلال تصفحنا لكتاب (Julles Ferry) هو أن البداغوجيا فن ويجب أن نبدع فيه، وأن المعلم

الصالح هو الذي في مرة يجتهد لغاية إحداث الطرق وإيجاد السبل لايصال المعلومة، ويبقى دائما حرا في الابداع والابتكار وإيجاد الحلول.

هذه الطريقة في التلقين كثيرا ما تساعد خاصة المتعلم التي تغرس في نفسه ثقافة الابداع والتعلم والاعتماد على الذات والتحفيز أيضا.

إن كل هذه الأمور، هي التي تجعل كل طرف في النظام التربوي التعليمي بشكل أوسع يساهم في إنتاج المعرفة و الاستزادة منها، لأن كل هذا الترابط قد يصبح نسقا يتماشى بتناسق الأعضاء، وجعل الكل يتماشى نحو هدف واحد وهو العلم والمعرفة، وبعث الروح العلمية وزرع ثقافة المعرفة في أوساط المجتمع خاصة المتعلمين منه.

نحن و نتكلم عن تناسق الأعضاء وربطها بعضها البعض ينبغي أن لا تنحصر هذه الأعمال داخل حجرة التدريس، وإنما مشاركة جميع الأطراف كإنشاء خلايا و لجان مشكلة من أساتذة وأخصائيين سواء من الداخل أو من خارج المؤسسة، وكذلك إشراك الإداريين، رجال المكتبات، وغيرها من الأعضاء الذين بإمكانهم أن يشاركوا سواء في تقييم هذه التجارب أو تعديلها أو تصحيحها، لأن كل أشكال المتابعة والمراقبة بدورها تعطي الفعالية خاصة ما تسنى برؤية واضحة الهدف المنشود من إنجازهم و أعمالهم.

ومن جهة أخرى ، لا ننسى أيضا الدور الذي يلعبه التعاون الدولي بين المجتمعات لا سيما في مجال العلم والمعرفة كإنشاء جامعات مختلطة أو تنظيم ملتقيات دولية، أو إرسال بعثات للتكوين وللبحث العلمي، كل هذه الجهود إلا وتعطى ثمارها سواء بالنسبة للبلدان المتقدمة أو السائرة في طريق النمو.

وعلى صعيد آخر، يصبح للاعلام و التكنولوجيا دورا مهما في إنتاج المعرفة وإستهلاكها، حيث ظهرت مع عصر الامتداد المعرفي عدة أساليب و قنوات بإمكان المتعلم لإقتناءها للحصول على المعلومات بأسرع الطرق و بشكل مبسط، وتوفر أيضا الجهد والراحة، إن التطور مهما أن كان نوعه، إلا ويساهم في التنمية الشاملة، وهكذا يصبح العلم والمعرفة مرتبطان أيضا بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية أو بتطور وسائل الاعلام والتكنولوجيا، وبنفس الكيف، لا نستطيع أن نتكلم عن أي تطور دون العلم والمعرفة.

كلمة الختام

صحيح أن انتشار التعليم في المؤسسات التعليمية وحدها دون مشاركة المحيط الاجتماعي العام قد ينقص من فاعلية المعرفة بل يقضي على نتائجها، وأن أحسن طريقة تجعل من المؤسسات التعليمية الرسمية تحقق أهدافها ونتائجها هو إصلاح مناخها الاجتماعي الذي تحيط به. وهذا يسمح لنا أن نقول أنه كلما ساهمت جميع الفئات وانتشرت عبرها المعرفة وشملت جميع أفرادها ومؤسستها ازداد إقبال الناس عليها بدءا من الفرد في أسرته ومحيطه وتفتحت شهيتهم إليها - المعرفة - بالإقبال الواسع دون إقصاء وتهميش.

إضافة إلى توفير المناخ المعرفي في كل أوساط المجتمع سواء في مجتمع الصغار أو مجتمع الكبار، أصبح اهتمام العديد من الدول لا سيما في المجتمعات المتقدمة يهدف إلى نشر هذه الثقافة ليس حكرًا على فئة المتعلمين والمثقفين فقط وإنما في كل أوساط المجتمع.

لا ننسى أن ما حققه التطور الصناعي في المجتمعات التي وصلت إلى أعلى سلم الرقي والتقدم أساسه العناية بالتعليم وبالجامعة وتطوير البحث العلمي فيها. بهذا تبلورت عدة اتجاهات تهدف إلى نشر المعرفة كإنشاء

مدارس خاصة، إنشاء مكتبات متنقلة، جامعات بدون جدران، إذاعات مختصة في نشر الدروس والتعليم وغيرها من المؤسسات الأخرى التي تعمل على ترقية ورفع المستوى التعليمي للأفراد من خلال إنشاء مدارس للراشدين، وترقية ورسكلة العاملين في معاملهم ومؤسساتهم وغيرها من الأمور.

لا ينبغي أن ننسى أيضا أن العالم أصبح يعيش في حجرة واحدة، وأن أساس بناء أي أمة هو مقدار ما تحظى به المعرفة في الجو العام سواء في المحيط الاجتماعي أو في البيئة المعرفية و ذلك بمشاركة جميع الفئات والشرائح. لذا لا يجب أن تبقى المعرفة خاصة لفئة على حساب فئات أخرى بل يجب أيضا أن يبقى موضع المعرفة من اهتمام جميع الأفراد حيث يبقى أهل العلم والكفاءات العليا في أعلى درجات التقدير، لأن الأمم تتفاخر بما تنفقه من ميزانيات في مجال تطور التعليم والبحث العلمي، وما يحظى بها هذا القطاع من اهتمام و أولوية، وكذا ما تنفقه من استهلاك الورق في مجال المكتبات وأصبحت أيضا تقاس بما تقرأه الأفراد من كتب و مجالات... الخ. يجب أن نفهم أن الركب الحضاري و التنمية الشاملة سواء كان ذلك في الميدان الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي، الفني، الخلفي، والعلمي وغيرها من الأمور إلا وراءه عمل جبار أساسه تطور المعرفة والبحث العلمي وما يساهم به المجتمع بكل شرائحه وإمكانياته البشرية والمادية.

فإلى جانب المؤسسات التعليمية التي تعتبر مراكز نشر المعرفة المنظمة وذلك من خلال تطوير العلوم في مراكز ومخابر البحث، فإن الوسط الاجتماعي هو أيضا ركنا أساسيا والذي من خلاله يعطي للمعرفة قيمتها ولأهلها قدرهم، هكذا يجب أن نفهم دور المعلم والأستاذ ودور المؤسسة التعليمية الجامعية التي تبقى الوعاء الذي ينظم وينتج ويجدد المعارف والعلوم والأفكار. وبمعنى آخر، لا يجب أن ننظر إلى الأستاذ

بسخط واحتقار، أو أن نقرم من موضعه كمربي ومعلم، أو أن تبقى وظيفته مهنة مهمشة لا تحظى بالامتيازات والمكانة المحترمة في المجتمع.

وإذا أردنا أن نجعل العلم و المعرفة و الفاعلين فيها و المصباح الذي يضيء على المجتمعات يجب أن نحترم موضع المتعلم والمعلم و أهل العلم فيها، أي بإعادة اعتبار مكانة كل واحد فيهم و توفير كل الإمكانيات و الوسائل و الظروف التي تساهم في ارتقاء صورة المؤسسة التعليمية، و لا نجعل أحد منهم يشعر بالحاجة المادية أو من الحرمان لأن العالم أصبحت حدوده ضيقة. لكي ننفذ الأستاذ من الوضعية الاجتماعية والاقتصادية و النفسية يجب تقديس مكانته، و نجد ما قد يقابل هذا في مجتمعاتنا الإسلامية حيث يحظى الإنسان الذي تفوق علميا و معرفيا بالاحترام و الاعتبار في الوسط الاجتماعي.

لا نكتفي بهذا فقط، بل يجب على جهاز الدولة كسلطة وكمؤسسة عليا أن يوفر الجو الملائم لترقية المؤسسة التعليمية ليس من داخل جدرانها فقط كتوفير الميزانيات و المرافق و تطوير البحث إنما مشاركة جميع مؤسسات البلاد التي بإمكانها أن تساهم في تطوير البحث وارتقاء و نشر الصورة الحقيقية للمعرفة و الجامعة، حيث توفر الخطوط والآمال إلى متخريجها، وإلى مزيد التشجيع إلى أولئك الذين يتجهون نحو الدراسات العليا و المعمقة و إعطائهم كل الفرص سواء في الامتيازات إرسال بعثات إلى الخارج و توفير لهم كل الإمكانيات المادية و المعنوية.

فإلى جانب إسهامات المجالات الاجتماعية للمعرفة و دور المحيط الاجتماعي و جميع المؤسسات الأخرى، يجب أن يحظى الكتاب و ثقافة استهلاكه بأهمية كبيرة على جميع المستويات بدءا من الأسرة المحيط الاجتماعي، المؤسسات التعليمية و كل الهيئات التي لها صلة مباشرة أو

غير مباشرة في إعادة اعتبار مكانة الكتاب و أهميته في نقل الثقافة عموما،
و المعرفة في البيئة التعليمية خصوصا.

و باعتبار أكبر و بحماس جاد و فعال، يجب أن ترتقي هذه الثقافة
خاصة في الأوساط التعليمية، لأن أهمية الكتاب يجب أن تبقى من
اهتمامات هذه المؤسسات بدءا من المراحل التعليمية الصغرى، لسبب بسيط
هو أن المطالعة بناء و سلوكا يتحصل عليه المتعلم و ذلك بإدراج حصص
المطالعات و القراءات الموجهة ضمن برامج التعليم، تعمل هذه المؤسسات
من خلال الأطر الفاعلة باعتناء هذه المسألة حتى يتسنى للمتعلم ليس فقط
معرفة أهمية الكتاب، و إنما كيفية استعمال تقنية القراءة منهجيا، و معرفة
هدفها و توظيفها إجرائيا لهدف المعرفة و رفع مستوى التعليم والتعلم و
غرس هذه الثقافة حتى يصبح المتعلم يتعلم من خلال نفسه أي بالتعود
المستمر والمستدام لبناء معلوماته و أفكاره و زاده المعرفي والعلمي الذي
يسمح في المرحلة التعليمية الجامعية للطالب أن يتكل على نفسه من أجل
هضم و فهم و إنتاج و إعادة إنتاج المعرفة بالشكل الذي يرفع من موضعه
كمتخرج متحصل على كفاءة عالية و تصبح الجامعة المنبر الذي يغذي
التنمية على جميع قطاعاتها وتجعل من نفسها المخبر والمركز والمعمل
لتطوير العلوم والبحث على جميع أصعدته.

وإنه من الأفضل أن تزود كل الجامعات، ولو على المستوى الجهوي
للبلاد بمطابع خاصة لها وتوفر لها كل الإمكانيات والوسائل لنشر وإعادة
نشر الكتب والمراجع والرسائل بالعدد الكافي واللازم والذي يصبح عاملا
محفزا لتشجيع الطلبة على المزيد من المطالعات دون عرقلة أو تكلفة لذلك.
كما أنه يجب أن تقام على رأس الهيئات المعنية من المدبرين الأكفاء، ولجان
تضم أهل الاختصاص ومشاركتهم في أخذ الإجراءات، وفي التوعية من

جراء تنظيم ندوات ومعارض باستعمال الإعلام، وكذا في التثضير والتدبير والتسيير.

من المتعارف عليه لدى العام والخاص، أن كل إنتاج وتطور مادي، و معرفي، وفني، خلقي زراعي، كيميائي، ديني، في النقل، وفي الاتصالات و في شتى المجالات إلا من وراء مشاريع وبحوث علمية تقام على نطاق الجامعات و المعاهد العليا. وكثير ما يقال بأن تطور المعرفة يسبق كل التطورات، وهذا المنظور من أهل البلدان المؤمنة والسائرة نحو التقدم والازدهار الكبيرين، لذا نجد أن هذه الدول تعمق النظر في مسألة الدراسات العليا، وفي البحث العلمي وفي الإبداع والابتكار والمهارات، وبأهمية كبرى وبنقاشات مكثفة ومتعددة الجوانب، وبمشاركة كل مؤسسات وقطاعات البلاد والفاعلين المباشرين غير المباشرين تقام هذه النقاشات من أجل إعادة اعتبار المؤسسة الجامعية والفاعلين فيها و توفير كل الوسائل والإمكانيات المادية و البشرية لتحقيق التنمية الشاملة، و جعل من نفسها المحركة و الفاعلة في تطوير البحث وترقية صورتها الحقيقية وذلك لاحتواء جميع مشاكلها و معالجتها و حلها قبل فوات الأوان دون الاعتماد على الحلول السطحية أو الآنية أو الترقيع كما يسميه البعض لا سيما في مسائل التخطيط والبرمجة للأفاق البعيدة بالنظر إلى المسألة الاقتصادية للبلاد، والنمو الديمغرافي و توفير مناصب شغل، رفع الإنتاج و الإنتاجية وغيرها من الأمور المنوطة بإسهامات الجامعة.

وكذلك دراسة علاقتها مع المحيط الخارجي لها كالمؤسسات الاقتصادية والثقافية أو مع المحيط الدولي كالتعاون مع الجامعات الأخرى، تنظيم ندوات علمية، بعثات إلى الخارج، خلق جو المعرفة ونشر الثقافة الجامعية حتى في أوساط المجتمع من خلال نشر البحوث والمقالات في

المسائل التي تهتم الثقافة، الدين، الاقتصاد و كل قطاعات البلاد كالري، والسكن ... إلخ.

والجامعة يجب أن تكون المؤسسة الوحيدة المستقلة التي تنظم وفق اتجاه سياسي ناضج وواع بأهميتها في جميع قطاعات التنمية، وإعطاءها كل الاستقلالية لأصحابها لاتخاذ القرارات، والتدابير لتسيير أنفسهم دون تدخل أو عرقلة حتى تصبح القاعدة والمؤسسة الوحيدة التي يتخرج منها مهندسين، معماريين، تقنيين، كيميائيين، وكل الإطارات التي تصبح في الغد القريب هي أيضا تساهم في هذه الجامعة، وتعطى كل الاهتمامات والأولويات للذين ينتهجون طريق المعرفة المعقدة وتجعلهم فوق كل اعتبار وبعبارة موجزة، فالجامعة هي النخبة وهي التي تستكثر من أصحابها.

وعلى غرار كل ما سبق، يجب أن نقول بأن الفرد لم يلد متعلما، ولذلك تبقى هذه الخاصية مرتبطة بعدة جوانب، كدور المحيط الاجتماعي بكل أجهزته، ودور المؤسسات الثقافية والاقتصادية ودور المؤسسات التعليمية التي تعتبر المنظمة للمعارف والعلوم، وأن ثقافة الكتاب والمطالعة تبقى مرهونة بهذه العلاقات بين هذه الأطراف المتفاعلة والمتناسقة والمتربطة، وأن أي خلل يطرأ لهذا أو ذاك من الطرف قد يجعل ليس فقط كبح فرص المعرفة وإنما في نمو ظاهرة الكسل والفشل والرداءة.

ونحن كمنظرين في علم الاجتماعي الثقافي، نرى أنه من الضروري بإعادة اعتبار مكانة الكتاب وثقافة المطالعة انطلاقا من جميع أطر المعرفة، بدءا بالأبوين، وأفراد العائلة والحي، القرية والمدينة، والإعلام، المراكز الثقافية، والمساجد وفي المؤسسات الاقتصادية التي تقوم بإنشاء مكتبات أو إعطاء "منحة التوثيق"، ونخص بالذكر المؤسسات التعليمية لا سيما منها الجامعية التي يجب أن تبعث روح التحدي والثقافة الصحيحة في زرع رغبة

المطالعة و الاستكثار منها خاصة لدى أوساط الطلبة الجامعيين الذين يكبرون على هذه العادة، لأن العمر مهما طال، فليس من مقدورنا استيعاب حجم المعرفة المتنامي والمتجدد لأننا في عصر العولمة والتفجر المعرفي وأن إحداثيات التغيير تتماشى وفق سيرا متسرعا.

نحن نتكلم عن عصر المعلوماتية، ننتذكر ما قد يقول أحد أساتذتنا، بأنه في البلدان التي زارها والتي تكن للعلم و المعرفة الاحترام اللازم، فالمعلومة تدخل مكنتاتها وكل ما ينشر في العالم خلال 24 ساعة، وبالمقارنة إلى هذا، نبقى متأخرين، وهذا لا يعني مزيد الكسل ولكن ما يزخر به بلدنا من إمكانيات مادية وبشرية و نخب، تريد فعلا العمل في المجال العلمي وقادرة أيضا أن تعالج و تقترح الحل المناسب و الدائم لكل ما يهمننا .

قائمة المراجع

- 1- السيد حلاوة (محمد): تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002/2001
- 2 - معتوق (جمال): صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، ط1، دم
- 3- بن زبطة (زينب): البرامج.. نقطة سوداء، جريدة الخبر، 08، 2005/12/4572.
- 4- شوقي (نسيمة)، المطالعة عند الثانويين في ولاية الجزائر، مذكرة الماجستير، إشراف شايب محمد، معهد علم المكتبات، 94-95.
- 5- الزايد (محمد): ثورة الوعي الفلسفي، مجلة الثقافة، العدد 32، ماي 1976
- 6- ذكاء (حر): الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة، بيروت، 1987.
- 7- يوسف الأمين (شنتي): الكتاب المدرسي والنظام التربوي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1986
- 8- اليونسكو: العادة الاجتماعية للمطالعة: من التربية والتكوين وسوسولوجيا القراءة، دار النشر مارينور، الجزائر، 1997.
- 9 - ليندة (أ): الكتابة الجامعية: عن أبناء الجامعة، جريدة أسبوعية، 9-15 جويلية 1997
- 10- آسكاريت (روبير): سوسولوجيا الأدب، تر: أمالأنطوان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1978
- 11- DUPONT (Paul) et OSSANDO (Marcelo): La pédagogie universitaire, PUF, Paris, 1994
- 12 - مغربي (عبد الغني): الثقافة والشخصية في المجتمع الجزائري، تر: ع. حقوقة، مجلة المجاهد، العدد 1082، ماي 1981.
- 13- السويدي (محمد): مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته، م و ك، ط1، الجزائر، 1991
- 14 - بن نبي (مالك): مشكلة الثقافة، تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر، ط1-، 1984
- 15- ROCHER (Guy): Introduction à la sociologie générale, Ed-15 HMD, collection point, paris, 1968.
- 16- العمر (خليل): معجم علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،
- 17- عماد (محمد الدين): كيف نربي أبنائنا: التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، دار النهضة القاهرة، 1977
- 18 - غي (روشيه). مدخل إلى علم الاجتماع، تر: د. مصطفى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دب ط، 1983.
- 19- أبو هلال (أحمد) و آخرون: المرجع في مبادئ التربية، دم، عمان، د.س. ط
- 20- CHERKAOUI (Mohamed): Sociologie de l'éducation, sue sais-je, PUF, 1986
- 21- إبراهيم مذكور وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975
- 22- غيث (عاطف): قاموس علم الاجتماع، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، مصر، 1979.
- 23- GOODMAN (Paul): Quelques idées insolites sur l'éducation des jeunes, Ed/Minuit, paris, 1991

- 24- ايدجار فور: تعلم لتكون، المؤسسة للنشر و التوزيع، ط3، الجزائر، 1974
- 25-LE THANK (khoi): l'industrie de l'enseignement, les éditions de minuit, paris, 1967.
- 26-القران الكريم
- 28- شريط (عبد الله): نظرية حول سياسة التعليم و التعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- 29- الميلبي (محمد): حق المعرفة و حق الأمل، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000
- 30-BLOOM (Alain): L'âme désarmée, Ed/Julliard, paris, 1993.
- 31- colloque international, formation pédagogique et didactique des enseignements du supérieur, Alger, mai 2001.
- 32- LAOUISSET (Djamel eddine): L'université: contraintes pédagogiques et impératifs de la recherche, Dar Houma, Alger, 2003
- 33- نوري (جعفر): التقدم العلمي و التكنولوجي و مضامينه الاجتماعية و التربوية، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، بغداد، 1978.
- 34- خلاص (جيلالي): الكتاب و الخبز و الاسمنت، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982
- 35-DENIS (Palier): Les bibliothèques, PUF, paris, 1995.
- 36-ESTIVAL (Robert): La bibliologie, PUF, paris, 1995
- 37- شكري معمر (علي): صناعة الإبداع، جريدة الخبر، العدد 14، 2006/1/4600
- 38 - عبد التواب (شرف الدين): دراسات في المكتبات و المعلومات، منشورات دار السلاسل، ط1، الكويت، 1983.
- 39- رجاء ياقوت (صالح): صناعة الكتاب بين أمس و اليوم، مطابع الأهرام المصرية، القاهرة، 1997
- 40- طه (الحاجري): الجاحظ و حياته و آثاره، دار المعرف، القاهرة، ط2، مصر، 1973
- 41- CROZIER (Michel): Crise de l'intelligence, PUF, paris, 1995
- 42- UNESCO: Eduquer, former et sociologie de la lecture, Ed Marinoor, Alger, 1997
- 43-BEAUDOT (Alain): Sociologie de l'école, pour une analyse des établissements scolaires, Ed/Dunod, paris; 1991.
- 44-FERRY (Gilles): la pratique du travail en groupe, Ed/dunond, paris, 1965
- 45-UNESCO: Histoire du développement culturel et scientifique de l'humanité, voll, paris, 1963.
- 46 - محمودي (ر): لا وجود للجامعات الجزائرية في المراتب الألف عالميا، جريدة الخبر، العدد 09/5034، 2007/06
- 47- حسن محمد (عبد الشافي): المكتبة المدرسية الشاملة: مركز مصادر التعلم، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1988.
- 48-الرابحي (محمد) و قدورة (وحيد): المكتبة المدرسية في التعليم و التعلم، المنظمة العربية للتربية و العلوم، تونس، 1996

49- HALIBWACHS (Maurice): Histoire et sociétés, Ed/minuit, paris, 1972

50-HERSENT (Jean François): Sociologie de la lecture, Ed/Minuit, paris, juin 2000

51 . محمد فتحي (عبد الهادي): مكتبات الطفل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د س

52- بن فاطمة (محمد): دراسة حول واقع استخدام التقنيات في الأقطار العربية والصعوبات التي تواجهها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994.

53 - الشيباني(عمر التومي): دور المكتبة المدرسية في تدعيم المنهج الدراسي، دون بلد الطبع 1980

54- BELLENGER (Lionel): Les méthodes de la lecture, PUF, paris, 1993.

55- حسن محمد(عبد الشافي): مكتبة الطفل، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 1993.

56-أبومغلي (سميح)دراسات في أدب الأطفال،دار الفكر للنشر و التوزيع،عمان،1993

57-- أبو رية(جمال): ثقافة الطفل العربي، دار المعارف، القاهرة، د س ط

58- الملحم (إسماعيل): كيف نعتني بالطفل و أديه، دار علاء الدين، ط1، 1994

59- محمد حسن ال ياسين: التقدم العلمي الصناعي و أثره في التخلف الثقافي و الروحي في مجتمعنا العربي، مجلة كلية الآداب و التربية، الكويت، العدد، 1974.

60- بدر (أحمد) المكتبة المدرسية و دورها في النهضة العربية، مكتبة الجامعة، الكويت، 1974

61- مانتيئا(هايمو): تكنولوجيا المعلومات في التخطيط التربوي، التربية الجديدة، بيروت، 1974

62- بن نبي (مالك): مشكلة الثقافة، تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر، ط1، 1984.

63-محمد مصطفى الأسعد، مشكلات الشباب و تحديات التنمية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، 2000.

63-IBRAHIMI (Ahmed taleb): De la décolonisation à la révolution culturelle (1962-1972), ENED, Alger, 1973

64-مصدق(جميل الحبيب): التعليم و التنمية الاقتصادية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981

65- منصور (أحمد منصور): قراءات في تنمية الموارد البشرية، منشورات وكالة المطبوعات الكويتية، دار غرين للطباعة، 1976

66-FAUROUX (Roger): revue et débat, N°92, nov-déc 1996.

67-سعد الله(ابو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي (القرن 16 إلى 20 ميلادي)، الجزء الأول، الجزائر، 1981

68- السليماني(أحمد): تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989

69-DJAGHLOUL (Abdelkader): Elément d'histoire culturelles de l'Algérie, ENAL, Alger, 1994

70- الأشرف (مصطفى): الجزائر الأمة و المجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- 71- HARDY (George): Une enquête morale, l'enseignement en A.O.F.E, Ed/A.Colin, paris, 1991.
- 72- الابراهيمى (أحمد طالب): الامبريالية الثقافية، السم في الدسم، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 41، أكتوبر 1976.
- 73- les cahiers du CREAD, N°70, 4 eme trimestre, 2004
- 74- ولد خليفة(محمد العربي): الجامعة الجزائرية و صورها في تنمية الخبرة الوطنية، مجلة الثقافة ، العدد 41، أكتوبر 1977.
- 75- السعيدى(محمد): جامعتنا.. إلى أين، جريدة الخير، العدد 4865، 2006/11/22
- 76- شدرى معمر (علي): صناعة الإبداع، جريدة الخبر، العدد 14، 2006/1/4600
- 77 - مرعي (فؤاد) وآخرون: المادية الديالكتيكية، منشورات دار المعرف، دمشق، 1973
- 78- عقل(انطونيوس): أهمية البحث العلمي و تنظيمه و ربطه بخطة التنمية الاقتصادية و الاجتماعية، مطبعة دمشق، 1971
- 79- BEN NABI (Malek): La colonisation, Dar Elhadhara, Alger, 2003
- 80 - سعد الله(أبو القاسم): منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1976
- 81- COHEN- STEINER (Olivier): l'enseignement aux USA, presse universitaire, Nancy, 1993.
- 82- DAHMANI (Madjid): Documentation universitaire, contribution à l'étude de la problématique dans l'enseignement supérieur, mémoire de Majester, bibliothéconomie, 1986
- 83- الدرمداش (سرحان): المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، ط2، الكويت، 1979
- 84- مدحت كاضم (نجيب): التربية المكتبية، جمعيات المكتبات المدرسية، مصر، 1974

الفهرس

الفصل الأول: سلطة المعرفة بين الرمز و المعنى
الانتقال إلى عالم المعرفة من خلال المجالات الاجتماعية
سيرورة المعرفة : من تراث الماضي إلى مقتضيات الحاضر
سجل المعرفة وتطورها يلازم تطور المجتمعات -
نظرة عن سيرورة المعرفة عبر تاريخ المجتمعات
تموضع المعرفة ضمن المخيال الاجتماعي
العناية بالمعرفة أساسه ما يعطيه المجتمع للتعليم
التنمية البشرية وضرورة الإبداع في قنوات نشر المعرفة
تموضع المعرفة ضمن المؤسسة التعليمية وغايتها المعرفية
مسؤولية المؤسسة التعليمية وغايتها المعرفية
البناء الفكري الصحيح وحدود شرعية الكتابة والقراءة
المعرفة المقدسة والكتاب المقدس
الكتاب أصل كل علم
الكتاب خزان المعرفة وأساس المعلومة
علم مطلوب و علم مرفوض : حدود شرعية الكتابة والقراءة
أساس ظهور الكتابة والقراءة
تغيرات المجتمع حافظ في تنوع مظاهر الكتاب والقراءة
ضرورة تحديث أساليب التعليم ووسائل نقل المعرفة
تحديات التعليم وفك الإشكالية ضمن الثلاثي البيداغوجي
تنوع أساليب التعليم وتطور المعرفة
الإبداع وتحسين الطرق البيداغوجية
الفارق الاجتماعي والفارق المعرفي
تفتح المجتمعات أساس تطور المعرفة
النهوض بالمعرفة يحطم كل الحدود
حدود العقلانية بين الشفهي الكتابي والصورة ووسائل نقل المعرفة
الانتقال من الشفهي إلى المكتوب
وسائل نقل المعرفة وتبليغ سائر العلوم
الفصل الثاني : المقرونية والمطالعة و بناء الكفاءة المعرفية
أساس ظهور المطالعة وتوزيع حاجيات المقرونية حسب الفئات
أثرية المطالعة
الحضارة الإنسانية منبع انتشار الورق والكتابة
المطالعة مصدر المعلومات وتنوع حاجياتها في الحياة الحديثة
المقرونية للمعرفة والمقرونية للهبة الاجتماعية
النظام التربوي والتنشئة المكتنية
المعرفة وضرورة ترسيخ أسلوب التعلم الذاتي
التوزيع الاجتماعي لحاجة المقرونية

تنوع حاجات المقرونية
حاجة المقرونية في الوسط المعرفي
تعدد وظائف المقرونية وعلاقتها بالتحصيل المعرفي لدى الطالب الجامعي
العودة إلى الكتاب : هل هي عودة إلى الذات ؟
مفهوم الكتاب في الحقل المعرفي
التعود على الذات لاكتساب العلوم
الموقع القرائي للطالب الجامعي : هوية معرفية أم هوية اجتماعية
المقرونية والفضاء المكمل للبرامج التعليمية
هوية الطالب الجامعي وموقعه القرائي
المطالعة للمراجعة والمطالعة للآخر
المطالعة والاجتهادات الفردية
المطالعة وبناء الذات
ضرورة تطور اتجاه المقرونية وعلاقتها بالامتداد المعرفي المتمامي
مهمة الجامعة والربط المحكم بين التعليم والاقتصاد
عالم الشغل مرتبط الإستراتيجية الجامعية
الجامعة هي التي تحدد الكفاءات
ربط نظام التعليم العالي بالتحصيل العلمي وغاية الجامعة
الجامعة هي التي تحدد الكفاءات
أهمية الكتاب وضرورة تعدد النشر لرفع إنتاجية المعرفة والمستوى الجامعي
ميلاد الكتاب الجامعي وضرورة تعدد دور النشر
الكتاب ظاهرة عالمية واصل كل العلوم
اللاحاح على تعدد النشر والكتاب
هل توجد أزمة جامعية ذات علاقة بالكتاب
الكتاب أهم قطاعات المعرفة
مكانة الكتاب ووضع المكتبات في المؤسسة الجامعية
مكانة الكتاب في التعليم الجامعي
الكتاب مصدر اكتساب الخبرة العلمية
الكتاب إنتاج فكري والجامعة مسؤولة عن تطوره
من ينتج المعرفة ومن يستهلكها
الروح العلمية وضرورة الابداع الطرق البيداغوجية
زرع ثقافة المعرفة وإنتاجية العلوم

الفصل الثالث: الجامعة والجامعيين واتجاهات مقاصد المعرفة

الجامعة ودورها في تنمية الخبرة الانسانية وتحقيق حركية المعرفة
الجامعة و المؤسسة الجامعية :

تحديات الجامعة وتنمية الموارد البشرية

النهوض بالجامعة يتطلب اصلاح ذو ابعاد مستقبلية

حركية المعرفة من خلال مؤسستها :

خصوصيات الحركة المعرفية ماقبل الاستعمار

تقوية بنية المعرفة عماد التنمية الشاملة

الارادة السياسية واصلاح الجامعة

مصير الانسان مرتبط بترقيات الجامعة

دور واسهامات الجامعة في تحقيق التنمية الشاملة :

الجامعة : دور العلم والتكنولوجيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

العلم والتكنولوجيا القاسم المشترك الاكبر لعمليات التنمية

الاستثمار في البحث العلمي مصدر التطور السريع

تنويع التخصصات لأسواق عمل غير مبرمجة:

مهمة الجامعة والربط المحكم بين التعليم والاقتصاد

علم الشغل مرتبط بالاستراتيجية الجامعية

الجامعة و الاتجاه الانساني العلمي

ربط نظام التعليم العالي بالتحصيل العلمي وغائية الجامعة

الجامعة هي التي تحدد الكفاءات

اهمية الكتاب وضرورة تعدد النشر لرفع انتاجية المعرفة والمستوى الجامعي :

ميلاد الكتاب الجامعي و ضرورة تعدد دور النشر:

الكتاب ظاهرة عالمية واصل كل العلوم

الالاحاح على تعدد دور النشر والكتاب

هل توجد أزمة جامعية ذات علاقة بالكتاب؟

الكتاب اهم قطاعات المعرفة

مكانة الكتاب ووصعية المكتبات في المؤسسة الجامعية

مكانة الكتاب في التعليم الجامعي:

الكتاب مصدر اكتساب الخبرة العلمية

الكتاب انتاج فكري والجامعة مسؤولة عن تطوره

من ينتج المعرفة و من يستهلكها :

الروح العلمية وضرورة الابداع في الطرق البيداغوجية:

زرع ثقافة المعرفة و انتاجية العلوم

كلمة الختام

قائمة المراجع